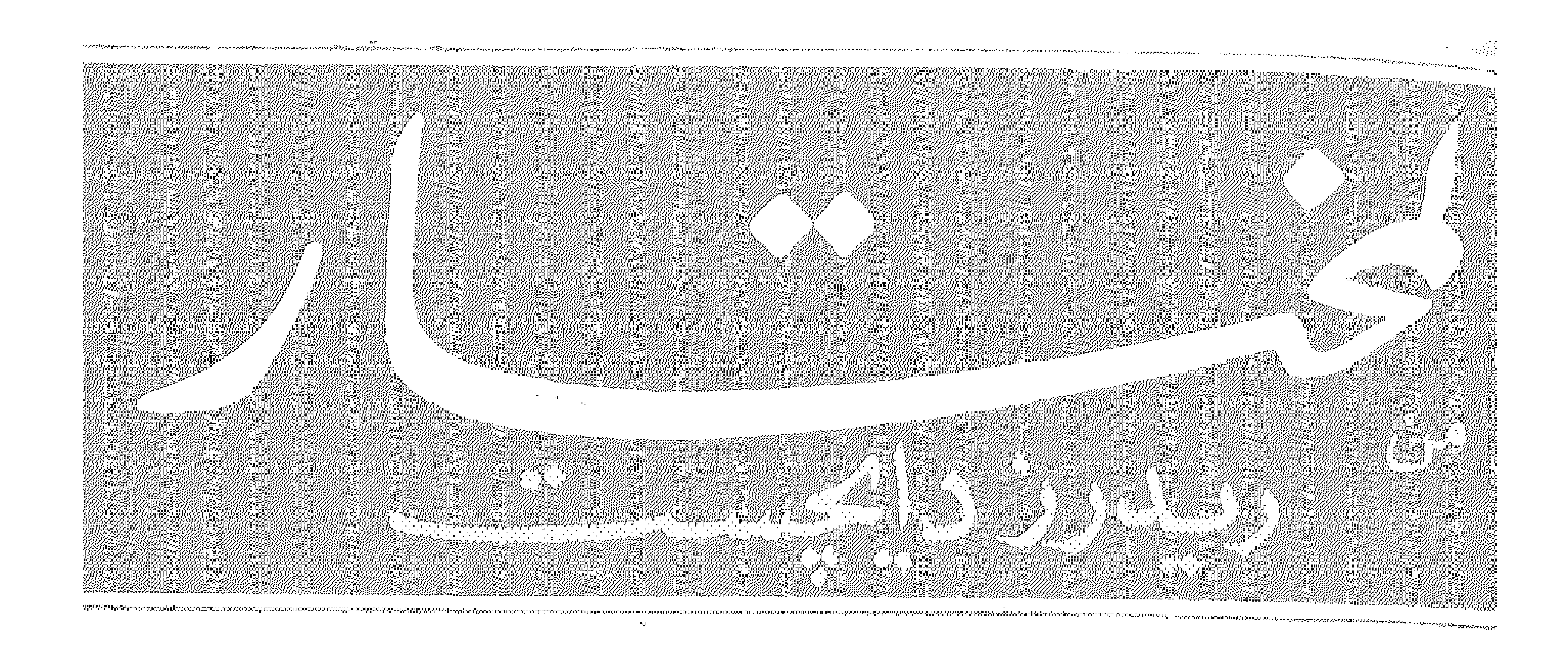


في كل مقالة لذة دائمة

معنى مشروع السلام . . . . إدوارد ر . ستتنيوس ١
الشبح الطائر . . . . الكولونيل روبرت ل . سكوت ١٠
الأمراض التي تنتقل عدواها بالهواء . . . . مجلة « هايجيا » ١٦
خطة أمريكا في معاملة ألمانيا بعد الحرب . . . . مجلة « كوليرز » ٢٠
الجسم كما نريده . . . . هارلند مانشستر ٢٦
دي جول ـ الشهير . . . . مجلة « لايف » ٣٠
من أين يأتي كل هذا الاريان الكبير ؟ . . . . صحيفة « بالتيمور صنداي صن » ٣٧
بث الفوضى عملهم . . . . مجلة « ريكولوز » ٤٤
حوادث مدهشة . . . . لورد فردريك هاملتون وماري نايت ٤٦
أخي ، الذي كلم الخيل . . . . مجلة « ذي أمريكان مركيوري » ٤٨
أوهن . . . . جون د . روكفلر ٥٢
بلد المتناقضات . . . . مجلة « ستردأي إفننج بوست » ٥٣
كيف نذود أشباح الفاقة عن المدن ؟ . . . . ستيوارت تشايس ٥٩
حقائق عن الدية .. حول مدينة دولوث . . . . مجلة « بريري سكواير » ٦٥
كيف تختار زوجك ؟ . . . . « ذي أمريكان مجازين » ٦٨
فرصة تسامح لا إحسان يبذل . . . . مجلة « ذي روتاريان » ٧٣
لغز مشوق ولكنه حقيقة واقعة . . . . جيروم بتي ٧٦
المسلم المحبوب . . . . هري إمرسن فوزدك ٨٠
سكودزو : أعجوبة زراعية أخرى . . . . مجلة « كنتري بوك » ٨٦
تعريفات لاذعة . . . . « معجم الشيطان » ٨٩
سوف نعود إليكم . . . . صحيفة « أخبار من الطليعة » ٩٠
عبقرية صمويل مورس . . . . مجلة « إسكواير » ٩٢
بحث إمكانياتنا . . . . جون تراندو لسان ٩٧

مارس ١٩٤٥

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومصر والصين واستراليا والهند . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ التاسع عشر (السابع من السنة الثانية) من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها وإتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل ، نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربية — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « برايل » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المدير العام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ — شارع شامبليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

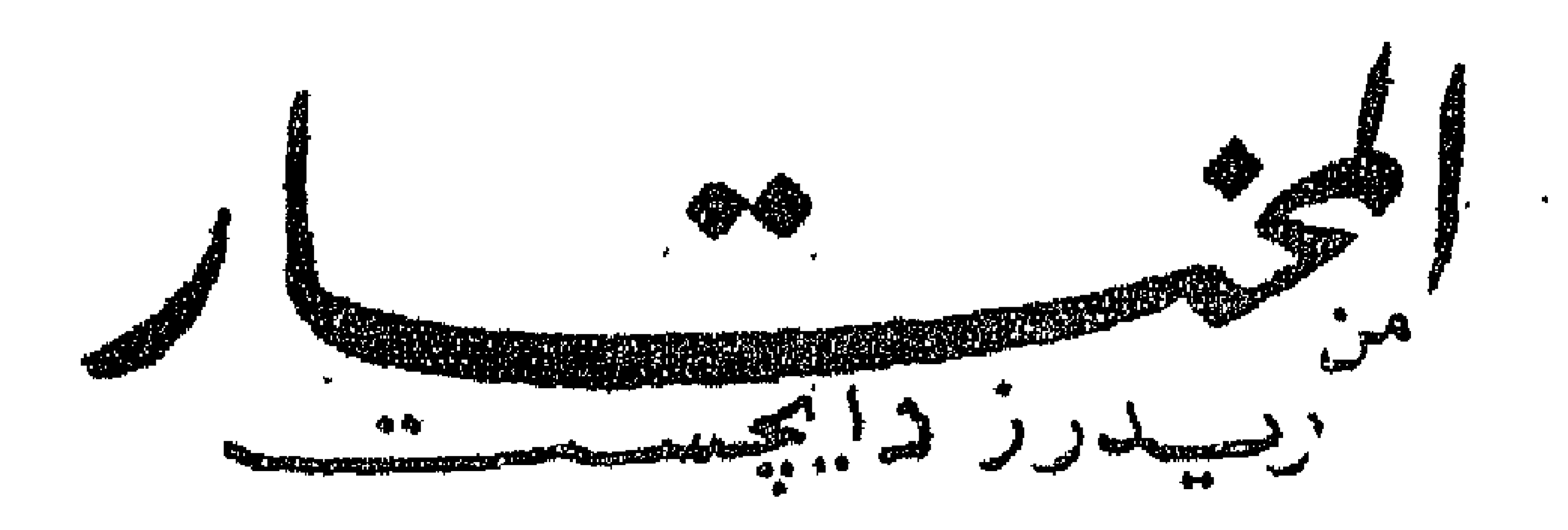
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون



كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر
السنة الثانية مارس ١٩٤٥ المجلد ٤ العدد ١٩

معنى مشروع السلام
الذى صيغ فى دمبرتون أوكس

إدوارد ر . ستيتنيوس . وزير خارجية الولايات المتحدة

وضع الخبراء خطة ، وهذا مقال يهيب بنا أن نفهمها ونجيزها — وأن نبذل جهداً فى سبيل تحقيقها .

إن مصلحة الشعب الأمريكى فى المحافظة على السلام بعد هذه الحرب ، قد بلغت من خطر الشأن مبلغاً لا مزيد عليه . إننا مقت الحرب ، ومع ذلك فقد حملنا مرتين فى جيل واحد على أن نقاتل دولاً قوية معتدية، دفاعاً عن حريتنا ومصالحنا الحيوية .

إن شبابنا يبذلون حياتهم كل يوم لأننا ، نحن وغيرنا من الأمم المحبة للسلام ، أخفقنا فى تنظيم السلام والمحافظة عليه بعد الحرب الماضية . فعلينا أن نضمن أن لا يساق أبناؤهم — وأبناؤنا — إلى بذل حياتهم فى حرب كبيرة أخرى بعد ربع قرن منذ اليوم .

كنا فى هذه الحرب آخر من هاجمه المعتدون، وقد استطعنا أن نكافحهم فى مواقع بعيدة عن أرضنا ، ولكن مدى الطائرة . والأسلحة الجديدة التى صنعت ، ستنزل دمار الحرب فى المرة المقبلة — إذا سمحنا بنشوبها مرة أخرى — ببيوتنا وأرضنا . ومن المحتمل أن تكون الولايات المتحدة فى المرة المقبلة — إذا سمحنا بنشوب الحرب مرة أخرى — أولى الدول التى تهاجمها دولة معتدية ، لا أخراها .

ولن يكون لنا إلا طريق واحد نسلكه فى التأهب للحرب التالية ، بعد الظفر فى هذه

الحرب ، وهذا الطريق هو أن نمنع نشوب حرب تالية . فلا محيص لنا عن أن نبدأ الآن بهذه المهمة . ولن نستطيع القيام بها إلا إذا أعددنا الخطط : وعززناها ، بالتعاون مع أمم العالم الأخرى المحبة للسلام ، سلاماً صالحاً للبقاء يقوم على أساس منظم .

— ١ —

كل خطة سليمة للسلام يجب أن تنهض على الحقائق كما هى ، ويجب أن تتجه إلى تحقيق ما نتمناه من عالم يسوده السلام . وإنى لأعتقد أن هذين الركنين إنما تحققهما المقترحات التى صاغها ممثلو الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى والصين ، فى الصيف والخريف الماضيين فى دمبرتون أوكس بوشنطن . وأودّ هنا أن أصف ما أعتقد أنه لباب هذه الخطط وروحها المحركة ، وأن أبين قيمتها العملية فى التطبيق .

لم تنشأ هذه المقترحات من لا شىء ، فقد سبقتها دراسات طويلة دقيقة تولتها جماعات شتى من الناس فى كل دولة من الدول الأربع . فلم تقتصر فى الولايات المتحدة على استشارة الخبراء الفنيين فى وزارة الخارجية وحسب ، بل استشرنا كذلك أقطاب الحزبين السياسيين فى الكونجرس ، وأهل الرأى من الضباط العظام فى جيش الولايات المتحدة وأسطولها ، والمشهورين من أبناء البلاد من أصحاب الآراء المختلفة . فالمقترحات هى نتيجة بحث دائب ومشاورة واسعة النطاق . ولا يدخر الآن وسع فى عرضها ، ليرى الشعب الأمريكى رأيه فيها .

والخطة المقترحة فى دمبرتون أوكس تقوم على أربعة أركان :

أما الأول : فهو أن السلام لا يصان إلا إذا أجمعت جميع أمم العالم المحبة للسلام على تحقيق هذا الغرض . ويجب عليها فى عملها هذا أن تعترف بالمبدأ الأصيل ، وهو أن جميع هذه الأمم متساوية : وأنها فى الوقت نفسه غير متساوية حقيقة فى قدرتها على منع الحرب .

إن عبارة «التساوى فى السيادة» مضمنة فى المبدأ الأول من مقترحات دمبرتون أوكس . وهى تعنى أن كل دولة محبة للسلام ، مهما تكن صغيرة ، لها من السلطة العليا فى أرضها ما لكل دولة أخرى مهما تكن كبيرة . فكل دولة منها ، صغيرة كانت أو كبيرة ، هى وحدة دولية ، فلكل منها حق أن تقول كلمتها فى شئون أسرة الأمم ، وعلى كل منها يقع نصيب من التبعة فى مهمة إنشاء نظام عالمى يسوده السلام .

وقد سايرت مقترحات دمبرتون أوكس هذا المبدأ ، فنصت على أن تكون أبواب الهيئة الدولية الجديدة مفتوحة لجميع الدول

« المحبة للسلام » ، كبيرة كانت أو صغيرة . ونصت كذلك على إنشاء جمعية عمومية يمثل فيها جميع الأعضاء من الدول على أساس التساوى . ثم نصت على هيئة أصغر من الجمعية العمومية ، قوامها أحد عشر عضواً تعرف باسم « مجلس الأمن » ، وجعلت الدول الخمس المتفوقة فى القوة ، أعضاء دائمين فى هذا المجلس .

وعلى جميع أعضاء الهيئة أن يقطعوا عهداً بتسوية كل نزاع بينهم تسوية سلمية ، وأن ينهضوا بالالتزامات الأخرى التى يتخذونها فى الدستور المقترح لهذه الهيئة ، فى حفظ السلام وتعزيزه . وفى حدود هذه العهود ، يحق لممثلى كل دولة أن يقترعوا على أية مسألة دولية كما تشير عليهم بلادهم أن يفعلوا ، وكل منهم تختاره أمته بالطريقة التى تؤثرها . فالسيادة القومية تظل سليمة لا تمس .

وللهيئة غرضان : أن تمنع الحروب وأن تقمعها . ثم أن تعزز السلام تعزيزاً مطرداً بتوثيق صلات الصداقة وأواصر النفع المتبادل بين الأعضاء .

إن التبعة الأولى فى منع الحرب وقمعها ، تقع على كاهل « مجلس الأمن » . وسبب ذلك أن هذه المهمة لا يمكن أن ينهض بها على أجدى وجه ، إلا هيئة صغيرة يجب أن تشمل الدول الخمس الكبرى ، أعضاء دائمين فيها . وللجمعية العمومية فى إنجاز هذه المهمة شأن خطير لكنه فى المقام الثانى.

أما التبعة الأولى فى إنشاء الأحوال الدولية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تؤاتى السلام ، فهى تقع على كاهل الجمعية العمومية . وسبب ذلك أن النهوض بهذه التبعة نهوضاً موفقاً ، لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق تعزيز الاتفاق تعزيزاً مطرداً بين جميع الأعضاء من الدول ، كبيرة كانت أو صغيرة .

— ٢ —

إن هذه الحرب قد أثبتت أن الدول الصغيرة فى عهد الحرب الميكانيكية ، عاجزة عن أن تذود عن نفسها اعتداء الدول الكبيرة . فالدول الكبيرة وحدها تملك القدرة الصناعية وسائر الموارد الحربية التى تحتاج إليها الأمم المتحدة لهزم دول المحور المعتدية . وكذلك لا يمكن أن تمنع الحروب فى المستقبل أو تقمع ، إلا إذا استعملت الدول الكبيرة قوتها المادية المتفوقة استعمالا يكون ركناه العدل ووحدة القصد لتحقيق هذا الغرض . ومن أجل هذا كانت المنزلة التى أعدتها مقترحات دمبرتون أوكس لمجلس الأمن . ومن أجل هذا أيضاً كانت المكانة التى خصصت للولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفيتى والصين وفرنسا ، بتعيينها أعضاء

دائمين فى المجلس . وللمجلس علاوة على ذلك ستة أعضاء غير دائمين ، تنتخبهم الجمعية العمومية باتفاق ثلثى الأعضاء مدة سنتين .
والواجب الأعلى على مجلس الأمن هو « أن يتخذ ما يلزم من الوسائل لحفظ السلام الدولى وصون الأمن ، وفقاً للأغراض والمبادىء » المبينة فى دستور الهيئة الدولية الجديدة .

وهذه الوسائل هى الركن الثانى فى خطة السلام ، وهى طائفتان : الوسائل اللازمة لمنع الحروب ، والوسائل اللازمة لقمعها .

تقطع جميع الدول ، التى هى أعضاء فى هذه الهيئة ، عهداً بفض النزاع فضاً سلميا بأساليب هى التى تختارها . وقد تفعل ذلك بالمفاوضة ، أو الوساطة ، أو التحكيم ، أو المسالمة ، أو عن طريق القضاء . وكثير من وجوه النزاع المحلى أو الإقليمى ، يمكن أن تفض بتدبيرات إقليمية دون الرجوع إلى مجلس الأمن .

ولكن إذا أخفقت هذه الوسائل ، فالدول ملزمة بأن تلجأ إلى مجلس الأمن الذى له كذلك حق الشروع فى بحث كل نزاع ، ولو لم يطلب منه ذلك ، وأن يقترح الأساليب لتسويته . وللجمعية العمومية الحق كذلك فى أن تبحث كل مسألة لها صلة بحفظ السلام وصون الأمن ، وأن توصى بما تراه ، إلا إذا كان المجلس قد شرع فى معالجة المسألة .

وتنص مقترحات دمبرتون أوكس على إنشاء محكمة دولية للعدل ، يعرض عليها كل نزاع يمكن فضه باللجوء إلى القانون . وسيكون قانون هذه المحكمة — أو دستورها — هو قانون المحكمة الدائمة للعدل الدولى القائمة الآن ، بعد تعديله تعديلا يسيراً ، أو يكون القانون القديم أساساً للقانون الجديد . فهذه المحكمة ستكون الفرع القضائى للهيئة الدولية الجديدة ، ولمجلس الأمن أن يستشيرها فى جميع المسائل القانونية التى تنطوى عليها النزاعات الدولية .

ولن يعمد مجلس الأمن إلى أن يجعل القوة وسيلة لمنع الحرب أو قمعها ، إلا بعد أن تستنفد فى منعها وسائل السلم .

والخطوة الأولى التى يخطوها مجلس الأمن هى أن يدعو جميع الأعضاء فى الهيئة الدولية الجديدة ، للضغط على الدولة المسيئة ضغطاً غير حربى ، مثل « قطع الصلات الدبلوماسية والاقتصادية » و « فصم أواصر المواصلات بالسكك الحديدية والبحر والجو والبريد والبرق والراديو وغيرها ، كل الفصم أو بعضه » .

فإذا لم تجد هذه الوسائل ، فلمجلس الأمن أن يعمد إلى العمل الحربى بوساطة « قوات الجو والبحر والبر » .

وعلى أعضاء الهيئة الدولية الجديدة أن

يقروا فى دستور الهيئة نفسه ، أن مجلس الأمن يعمل « نائباً عنهم » فى بذله جميع هذه المساعى . وعليهم كذلك أن يوافقوا على النهوض بالتزامهم ، وأن يتيحوا لمجلس الأمن « قوات مسلحة » و « وسائل » و «معاونة» حين يدعوهم إلى ذلك ، وفقاً لاتفاقات خاصة سبق عقدها . ولكى يضمن استعمال هذه القوات أفضل استعمال ، يلحق بمجلس الأمن هيئة أركان حرب ، مؤلفة من رؤساء أركان حرب الدول التى هى أعضاء دائمون فى المجلس ، أو من يمثلهم .

فلمجلس الأمن سلطة لم تكن لمجلس عصبة الأمم ، فقد ثبت أن السلطة التى أتيحت للعصبة كانت ضئيلة . ومن الواضح الذى لا ريب فيه أن هذه السلطة لازمة .

ولكن هذه السلطة الواسعة لا تنشىء ما يصفه بعض الكتاب بأنه « دولة متفوقة القوة لا يمكن ضبطها أو محاسبتها » ، بل إن الخطة نفسها على نقيض ذلك ، تشتمل على ضوابط كثيرة ، مثلا :

(١) لا يحق لمجلس الأمن أن يطالب من دولة ما قوة مسلحة إلا فى الحدود التى وافقت عليها تلك الدولة نفسها من قبل . ولكل دولة أن تحدد مقدار ما تقدمه من القوة المسلحة ، باتفاق خاص أو اتفاقات توقعها حكوماتها ، وتصدق عليها وفقاً لأساليبها الدستورية . أى أن خُطة دمبرتون أوكس تترك كل دولة حرة فى تحديد « الكمّ » و « النوع » فيما تمد به مجلس الأمن من قوة مسلحة ، ومعاونة ، ووسائل حربية أخرى . ولا يستطيع مجلس الأمن أن يفرض عليها شيئاً خارج هذه الحدود . فمجلس الأمن ليس على وجه ما ، السيد المتحكم فى موارد العالم الحربية .

(٢) أن الدول الكبيرة التى ستكون أعضاء دائمين فى مجلس الأمن ليست أكثرية فى ذلك المجلس ، فكل قرار يتخذه المجلس يقتضى موافقة بعض الأعضاء الستة غير الدائمين على الأقل .

(٣) أما فى الجمعية العمومية فللدول الصغيرة ، وهى الكثرة الساحقة من الأعضاء ، أن تقر أى توصية فى مسألة من مسائل السلام ، قبل أن نعرض هذه المسألة على مجلس الأمن لينفذ رأيه فيها . وتجتمع الجمعية العمومية مرة فى السنة على الأقل . ولها أن تعقد أكثر من اجتماع واحد ، وأن تتلقى تقارير مجلس الأمن السنوية والخاصة ، ولها الحق فى أن تبحثها وأن تعرب عن رأيها فيها ، موافقة أو معارضة .

إن الاتفاق بين الدول الكبيرة ركن أصيل للسلام ، ولكن الفرصة التى تتيح للدول الصغيرة ، فى خطة دمبرتون أوكس ،

أن تقف من الدول الكبيرة ومن مسلكها موقف المراقب المحاسب ، هى بلا ريب أعظم كثيراً مما يتاح لها فى عالم غير منظم ، متروك نهباً لعوادى المعتدين .

— ٣ —

أما الركن الثالث فى خطة السلام ، فهو مكمل جوهرى للركن الثانى . إن منع الحروب وقمعها ، هو كالظفر فى هذه الحرب ، ليس كافياً وحده لإقرار سلام دائم . وإذا كان مقدراً لنا أن نظفر بسلام دائم ، فعلينا أن نبنيه بأيدينا . وعلينا أن نبنى صرحه حجراً حجراً بناء مستمراً ، سنة بعد سنة ، فى نطاق هيئة كالهيئة التى اقترحها مؤتمر دمبرتون أوكس . وعلينا أن نبذل فى بناء السلام مثل الحزم والجهد المتحد اللذين بذلناهما فى شن الحرب .

وفى هذا الميدان ستكون الجمعية العمومية المؤلفة من جميع الدول المنتظمة أعضاء فى الهيئة الدولية للأمم المتحدة ، هى المجلس النيابى الأعلى فى العالم ، فتمثل أمنية الإنسانية العالمية المشتركة والقصد العالمى المشترك ، لتعزيز التعاون الدولى ، وبسط ظل القانون فى العلاقات الدولية ، ورفع مستوى الحياة المادية والثقافية فى جميع الشعوب .

فعمل الجمعية من حيث هى منبر حر لجميع الأمم المحبة للسلام ، وسلطاتها الواسعة فى البحث والتوصية ، هى فى حد ذاتها أسلحة قوية من أجل السلام فى عصر يسهل فيه تعبئة الرأى العام على الفور بوساطة الصحافة والراديو .

ولكن الجمعية لها كذلك أداة نافذة فى العمل المستمر فى بناء السلام ، وهذه الأداة هى مجلس الاقتصاد والاجتماع الذى ينتظر إنشاؤه وفقاً لمقترحات دمبرتون أوكس .

وقد نُصّ على هذا السلاح اعترافاً بالحقيقة العظيمة التى تتسم بها الحياة الدولية فى عصرنا اتساماً مطرداً ، وهى أن العالم سائر إلى أن يغدو منطقة واحدة تترابط فيها المخترعات الفنية ، والأساليب الصناعية ، ومشكلات الأسواق وأثرها فى أحوال الاجتماع البشرى . وهذا الترابط يقضى على توازن ربما كان موجوداً بين الدول التى زعموا أنها « راقية » ، والدول التى زعموا أنها « متأخرة » ، وهى تعنى : إما تناحراً اقتصاديا عالميا يمزق أوصال العالم ويدفعه إلى الحرب ، وإما تعاوناً اقتصاديا ينسّق أجزاء العالم فى سبيل السلام . فالإخفاق فى تبين هذه الحقيقة بعد الحرب الماضية ، كان من بواعث نشوب هذه الحرب .

وستنتخب الجمعية العمومية مجلس الاقتصاد والاجتماع من جميع الدول ، دون مساعدة مجلس الأمن . وسيؤلف من ممثلى ثمانى عشرة

دولة ، وتجعل مدة العضوية فيه ثلاث سنوات . وليس له أن يفرض رأياً أو قراراً ، بل ينبغي عليه أن يتوسل بأساليب الإقناع ، و « يسهل حل المشكلات الدولية الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية » ، « وأن يعزز احترام حقوق الناس وحرياتهم الأصيلة » مسترشداً برأى الجمعية العمومية .

وستنشئ اللجان اللازمة فى جميع ميادين النشاط الاقتصادى والاجتماعى ، ولن يكون أعضاء هذه اللجان ممثلين سياسيين أو دبلوماسيين ، بل يكونون خبراء فنيين ، وعليهم أن يبذلوا المشورة الفنية لمجلس الاقتصاد والاجتماع ، وللجمعية العمومية . فمنهم تتألف سكرتارية وهيئة بحث فى جميع المشروعات .

وستكون الجمعية العمومية ومجلس الاقتصاد والاجتماع التابع لها ، مركزاً لتنسيق جميع الهيئات الدولية المختصة القائمة الآن ، أو التى تنشأ بعد ، لخدمة أغراض التقدم فى الحياة الاقتصادية والاجتماعية .

فثمة هيئة العمل الدولية وسجلها الطويل الحافل بالنجاح فى خدمة قضايا العمال المعقولة ، وثمة الهيئة المقترحة — هيئة الدول المتحدة للطعام والزراعة — وما يقع على كاهلها من عبء عظيم فى خدمة منتجى الطعام فى البلاد الزراعية ، ومستهلكى الطعام فى جميع البلاد . وهناك كذلك صندوق النقد الدولى ، والبنك الدولى للتعمير والتحسين ، اللذان اقترح إنشاؤهما ، وما ينبغى أن ينهضا به من تبعات معقدة دقيقة ، من أجل ضروب النقد العالمية وأموال الاستثمار العالمية ، ويدور البحث الآن على هيئات دولية جديدة « متخصصة » ، فى الطيران ، « والكتل التجارية » والصحة والتربية ، والمخاطبات السلكية واللاسلكية ، والتجارة الخارجية ، وكثير من المنتجات الزراعية والصناعية .

وجميع هذه الهيئات أشبه ما يكون بالفروع التى تحتاج إلى مركز يربط بينها ، فمشروع دمبرتون أوكس يجعل من حق الجمعية العمومية أن تكون ذلك المركز ، ومجلس الاقتصاد والاجتماع التابع لها ، هو أداتها الأولى فى التنفيذ . فالمشروع ينص على أنه ينبغى أن تربط جميع الهيئات الدولية المتخصصة ، بالهيئة الدولية العامة ، بواسطة اتفاقات تعقد مع مجلس الاقتصاد والاجتماع ، على أن توافق الجمعية العمومية عليها . وينص كذلك على أن يتلقى مجلس الاقتصاد والاجتماع ، تقارير الهيئات الدولية المتخصصة ، وأن يعمد إلى تنسيق خططها ومناحى نشاطها تحت إشراف الجمعية العمومية .

فها نحن نرى ، أول مرة فى التاريخ ، احتمال نشوء هيئة أركان حرب اقتصادية استشارية للعالم كله .

والرجاء الوثيق معقود على أن تلك التوصيات التي توصي بها الجمعية العمومية ومجلسها الاقتصادي الاجتماعي ، الصادرة عن المركز الرئيسي للفكر العالمي في الاقتصاد والاجتماع ، لا تلبث حتى تتضمنها معاهدات واتفاقات تبرمها دول كثيرة ، فتوسع نطاق العمل ، وترفع مستوى الحيـاة في جميع البـلاد . وتحقيق هذه الأغراض ، ركن لا غنى عنه في بناء سلام يدوم .

— ٤ —

فلنلق الآن نظرة على الركن الرابع ، في المربع الذي يشيد عليه صرح العلاقات الدولية السلمية ، بحسب مقترحات دمبرتون أوكس .

هذا الركن هو خفض التسلح خفضاً مطرداً ، فالتسلح في هـذا العصر أصبح عبئاً فادحاً على موارد جميع الأمم . ولو عمدنا في أمريكا — مثلا — إلى أن نستعمل للإنتاج في سبيل أغراض السلام ، نصف ما وقفناه على إنتاج السلاح لهـذه الحرب ، لرفعنا مستوى حياة الأمة الأمريكية رفعاً عظيماً .

وبعد الظفر في هذه الحرب ، سيتوقف ارتقاؤنا الاقتصادي ، وارتقاء غـيرنا من الأمم ، توقفاً كبيراً على مقدار ماتفعله الأمم في خفض التسلح . وإحدى المهام التي ينبغي للهيئة الدولية العـامة أن تواجهها ، هي « البحث في المبادىء العامة المتسلطة على نزع السلاح وضبطه » . وعلى مجلس الأمن أن يذهب مذهباً أبعد ، فلكي يحقق « أقل تحويل في الموارد الإنسانية والاقتصادية الموقوفة على صنع السلاح » ، ينبغي عليه أن يضع « خطة لإنشاء نظام يضبط صنع السلاح » ، وأن يعرض هـذه الخطط على جميع أعضاء الهيئة الدولية الجديدة .

ولا تنطوي المقترحات هـذه المرة على أن تعمد الولايات المتحدة ، أو غيرها من الأعضاء في الهيئة الدولية الجديدة ، إلى نزع السلاح لتضرب بذلك مثلا لغيرها ، ولـكن المقترح أن تسير جميع أعضاء الهيئة على هذا الطريق جنباً إلى جنب ، أسرع سير مستطاع .

ولا يحتمل أن تسير أمة ما على هـذا الطريق مسافة طويلة أو سريعة الخطى ، إلا إذا شعرت أنها تستطيع أن تعتمد كل الاعتماد على الهيئة الدولية لضمان سلامتها

ولن تنبـذ أمم الأرض من أسلحتها ومدافعها إلا بمقدار ما تبذله في تمهيد العمل لهـذه الهيئة الجديدة ، وما تمضي في تهيئته حتى تظفر بقانون دولي قائم السلطان ، وما تنشىء من وسائل مشتركة فعالة في سبيل حفظ السـلام ، وما توثقه من الروابط القوية في التعاون الاقتصـادي والاجتماعي من أجل الخير العام .

فالركن الرابع في هــذه الخطة يعتمد على الأركان الثلاثة الأخرى .

— ٥ —

هذه هي الخطة . وإنني لأظن أنها تدخل في حسابها الحقائق التي لا تتغير ، والآمال التي لا تخمد . وإنني لعلى يقين من أنها لا يعوزها ما وصفه الذين كتبوا وثيقة الاستقلال الأمريكية بقولهم : « الاحترام الكافي لآراء الناس » . فليس في التاريخ خطة للسلام عرضت لكي تمحصها آراء الناس كما عرضت هذه الخطة .

وقد خرجت هذه المقترحات من مرحلة دمبرتون أوكس في ٩ أكتوبر من العام الماضي ، ونشرت في العالم كله . وقد مضت أشهر وهي موضوع تتدارسه الحكومات والصحف ومحطات الإذاعة والأفراد والجماعات في جميع البلاد . وستعرض في حينها على مؤتمر تمثل فيه الأمم التي تخوض غمار هذه الحرب لإنشاء عالم تسوده الحرية والسلام ، ثم يعود الممثلون إلى كل بلد للموافقة عليها في مجلسه التشريعي أو الهيئات الحكومية المختصة .

إننا ننشد رأياً شعبيا رزينــاً مدروساً وافياً في هذه الخطة ، فإذا تمت الموافقة عليها وأبرمت ، فإننا ننشد لها تأييداً صادقاً مجدياً ، لا من الحكومات وحسب ، بل من الشعوب أيضاً . وإذن ، فهي الشعوب — والشعوب وحدها — وعزمها الصادق وفهمها ، وولاؤها المقيم ، هي التي تستطيع أن تجعل هــذا العالم عالماً يسوده السلام والأمن والارتقاء .

****

سوء الفهم

كان سيمون بوليفار ، محرر أمريكا الجنوبية ، ينوي أن يبيت ليلة في مدينة صغيرة في بيرو ، فأرسل ياوره خطاباً إلى صاحب النزل في المدينة يطلب فيه « إعداد حجرة مجهزة تجهيزاً خاصا بوسائل الراحة وبالطعام الخ.. الخ..الخ » .

وحين وصل بوليفار إلى البلدة قيد إلى أفضل حجرة في النزل ، وبعد أن أعرب عن رضاه ، توجهوا بالرجل العظيم إلى الحجرة المجاورة حيث رأى ثلاث غوان جميلات جالسات . فقال : « ومن هؤلاء الفتيات ؟ » .

فقال صاحب النزل : « الخ ، الخ ، لخ » .

[دايجست أمريكا الجنوبية]



الشبح الطائر

ملخصة عن كتاب
"صدى المجد"

الكولونيل روبرت ل. سكوت "الابن"
مؤلف كتاب "في الطائرة والمدفع"

كان المطر ينهمر قبل العتمة بساعة على مطار كينو الضيق الرقعة ، وقد جثمت في مدرجه طائراته الثمان من طراز ب / ٤٠ يجللها ضباب لا يرى فيه سوى مقدمها الذى يحاكى رؤوس سمك القرش المفترس .

وأخذ جونى هامشير ، قائد السرب ، يتطلع من كهف الإدارة يترقب بادرة صفاء فى الجو ، فإن سربه التابع لسلاح الطيران الصينى قد قدم من كون منج إلى هذا المطار فى شرقى الصين ، وقد أخذ أهبته للمشاركة فى القتال من فوره ، ثم مضى عليهم أسبوع والجو كريه لا يدع لهم ما يفعلون سوى التململ على مضض .

وفى تلك اللحظة جاء الإنذار ، وأخذت التلفونات ترن ، فصاح : « ماذا دهاكم يا كابتن شو ؟ »

رشق الضابط الصينى علماً أحمر على الخريطة وقال : « لا أدرى . فإن نقطة ر /١٥ تنبىء بأن طائرة لم تستبن جنسيتها قادمة نحونا ، وهى قريبة جدا من الأرض » .

لم تتوغل الطائرات اليابانية قط مثل هذا التوغل برًّا ، فى مثل هذه الأحوال الجوية . ثم هى طائرة واحدة ، وليس هذا من عادتهم أيضاً ، فقد علموا منذ زمن طويل أنهم إذا فعلوا فلن يرجعوا أبداً .

ومع ذلك فقد تكون هذه إحدى خدعهم ، فقال جونى : « اتصل بكوخ المراقبة وقل لكوستيللو أن يتبعنى ويظل قريباً منى ، ولتبق الطائرات الست على الأرض لا تتحرك إلا إذا ناديتها » .

وانطلقت تجرى على المدرج طائرتان أثارتا خلفهما رشاشاً يتناثر من الوحل الأحمر ، ثم احتوتهما الغيوم الدكن المثقلة بالماء .

ومن غرفة الراديو أمكنهم أن يسمعوا صوت جونى وهو يستفهم عن موقع الطائرة المجهولة ، وكان من أخبارها حينئذ أنها على بعد ٢٠ ميلا فحسب إلى الشرق .

وقد روى جونى فيما بعد ما حدث فقال : إنه كان قد بعد عن المطار عشرة أميال

تقريباً حين رأى الطائرة تحته بمسافة ٢٠٠ قدم . فهمّ بمهاجمتها ، فهي طائرة لم تعرف حقيقتها ، قادمة من أرض العدو ، فالأوامر تقضي بإسقاطها .

وأطلق جوني وكاستيللو النار عليها لساعتهما واقتربا في هجومهما من الطائرة بحيث استطاعا أن يبصرا علامتها ، فصرخ كوستيللو في المذياع : « أرى عليها علامة أمريكية — هي من طراز ب/٤٠ » ، ومع ذلك لم ينقطع توجسهما بأنها خدعة ، فالعلامة وإن تكن أمريكية ، إلا أنها من رسم قديم — رقعة سوداء ، عليها نجمة بيضاء ، وسطها قرص أحمر . وكانت الولايات المتحدة قد أبطلت هذه العلامة منذ سنة ، إذ رأت أن هذا القرص الأحمر قريب الشبه « بالشمس المشرقة » !

وقال جوني إنه أصابها هو وكاستيللو بمئة طلقة على الأقل قبل أن يفطنا إلى أنه من العبث مهاجمتها ، فإن هذه الطائرة كانت — من قبل أن يقع بصرهما عليها — قد أصابها وابل من الرصاص مزقها تمزيقاً ، فمقعدها لم يكد يبقى منه أثر ، وهيكلها من كثرة ما به من الخروق كالغربال . ولما زاد قربه منها رأى الفجوتين اللتين تضمان العجلتين عند سحبهما فارغتين ، وما كان الرصاص ليفعل هذا ، إذن فهذه طائرة لم تكن لها عجلتان البتة .

ثم استطاع جوني وكاستيللو ، وهما يطيران بالقرب من ب/٤٠ ، أن يتبيّنا الطيار من وراء الوقاء الزجاجيّ المهشم ، قد مالت رأسه على صدره ، واستطاعا أيضاً أن يتبينا شعره الطويل الفاحم ووجهه الملطخ بالدماء .

ولم تمض بضع ثوان حتى رأيا هذا الشبح الطائر يصطدم بالأرض وينفجر ، فحرص كلاهما على التثبت من موضع اصطدامه كيلا يضلا عنه .

واصطحبا الطبيب فيما بعد ، وطافا بسيارة نقل حول حقول الأرز حتى وصلا إلى الحطام .

كانت الطائرة ب/٤٠ مثخنة بالجراح ، قد مزقها الرصاص تمزيقاً ، رصاص جاء من تحتها ومن فوقها ، من خلفها ومن قدامها ، مما يدل على أنها هلكت برصاص طائرات معادية ورصاص المدافع المضادة . وتملكتهم الحيرة فلا يدري أحد منهم كيف بقي الطيار حيًّا يقود طائرته هذه المسافة الطويلة التي قطعها ولا ريب . ولم يترك الطيار لهم شيئاً كثيراً يستدل به عليه ، غير أن سترته المصنوعة من الجلد كان بها رسائل بقي منها أجزاء تقرأ ، ومفكرة قد تلف بعضها

. كان خلطاؤه يلقبونه تندُّراً «شـ ـريل —



إثر الهجوم على قاعــدة بيرل هاربور ، رفض طلب التطوع للقتال المقدم من الطيار روبرت . ل . سكوت وقيل له إنه ، وقد بلغ الرابعة والثلاثين ، قد تجاوز بكثير حــد السن التى تصلح لقيادة طائرات القتال ، وألحق بطائرات النقل العـاملة فى الشرق الأقصى ، وهناك استطاع أن يقنع الجنرال شينو بأن يسمح له بقيادة طائرة مقاتلة . وفى سنة ١٩٤٢ عين الكولونيل سكوت — وقد استفاضت شهرته بأنه « قوة طيران قوامها رجل واحد » — قائداً لأول سرب من طائرات المطاردة الأمريكية فى الصين . وهو يعد بين الطيارين الأمريكيين ، الرجل الذى بلغ الغاية فى إسقاط طائرات العدو ، فضلا عما ناله من الأوسمة الكثيرة ، وما فاز به مراراً من ذكر فى البلاغات الحربية . وهو مؤلف كتاب « فى الطائرة — والله معى » ، وقـد وصفته جريدة نيويورك تيمس بأنه « لا يدانيه كتاب آخر فى وصف الحرب عن تجربة وصفاً شائقاً أخاذاً » . ووضع كتاباً آخر أسماه « صرعى المجد » وهو سلسلة من وقائع لم تستفض شهرتها ، جمعها إشادة بذكر زملائه الطيارين الشجعان ، وطائراتهم التى لاقت عناء شديداً .

« أبو شعيرة » ، ويرجعون كلفه بشراب الجعة إلى أيامه الأولى فى ولاية كارولينا الجنوبية . وكان أول ذهابه إلى مانيلا سنة ١٩٣٧(*) وألحق بادئ الأمر بسرب المطاردات ، ثم عهد إليه بعمل الضابط المكلف بإنشاء سلسلة من المطارات الإضافية .

وقد برهن « أبو شعيرة » على أنه فى الطيران ابن بجدته ، فما من مكان فى الجزائر إلا وهو قادر على أن يقود طائرته إليه . ويستطيع أن يعرف من لون الماء مهبطه من خلل السحاب أهو فى بحر سولو أم فى بحر فيزيان ؟ وأنشأ المطارات فى طول الجزائر وعرضها ، وكان ملما بأمكنتها ، فلما أتمها كان قد أصبح نائب قائد سرب .

وبعد يوم ٨ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، يوم بيرل هاربور ، تولى أبو شعيرة القيام برحلات استكشاف أو إرهاق للعدو ، وسلاح الطيران الأمريكى فى ذلك الوقت تتناقص قواه ويتراجع ، وهو يقاتل ، خطوة خطوة إلى تلك المطارات المهيأة للطوارئ التى أنشأها صاحبنا نفسه من قبل وسط الأدغال .

وفى ٥ مايو ١٩٤٢ ألفى نفسه منقطعاً عن بقية العالم ، إذ كان يتبع قوة صغيرة اتخذت مقرها فى ميراماج بمندناو . وكانت باتان قد سلمت ، وغاية ما يعلمه هو أن قوة

(*) أسماء الأشخاص والأماكن فيما يلى أسماء منتحلة حرصاً على سلامة المحاربين .

الطيران الأمريكى كلها فى الجزائر تتألف من أحد عشر عاملا ميكانيكيا هربوا إلى الجزائر الجنوبية فى طرق ملتوية ، وطائرة واحدة قديمة من طراز ب / ٤٠

ورأوا أنهم إذا رمموا هـذه الطائرة الوحيدة بمختلف البقايا التى يظفرون بها من حطام الطائرات التى وقعت بالقرب منهم فإنهم يثبتون فى الحرب زمناً ما . وإنها لطائرة لا بأس بها ، اللهم إلا هذا الالتواء فى مراوح محركها ، وهـذا الاعوجاج فى هيكلها .

ومضى عليهم أسبوعان وهم يذرعون منطقتهم لفحص كافة ما بهـا من حطام ، وأخيراً عثروا، على بعد ٤ أميال من قاعدتهم، على حطام طائرة من طراز ب / ٤٠ وهيكلها جـدير بأن يستنقذ ، وساعدهم ٤٠ من أهالى الجزائر فى حمل الهيكل ، مستعينين بالحبال والأعمدة ، يحركونه شبراً شبرا ، وذراعاً ذراعا ، حتى وصلوا به إلى ميرماج ، وإنه لحمـل لا يقل وزنه عن طن كامل . وكانوا كلما ظهرت طائرة معـادية فوق رؤوسهم سـارعوا فغطوا حملهم بسعف النخل .

ولما حلّ شهر أغسطس كانوا قد ركبوا الجناح السليم من طائرتهم القديمة فى الهيكل المستنقذ ، ثم أقاموا رافعة على ثلاث قوائم وشدوا إليها المحرك حتى استقر وهبط فى مكانه . وكان خزان الزيت فى أحد الجناحين نزّازاً ، فأبدلوا به غيره ، ونزعوا من الطائرة جهاز الراديو ومالا ضير فى الاستغناء عنه ، ووضعوا فى المكان المخصص للأمتعة خزاناً يسع ٥٠ جالونا ، ووجدوا مقداراً من الزيت فى خزان طائرة من طراز ب / ١٧ محطمـة بالقرب منهم ، وقوموا مراوح المحرك الملتوية بدقها بمطرقة ثقيلة على جذع شجرة خشبها صلب شديد .

وأعضلتهم مشكلة تركيب عجلتين تنسحبان فى فجوتهما إذا ارتفعت الطائرة، فقال أحد الجنود عابثاً : « لو أن السماء أمطرتنا ثلجاً لاستطعنا أن نثبت مكانهما عارضتـين من عوارض الانزلاق على الجليد » فسخروا منه جميعا ، ولـكن أبا شعيرة تذكر فجأة أنه ارتفع مرة بطائرة من طراز ب / ٦ ثم هبط بهـا على عارضتـين من عوارض الانزلاق على الجليـد ، إلا أنه هبط على حشائش ندية .

وكلما ازداد تفكيرهم فى الأمر ازدادت رغبتهم فى تجربة تلك الوسـيلة ، فأخذوا يتدبرون كيف يمكن تثبيت عارضتى الانزلاق يتخذونهما من الخيزران ، وكيف يمكن أن ترفع العارضتان لتستقرا فى فجوة العجلتين . فلم يجدوا بداً من إسقاط العارضتين

إذا ارتفعت الطائرة بهز سلك تربطان به . ومعنى هذا أن الطائرة إذا ارتفعت فلن يتسنى لها أن تعود ، ثم إنه لن يطير بها إلا رجل واحد منهم .

أخرجوا الخرائط ليروا أين تستطيع الطائرة أن تصيب اليابانيين بأفدح الضرر ، فوقع اختيارهم على فورموزا ، فلليابانيين قاعدة بحرية هامة فى تايهكو وهى تبعد عنهم ألف ميل ، ثم وراءها على مسافة ٢٥٠ ميلا على الشاطىء الصينى مطار كينو . فإذا أحسن الطائر تدبير زيته، فلعله يستطيع أن يبلغه أيضاً .

فلما كان يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٣ كانوا قد مهدوا بمداهم مدرجاً على الحشيش للطائرة، طوله ٥٠٠٠ قدماً ، وتمت كل الاستعدادات لقيام الطائرة . وكم كان منظرها عجيباً، فهى طائرة من طراز ب/٤٠ تنتعل عارضتى انزلاق ولكنها كانت كاملة الاستعداد ، بها ٤ قنابل زنة ٣٠٠ رطل ، وستة مدافع رشاشة من عيار ٠٫٥٠ سم .

وقال أبو شعيرة : « ماذا ترون لو جعلنا قيامنا فى يوم ذكرى هجوم هؤلاء الأوغاد علينا ، سأطير من هنا فى صبيحة ٨ ديسمبر »

وفى الساعة التاسعة من يوم ٨ ديسمبر دفع الرجال بالطائرة من مكمنها إلى رأس المدرج ، ووجهوها نحو منحدر تل حيث ينتهى الحشيش الممهد عند حافة صخور مرتفعة .

صافح أبو شعيره زملاءه واحداً واحداً، ولما صعد إلى مقعده رأى الدموع تترقرق فى عيونهم ، وكان يعلم أنه يتملى برؤية وجوه لن يراها مرة أخرى ، وارتفع صوته فوق هدير المحرك يقول: إنه سيقذف قنابله حيث يصيب اليابانيين بأوجع الضرر .

ورأى الرجال الطائرة تقطع المدرج وثباً وثباً وهى تحجل كالغراب لا تسعفها قائمتا الخيزران ، ولكنها تزداد سرعة على الوثبات. وما هى إلا طفرة مبعدة ، وعويل من المحرك عال ، وإذا هذه الطائرة العجيبة ترتفع فى الهواء مجتازة مكان الصخور .

ولما وصلت إلى ارتفاع ألف قدم قوم أبو شعيرة طائرته ، وأسقط عارضتى الانزلاق، ثم عاد وحلق بها فوق مقرهم ، ليتسنى للرجال أن يروا نجاح جهدهم الذى بذلوه شهراً كاملا . ثم اتجه بها نحو فورموزا .

وصل أبو شعيرة إلى الجزيرة اليابانية بعد ٥ ساعات من قيامه ، وقد أيد اليابانيون ذلك فيما بعد . واليابانيون يفخرون بأنه ما من رجل غربى وقعت عيناه على فورموزا فى السنوات الأربعين الماضية ، فها هو ذا رجل يحلق اليوم فوقها ! ولا جرم أن

يكون المطار الذى بدا لعينى أبى شعيرة قد أسال لعــابه ، فقد كان مكتظا بصفوف منتظمة من طائرات القتال وقاذفات القنابل . فضربها صفا بعـد صف ، وحطم بطرف جناح طائرته العلم اليابانى المرفوع فوق قيادة المطار ، وأسقط أولى قنابله فوق أبنيـة الإدارة . وبدأت طائرات العـدو تدخن وتحترق وتنفجر .

ثم أخذت الطائرة ب / ٤٠ تهتز من وقع رصاص المدافع المضادة ، ولم يكن له مايفعله إلا أن يظل طائراً على ارتفاع منخفض حتى لا تستطيع المدافع أن تسدد إليه قذائفها طويلا ، ثم أخـذ يضرب كل طائرة يقع بصره عليها بإحكام .

ولحقته الطائرات اليابانية من طراز زيرو . فأسقط قنبلته الأخيرة على إحـدى الحظائر ، وهجم على الطائرات القاتلة يصليها بناره مستبسلا يائساً ليشق طريقه بينها .

ولا يدرى أحد كيف اصطلح قلب هـذا الرجل وجسم طائرته المتين ، على أن يفلتا وينفذا من خلال السحاب فى طريقهما إلى الصين ، دون أن يكون لديه من الأجهزة مايعينه على معرفة الطريق . ولقد انطلق كالسهم من تايكو إلى فرنكو وإلى كينو ، كما أبدت ذلك تقـارير مراكز المراقبـة فى الأراضى الصينية .

وانشق الضباب عن طائرة ، وفى أثرها أخريان ، وانهـال الرصاص من المدافع فأصيبت مرة أخرى طائرة ، وجرح طيار ، وكلاهما كان قد أثخنته من قبـل الجراح ، وأدار أبو شعيرة وجهه المخضب بالدم يتطلع ، من وراء وقائه الزجاجى المحطم ، إلى الطائرات الأمريكية التى تشبه سمك القرش المفترس ... هم زملاؤه يهاجمونه عن قرب ، وفى صف واحد ... نعم هكذا الحياة .. فليكن ، لقد عاد إلى وطنه ، وقد أنجز مهمته وأدى واجبه .

مثل المذاهب الاجتماعية

الشيوعية : إذا كنت تملك بقرتين ، فعليك أن تعطيهما للحكومة فتعطيك بعض اللبن الحليب .

النازية : إذا كنت تملك بقرتين ، فإن الحـكومة ترميك بالنار وتحتفظ بهما .

الرأسمالية : إذا كنت تملك بقرتين ، فإنك تبيع إحداهما وتشترى ثوراً .

وعد باهر للمدنيين ، يهيئه نجاح القوات المسلحة الرائع ، عن ...

الأمراض التي تنتقل عدواها بالهواء لقد كبح جماحها

لويس ماتوكس ميلر

ملخصة عن مجلة "هايجيا"

أطباء جيش الولايات المتحدة وبحريتها نصراً ساحقاً على أمراض جهاز التنفس التي تنشأ عن جراثيم تنتقل عدواها بالهواء ، كالزكام الشديد والتهاب اللوزتين والحصبة والحمى القرمزية والالتهاب السحائي والالتهاب الرئوي — وأهم من ذلك كله الحمى الروماتزمية . ففي ثكنات الجنود وفي السفن، يختلط الناس في معيشتهم بحيث تنتشر بينهم هذه الأمراض انتشار النار في الهشيم . وقد كانت جميعها شائعة في قوات الولايات المتحدة المسلحة في سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٣

وقد هبط انتشارها الآن إلى حده الأدنى ، وكانت النتائج باهرة حتى حين تعرضها بلغة الأبحاث الرزينة التي تليت رسائلها في اجتماعات عقدت قريباً للجمعيات العلمية . ولم يتسع الوقت ولا تهيأت الفرص لتطبيق الطريقة الجديدة على المدنيين ، ولكن من الواضح أن الصحة العامة ستصيب منها نفعاً جزيلا .

في سنة ١٩٤٢ ، وفي معسكر واحد من معسكرات بحرية الولايات المتحدة يضم ٤٣٫٠٠٠ رجل، حدثت ٤٩٧٣ إصابة بالحمى القرمزية و ١٣٧٥ بالحمى الروماتزمية و ١٢٨٣ بالالتهاب الرئوي و ٥٠٫٠٠٠ بالتهاب اللوزتين. وكذلك ضاع على الخدمة العاملة مجهود أكثر من ٥٥٠٫٠٠٠ يوم من أيام عمل الجنود . وفي سنة ١٩٤٣ أضاع ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنود وقتاً في المستشفيات، من جراء التهاب الحلق والزكام والتهاب الكهوف العظمية في الرأس والأنفلونزا والالتهابات الرئوية ، وما شابه ذلك من الأمراض . وحينما انتشرت هذه العلل في مجاري التنفس لاحظ الأطباء ارتفاعاً مشهوداً في إصابات الحمى الروماتزمية التي تورث عاهات القلب .

ولقد عرفت الحمى الروماتزمية منذ قديم بأنها قضية خطيرة من قضايا الصحة العامة ، وهي علة شائعة في الطفولة ، وكثيراً ما تصيب المراهقين . وهي تخيلُ المريض في بدئها فتبدو كأنها زكام شديد ، ثم تنقلب حمى وألماً وورماً في المفاصل ، وتعدو في النهاية على صمامات القلب ، وكثيراً ما تكون منيّة قاضية .

ولكي يمكن استئصال تلك العلل التي

تفتك بالشباب صدرت الأوامر للأطباء العسكريين أن يعلنوا حرباً لا هوادة فيها على الأمراض التى تنتقل عدواها بالهواء . وكانت المشكلة مغلقة ، فجرثومة الحمى الروماتزمية مثلا وأسباب علاجها ما زالت كلها مجاهيل . ولكن أطباء الولايات المتحدة فى الجيش والطيران ، تحت رياسة الكولونيل و . بول هولبروك ، وجدوا أن أكثر من نصف أمراض مسالك الهواء التى تصيب رجال القواعد العسكرية والجوية تقترن كلها بوجود الميكروب السبحى الذى يحدث التهاب الحلق المألوف . ووجد الكولونيل هولبروك أيضاً أن الحمى الروماتزمية كانت تبلغ مبلغ الوباء دائماً عقب أوبئة العدوى بالميكروبات السبحية . وبدا خط من خطوط الهجوم واضحاً هو : أن نقضى على هذه الميكروبات .

ولجأ الأطباء إلى السلاح الوحيد الناجع فى علاجها وهو واحد من أحدث مشتقات السلفا — السلفاديازين ، ولكنهم انتضوا هذا السلاح متهيبين . فأغلب المرضى يتعاطون عقاقير السلفا فلا يصيبهم أذى ، أو يصيبهم أذى ضئيل ، إذا تولى ذلك لهم طبيب مجرب ، ولكن بعضهم يدركه منها أذى شديد ، كطفح الجلد والصداع واختلاط العقل والهذيان .

ومع ذلك فإن الكولونل هولبروك فى قوات الجيش والطيران والكوماندور ألفين ف . كوبرن فى بحرية الولايات المتحدة وآخرين ، قد أدركوا أن جرع السلفا الضئيلة مأمونة العواقب ما دام المريض خاضعاً للمراقبة الدقيقة ، وما دام دمه يختبر بين الحين والحين ، ولما كانت نظم الجيش والبحرية تستطيع أن تكفل هذه المراقبة الدقيقة ، فقد قرر الأطباء أن يمضوا فى هذا السبيل قدماً .

وفى شتاء عام ١٩٤٣ — ١٩٤٤ دهش البحارة والجنود فى عشرات من المؤسسات الحربية ، إذ وجدوا أنفسهم يُصفون صفوفاً كل يوم ، ثم يؤمرون بتعاطى نصيبهم من حبوب السلفا تحت أبصار الضباط التى لا تغفل . وترك عمداً فى كل معسكر فئة لم تعط الحبوب ، حتى يقدر الأطباء ، من مقارنتهم بزملائهم ، مبلغ تأثير عقاقير السلفا على وجه الدقة .

وكانت النتائج : أن اختفى الالتهاب السحائى أو كاد ، وانخفضت إصابات العدوى بالميكروبات السبحية بما فيها التهاب اللوزتين الحاد ما بين ٧٥ و ٩٠ فى المئة ، وهبطت أمراض مسالك الهواء الأخرى بما فيها الالتهاب الرئوى الفصى والزكام أكثر من ٥٠ فى المئة .

وفى إحـدى القواعد الجوية الكبيرة حيث انتشر وباء شديد من أوبئة الالتهاب السحائى الناشئ من عدوى الميكروب الكروى السحائى ، أمكن وقف الوباء بإعطاء جميع الجنود فى القاعدة جرعات من السلفاديازين . وفى نفس الوقت كانت القاعدة ذاتها مسرحاً لوباء آخر من أوبئة الحمى القرمزية ، فانقرض الوباء بعد تعاطى العقار .

ولاقت تجارب البحرية نجاحاً مماثلا ، ففى مؤسسة كبيرة على مقربة من شيكاغو حيث كانت عدوى الميكروبات السبحية تجرى عن أرسالها ، انخفضت إصابات الحمى القرمزية فى الأشخاص الذين يتناولون السلفا من ١٧١ إلى الصفر فى بحر ثلاثة أسابيع ، وهبطت إصابات الحمى الروماتزمية من ٨٧ إلى ست إصابات فى أربعة أسابيع ، وقلت أمراض مجارى التنفس العامة بمقدار ٨٠ فى المئة ، على حين كان معدل إصابات الحمى القرمزية والحمى الروماتزميـة بين أولئك الذين لم يتخذوا هـذه الوقاية يجرى مجراه المعتاد .

وفى الجيش والبحرية ، كانت عدد من أصابتهم السلفا بأذى كريه يبلغ كسراً من واحد فى المئة .

ولم تذع إلى الآن التقارير النهائية لحملة قوات الجيش والطيران على الحمى الروماتزمية ، ولـكن المقدر أن معدل إصاباتها قد هبط نحو ٧٥ فى المئـة ، ويقول الكولونل هولبروك : « إن من العسير أن يكتم المرء حماسته تلقاء مثل هذه النتائج » .

على أن عقاقير السلفا لم تكن هى الأسلحة الوحيدة التى شنّ بها الأطباء العسكريون هـذه الحرب المظفرة على الميكروبات التى تنتقل عدواها بالهـواء ، فقد صنع علماء جامعتى شيكاغو ونورث وسترن ، تحت إشراف مصلحة البحث والتقدم العلمى ، رشاشاً من الجليكول عسى أن يكون خير شرك اخترعه البشر لصيد الميكروبات ، هذا على أنه خلو من الأذى والرائحة . فإذا رشت به الأرض والجـدران والأسرة والمنسوجات بعناية ، كادت كلها تشابه ورق الذباب اللزج فى صيدها للميكروبات التى يحملها الهـواء ، فيقل عددها فى الهواء أكثر من ٩٧ فى المئة . وفى التجارب العلمية التى أجريت فى ثكنات الجيش كاد رشاش الجليكول يبيد الميكروبات السبحية المذيبة للدم من الهواء ، ووقف انتشار الأمراض المعدية التى تصيب مسالك الهواء .

وسرعان ما يفجؤنا هذا السؤال : إذا كانت عقاقير السـلفا قد وفقت كل هـذا التوفيق فى توقى أمراض مجارى التنفس فى

القوات المسلحة فلم لا يُيسَّر استعمالها لجمهور المدنيين ؟ والجواب على هذا السؤال يجب أن يؤجل حتى يوجد بديل صالح يحل محل النظام الحربى بين المدنيين . فإن عقاقير السلفا من شدة الخطر بحيث لا ينبغى أن تستعمل لمجرد الرغبة فى استعمالها كالأسبرين ، بل يجب أن تعطى بجرع يعتنى بتقديرها ، تحت إشراف طبى دقيق ، مع فحص الدم بين حين وحين لمعرفة فعل الدواء .

ولكن لا ريب فى أن بعض العبر المستخرجة من ذلك البرنامج الموفق الذى وضعته قوات الخدمة العاملة للسيطرة على هذه الأمراض ، سيكون فى متناول الجمهور قبل مضى وقت طويل .



للنفس أسرار

— ١ —

روى « لويس كان » رئيس معهد « كان » للمهندسين ، أن العمال شكوا من حالة الجو فى أحد مصانع الطائرات على الرغم من أن الأجهزة العلمية الدقيقة دلت على أن درجات الحرارة والرطوبة فيه هى أنسب ما يكون لحالة العمال والعمل . فأخذ رجال معهد « كان » أشرطة من القماش وربطوها بالمشابك أمام الأنابيب التى يندفع منها الهواء ، وجاء العمال فى الصباح التالى فرأوا الأشرطة تخفق فى تيار الهواء ، ففرضوا أن تعديلا قد تم فى أجهزة تكييف الهواء . فلم تنقطع الشكوى وحسب ، بل صار كل منهم يزعم أنه فى المصنع أحسن حالا منه فى بيته . [ج . هال رسلر]

— ٢ —

كانت المهمة التى عهد بها إلى فتاة ، أن تقرع أجراس البيوت ، وتلقى على رباتها أسئلة يقتضيها استطلاع علمى فى موضوع « الاستهلاك » . ولكنها كانت تجد من ربات البيوت ممانعة فى الإجابة ، فاهتدت إلى وسيلة تمكنها من التغلب على هذه المقاومة . فكانت إذا همت بالخروج بعد خيبتها ، تشد خيطاً فتتهاوى إلى الأرض حبات عقد من اللؤلؤ المصنوع الرخيص . وليس فى وسع امرأة أن تنظر إلى حبات اللؤلؤ تتساقط على الأرض وتقف غير حافلة بها ، فإذا انحنت المرأتان لالتقاط الحبات زال الحاجز بينهما واستفاض الحديث ، فتظفر الفتاة بالأجوبة التى تريدها .

[صحيفة نيويورك هرالد تريبون]

[الحكومة الولايات المتحدة ووزارة الحربية ووزارة الاقتصاد الخارجي ، خطط محددة عن الطريقة التي تعامل بها ألمانيا بعد هزيمتها ، وإليك بيانها]

خطة أمريكا في معاملة ألمانيا

چورچ كرنيل • ملخصة عن مجلة "كوليرز"

ليس من رأى الولايات المتحدة، ولا هو نيتها، أن تزيل من الخريطة ألمانيا المنهزمة، وأن تفرق الألمان في الأرض أيدى سبا ، بل الأمر على نقيض ذلك ، فهناك أمل وطيد في إمكان شفاء شعب مريض، أشرفت به على التلف قرون متعاقبة من التربية السيئة ، ورده إلى مكانه في جماعة الأمم .

ولكن مهما يكن من الأمر، فإن أمريكا تصر على أخذ ألمانيا بنظام صارم حتى يظهر الدليل على أنها شفيت من علتها . وكل خطة غير هذه إن هي إلا استثارة حرب عالمية ثالثة.

وقد بت الرأى في مدى هذا النظام الصارم وصورته ، وقد ظفرت وزارتا الخارجية والحربية، تعضدها إدارة الاقتصاد الخارجي ، باتفاق صريح بعد أشهر من الدرس والبحث ، ولا تزال الأساليب مطروحة على بساط البحث، ولكن المسائل الجوهرية قد تحددت .

وأول ذلك أن ألمانيا المقهورة يجب أن تظل مجردة من السلاح ومن المنشآت الحربية . وهذا الشعب الذى يعد نفسه سيد الشعوب ينبغى أن ينزل منزلة من العجز الحربى ، بحيث لا يستطيع أشد أفراده تعصباً أن يتطلع إلى التفكير في مغامرة أخرى للسيطرة على العالم .

والمطلب الثانى هو اعتقال مجرمى الحرب جميعهم ومحاكمتهم ، سواء من كان منهم في أسمى مكانة ومن كان في أدنى منزلة . وقد حذر كوردل هل ، حينما كان وزير خارجية الولايات المتحدة ، الأمم المحايدة أن تتخذ حق الأمم التاريخى في حماية اللاجئين السياسيين ، وسيلة لحماية رجال متهمين بارتكاب أفظع الكبائر .

والأمر الثالث : أن يرغم الألمان على أن يشاركوا في إعادة تعمير عالم دمره عدوانهم، وكما كدوا وضحوا في الاستعداد للحرب ، واستبدلوا المدافع بالزبد راضين ، فيجب أن يكدوا ويضحوا لإصلاح الخراب الذى جرته وحشية الحرب .

وسنوجز ذكر الأسباب التى أدت إلى الاتفاق على هذه المطالب الثلاثة الأساسية كما أوضحها لنا كبار الموظفين الرسميين .

من ناحية الاحتلال العسكرى والحكم الحربى، ماهو التصرف السليم المعقول؟ فهل تترك الألمان يعملون على الخلاص ؟ ولكن بأى وسيلة ؟ فليس هناك مجلس الريخستاج، ولا حزب معارضة ، ولا حركة عمال ، ولا جماعة من المفكرين لهم ماض فى المعارضة، حتى ولا جماعة تعمل فى الخفاء. وقدتغلغل الفساد إلى صميم الإدارة المدنية والقضاء وسائر الأعمال . وسيوضع سلوك الرجال الذين يخرجون من السجون والمعتقلات موضع البحث، لأن هملر قد تحرى قتل جميع الذين توسم فيهم أى أثر للقيادة الوطنية .

فهل نستطيع أن نضع ثقتنا فى اللاجئين الذين فروا من بلادهم ؟ إن دراسة وزارة الخارجية لهذه الجماعات ، سواء فى الولايات المتحدة أو فى إنجلترا، تظهر أنهم على الرغم من كراهتهم جميعهم للنازية ، لاتزال أغلبيتهم الساحقة جرمانية النزعة فى صميمها ، فهم ناقمون على « الفوهرر » ، ولكنهم فى الوقت نفسه يجمعون على معارضة فكرة اتخاذ إجراءات تأديبية من أى نوع ، زاعمين أن الأمم المتحدة يجب أن تتخذ سياسة لإشفاق والرحمة .

ولقدكان رد كوردل هل المهذب الرقيق، على الذين قالوا بتكوين حكومة جديدة للريخ من اللجنة الاستشارية للألمان الديمقراطيين المنفيين : « إن هذا الاقتراح خيال كله » ، وترى وزارة الخارجية أنه من الغباء المفضى إلى الإجرام أن نضمن أو نعترف بأية حكومة ألمانية، قبل أن توجد مادة البناء السليم وتفحص، وسيسمح للادارات البلدية بمباشرة أعمالها بعد التطهير التام .

وأى شىء غير الاحتلال العسكرى يستطيع أن يشفى الألمان من جنون العظمة ؟ والقيادة العليا الأمريكية تنبذ الفكرة التى تزعم أن الألمان يمكن ردهم إلى الصواب ، بأن تغير كتب الدراسة وحسب . وهيئة أركان الحرب العامة مجمعة على أن الطريقة الوحيدة لإعادة التربية التى يؤمل أن يكون لها أثر فى إعادة تهذيبهم هى مواجهة الألمان بمجموعة من الحقائق القاسية التى لا تلين، مثل حقيقة هزيمتهم ، وحقيقة أنهم ليسوا شعباً له السيادة ، وحقيقة أن ادعاءهم أنهم لايغلبون هوادعاءباطل. ومادامت القوة هى الشىء الوحيد الذى يبدو أنهم لا يفهمون سواه ، فلنظهر لهم القوة . وعند ما أعلن أيزنهاور أن الجيوش الأمريكية قد دخلت ألمانيا دخول الغزاة ، كان استعمال هذه اللفظة خطة مقصودة من القيادة العليا .

وقد أعطت معاهدة فرساى ألمانيا حق الاحتفاظ بجيش قوامه مئة ألف ، وحق الإبقاء على عدد من السفن ، وأن تستمر

بها صناعة الطيران . وقبل أن يجف مداد الهدنة كان مليون من الشبان يدربون سراً ، وبدىء فى تشييد أسطول ، وكانت مصانع الآلات الحربية تعمل سراً ، والمعامل تقذف بالعدد العديد من الطائرات التجارية التى يسهل تحويلها إلى أغراض الحرب .

وقدكان ستمسون وزير الحرب والجنرال مارشال من رجال الجيش الذين شاهدوا ذلك بعيونهم ، وقد علمتهما التجارب المريرة أن الأمل الوحيد فى السلام الدائم هو تجريد ألمانيا من السلاح ومن المنشآت الحربيـة ، ولا يجب مصادرة السفن الحربية والدبابات والطائرات والمدافع وأكداس الأسلحة فحسب ، بل يجب أيضاً مصادرة المسدسات وبنادق الرش ، وتجريد مصانع الأسلحة وإتلاف آلاتها أو إرسالها إلى أماكن بعيـدة ، ومنع الطيران التجارى ، وحتى صناعة الطائرات الخاصة ، وجعل طائرات أجنبية تقوم بما تحتاج إليه ألمانيا من النقل الجوى ، وتسريح الجيش الألمانى ، وتشتيت شمل هيئة أركان الحرب العامة ، واتخاذ الاحتياطات التى تكفل عدم العودة إلى إنشاء قوة جديدة متسترة باسم جماعات المصارعة أو الغناء ، ويمنع ارتداء الملابس العسكريةوتشكيلات التدريب، والاحتفالات القوميـة التى تقام تكريما للانتصارات الألمانية أو ميلاد أبطال ألمانيا الحربيين .

وهناك داع آخر يدعو إلى الاحتـلال العسكرى ، فحتى بعد التسليم سيكون هناك جيوب للمقاومة ، لأن جنود جيش العاصفة وجلادى الجستابو ، وقد وثقوا أن مصيرهم إلى الإعدام ، سيضطرون إلى الجهاد حتى النهاية . وفضلا عن ذلك فإن لدى قلم مخابرات الجيش السرية ما يثبت أن عصبة « فيم » الإرهابية قد أعيد تنظيمها لقتـل جميع الألمان الذين يعاونون الحلفاء .

وهيئة القيادة العليـا الأمريكية لا ترى أساساً للخوف من أن يكون احتلال ألمانيا احتلالا عسكريا قضاء على الجيـوش الأمريكية بالخدمة فى الخارج زمناً غير محدد . وقوة مكونة من خمسمئة ألف تعدّ كافية ، وهـذه القوة ستجمع من الأمم المتحالفة كلها ، وسيكون الذى يطلب من كل أمة قليـلا نسبياً ، ويمكن أن يكونوا من الجنود المحترفين . وترى هيئة أركان الحرب أن منظر الجيوش من البلاد المحتلة فى ملابسها الحربيـة سيكون علاجا شافياً لشعب السادة فضلا عماله من منافع أخرى .

ولا تميل وزارة الخارجية ولا الجيش إلى اقتراح تقسيم ألمانيا المنهزمة إلى ثلاث مناطق حربية ، تدير روسيا الثلث الشرقى ، وتشرف إنجلترا على الثلث الشمالى الغربى ،

والولايات المتحدة على الثلث الجنوبى الغربى.
ولقد كانت هناك بعد الحرب السالفة هذه السلطة الموزعة ، وأسفر هذا النظام عن مشاحنات وتراخ وإهمال .

ولقد كان ما رمت إليه الولايات المتحدة هذه المرة هو « الإدارة المتحدة » التى تمنح سلطة إنشاء نظم وقواعد شاملة . ومهما يكن من الأمر ، فإن روسيا قد عارضت هذه الخطة ، وأصرت على أن يكون لكل قوة من القوات اليد المطلقة فى المنطقة الخاصة بها ، ولما كان النواب الأمريكيون يرون أن النصر لم يأت بعد ، فلذلك لم يجترئوا على توسيع شقة الخلاف . والجيش ووزارة الخارجية كلاهما مصر على أن تكون هناك سلطة عسكرية موحدة ، وهناك أمل فى أن يعدل الروسيون عن موقفهم .

وشدة الاستمساك بمعاقبة مجرمى الحرب أساسها الاقتناع العميق بأن العدالة السريعة الصارمة وحدها هى الكفيلة بمنع فظاعة قيام الجماهير للثأر والانتقام . وتقترح الولايات المتحدة محاكمات عسكرية، لقلة جدوى الإجراءات المدنية .

ومن المحتمل أن تثير هذه المسألة خلافاً حاداً فى الرأى ، لأن الروسيين لا يريدون محكمة عليا تدلهم على ما يأتون وما يذرون . وفى رأيهم أن العقوبة هى وحدها أخص ما يعنى البلاد التى عانت وحشية الألمان . وفضلا عن ذلك فإن الولايات المتحدة تفكر فى معاقبة رجال السياسة ورجال الجيش ، أما حكومة السوفيت فإنها تتهم الجماعات الاقتصادية أيضاً ، وترى أن كبار رجال الأعمال وسادة المال هم فى الجريمة مثل هؤلاء الذين تقطر أياديهم دماً .

أما من ناحية مطالبة ألمانيا بأعمال الإصلاح فالاتفاق تام ، وفى وزارة الخارجية أرقام تقدم البرهان الواضح على أن ألمانيا لم تخسر شيئاً بموجب ما سمى شروط معاهدة فرساى الفظيعة السالبة للأموال ، بل ربحت ربحاً سخياً ، ففى سنة ١٩٣١ عند ما رفضت حكومة الريخ كل الالتزامات الخارجية ، كانت قد دفعت أربعة بلايين دولار وأخذت ستة بلايين ونصف . حقاً هذه هى « ألمانيا الفقيرة » !

وهذا الوضع ليس معناه إقرار « خطة مورجنتاو » للقضاء على الصناعات الألمانية ، وإيصاد أبواب المناجم الألمانية ، وإرغام ألمانيا على أن تتحول إلى دولة زراعية خالصة ، وقد بينت وزارة الخارجية ووزارة الحربية وإدارة الاقتصاد الخارجى ، أن ذلك ليس إلا قضاء على ألمانيا، لأن أرضها الهزيلة المرملة لا تفى بحاجات نصف سكانها، وإذا انسحب

٧٠ مليوناً من الألمان لجأة من أسواق الصادر والوارد ، فماذا يكون تأثير ذلك على حالة أوروبا الاقتصادية المتشابكة .

إن البلاد المحتلة ، وقد نهبت واستبيحت تنتظر الإنشاء والتعمير؛ والملايين من العراة وذوى المسغبة فى أمس الحاجة إلى المطعم والملبس والمسكن، والعدالة تستلزم أن يحتمل الألمان هذه النفقات الباهظة، فإذا تحول الألمان إلى أمة من صغار المزارعين، فكيف يستطيعون أن يدفعوا تلك النفقات نقداً أو عيناً ؟

ويؤيد الأمريكيون أن تنطلق المصانع الألمانية إلى غايتها فى إنتاج السلع للبلاد التى تركها الألمان قاعاً صفصفاً ، وليس يخطر ببال أحد أن تحتفظ ألمانيا بتفوقها الصناعى المسيطر على اقتصاد جيرانها وأسباب حياتهم . وستعان فرنسا وبلجيكا وهولندة على النهوض السريع من كبوتها ، وسيبذل كل جهد لإنشاء صناعات فى الجهات المختلفة، بجنوب أوروبا وجنوبها الشرقى ، بإنشاء مشروعات توليد الطاقة والصناعات المحلية .

وفى الوقت نفسه ، تُرى أى شىء أقرب إلى المعقول من أن تنشأ صلة وثيقة بين الصناعة الألمانية والزراعة فى أوربا ؟ وأى شىء أعدل من أن نجعل الألمان يعملون فى استصلاح ما أفسدوه كما عملوا فى مصانع التسليح والذخائر ؟

وسيستغيث الألمان ويجأرون بالشكوى بطبيعة الحال ، كما ينتظر أن يسمع استصراخ من ناحية هؤلاء المشفقين الذين يتعلقون بأسطورة « الألمان الطيبين » ، ولن يحفل بشىء من ذلك . لأن سجلات وزارة الخارجية وإدارة الاقتصاد الخارجى تثبت إثباتاً قاطعاً أنهم لن يكلفوا بما لا تقوى عليه طاقتهم ، وقد أنفقت ألمانيا بين سنة ١٩٣٣ و سنة ١٩٣٩ — بحسب ما جاء فى هذه السجلات — ما بين أربعة وخمسة بلايين من الريالات فى كل سنة استعداداً للحرب . ولما جاءت الحرب ارتفعت نفقات الحرب السنوية إلى ٢٠ بليوناً — كل ذلك دون اضطرار إلى تخفيض مستوى المعيشة تخفيضاً ضاراً ، وهذا باعترافهم مما يستطيعون عمله فى سبيل التعويض ، وينبغى أن يفرض عليهم عمله .

ولا تشك حكومة وشنطن فى أن ألمانيا ستحاول كل ضرب من ضروب الغش والتحايل ، ولكنها تعتمد على الإشراف الدقيق على الصناعة الألمانية لمنع الغش . فمثلا ترى إدارة الاقتصاد الخارجى أن حاجة ألمانيا إلى المواد الخام مما يسهل على الحلفاء مراقبة عدم عودتها إلى التسلح، حين تشتغل ألمانيا بالإنتاج من أجل البلاد المخربة ، فإن ٦٠ فى المئة من الزيت — بخلاف الزيت الصناعى

— ترد من الخارج ، وكذلك ٨٠ فى المئة من الحديد الخام . وتعتمد دولة الريخ أيضاً على واردات من الألومينيوم والنحاس وغير ذلك من المواد اللازمة لصناعة المعدات الحربية .

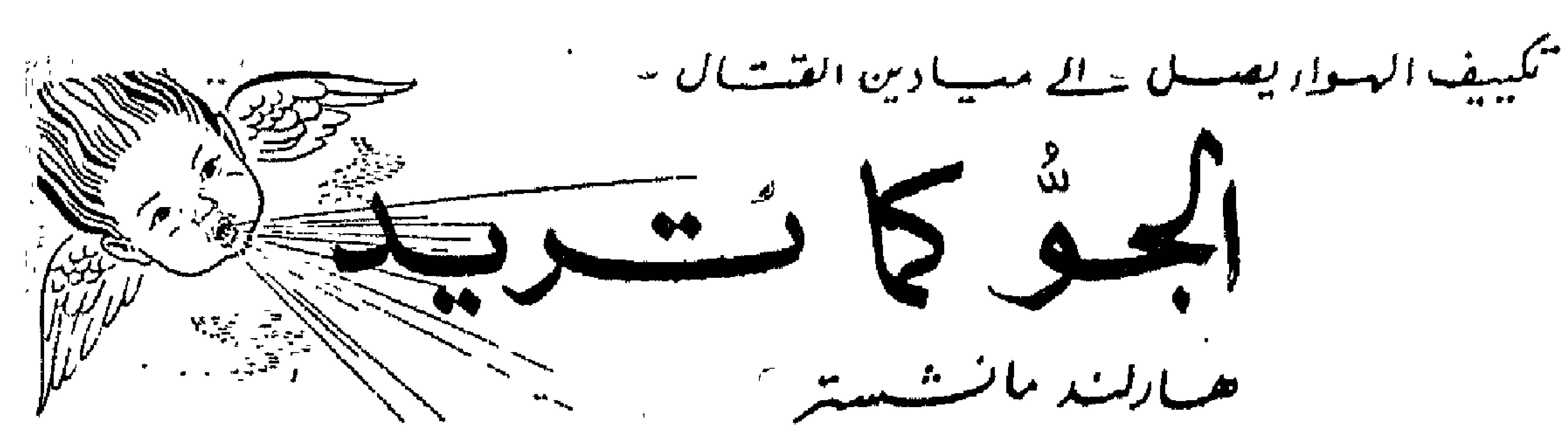
فنظام الرقابة الحازمة يستطيع أن يقدر ما تحتاج إليه ألمانيا من الإنتاج فى زمن السلم، مضافاً إليه السلع اللازمة للبلاد الخربة، ويمنع بعد ذلك توريد أية زيادة . وإذا لم تكن مراقبة الزيت الصناعى وصناعة المطاط ذات أثر ، فيمكن إقفال تلك المصانع . والسيطرة على قوة ألمانيا الكهربائية ونقلها من الخارج إذا اقتضى الأمر مما يجعل فى مقدورنا تنظيم نبض قلب الصناعة الألمانية، كما أن إشراف الحلفاء على إدارة السكك الحديدية ، وسيلة أخرى لإحكام المراقبة .

وواضعو الخطط لما بعد الحرب من الأمريكيين ، يصرون على ضرورة مراقبة أحوال ألمانيا المالية مراقبة دقيقة . وقد تسلمت ألمانيا فيما بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٣٠ مبلغاً أكثر من خمسة بلايين ريال على أنها ديون دولية وديون خاصة ، وذلك بحسب الأرقام الموجودة فى وزارة الخارجية . وقد أنفق هذا المبلغ الضخم جميعه فى الاستعداد للحرب ، وهذا لن يتكرر .

وإذا كانت الكلمة للولايات المتحدة ، فإن جميع ما تقترضه ألمانيا — إذا سمح بذلك وحينما يسمح به — سيوضع تحت المجهر الفاحص قبل التصريح به ، ويتخذ كل احتياط لمنع استعماله استعمالا ضاراً .

وموجز القول أن هذه هى نيات الولايات المتحدة فى معاملة دولة الريخ المنهارة وأهلها المهزومين : (١) الاحتلال العسكرى لتثبيت حقيقة الهزيمة ، وتنفيذ نزع السلاح الدائم حتى يثبت الألمان أنهم أهل لحكم أنفسهم (٢) أن تتولى المحاكم العسكرية محاكمة مجرمى الحرب (٣) أن يبذل الألمان الجهد ويحتملوا التضحية ، حتى يتم تعمير الخرائب والأطلال التى أحدثها هياجهم ، وأن يتولى الحلفاء الإشراف على الصناعة الألمانية والمالية الألمانية خلال ذلك .

ولا نزاع فى أن الولايات المتحدة ليست الحكم الوحيد فى مصير ألمانيا ، ولكن مهما يكن من الأمر ، فإن كبار الرجال الرسميين يشعرون بأن حجج الأمريكيين مقنعة ، فإن النقط الثلاث الأساسية ، مع ما فيها من مراعاة العدالة ، لا تشوبها صبغة الكراهة وحب الانتقام، وهى تترك لألمانيا مجالا واسعاً كي تعمل على الخلاص ، إذا كان الخلاص هو ما يريده الألمان .



يظن كثير من الناس أن تكييف الهواء لا يتخذ إلا لتبريد دور السينما ، والواقع أنك لا تكاد تجد عملا خطير الشأن في إنتاج الأسلحة الحيوية والمتفجرات والأدوات الصناعية والعقاقير والأطعمة ، كل هذا ما كان ليتم على أحسن وجه وأسرعه وأقله نفقة ، لولا اعتماد المصانع على أجهزة تكييف الهواء .

ولولا التكييف لتعذر صنع كثير من معدات المخاطبات الحديثة المدهشة ، أو استعمالها في ميادين القتال . فالأنابيب الكهيربية (الأليكترونية) كمصابيح الضوء الكهربائي ، هي أتاتين تولد حرارة عالية ، وكل حجرة يجتمع فيها عدد وافر من هذه الأنابيب ، حيث تمتحن أو تستعمل ، تغدو كالحمّام التركي إذا لم تبرد تبريداً آلياً . أما قبل تكييف الهواء ، فقد بلغ ما نبذه أحد المصانع من الأنابيب لعيب فيها ، ٨٠ في المئة مما صنع .

وفي المنطقة الجنوبية الغربية من المحيط الهادي ، كثيراً ما تبلغ حرارة السقف في سيارات الراديو الحربية ٧١ درجة مئوية ، من جراء حرارة الشمس ، أما الأشعة المنبعثة في داخلها من الأنابيب ، فتكفي لتدفئة منزل ، فلو لم يكيف هواء هذه السيارات لتعذر بقاء أحد في جوفها .

إن معدّات المخاطبات الجديدة في السفن الحربية ، تستعمل في حجرة محكمة الإقفال سميكة الجدران ، حتى لا يؤثر فيها انطلاق المدافع أو غيره من أسباب الارتجاج ، فتبريد هذه الحجرات يجعل العمل فيها محتملا . وتكييف الهواء يمكن رجال المدافع من المضي في عملهم على أتم وجه ، لأنه يطرد دخان البارود إلى الخارج ، ويجلب محله هواء بارداً منعشاً إلى الداخل . أما في مخازن الذخيرة فإنه يقي البارود المخزون من الانحلال .

وقد كانت غرف حاملات الطائرات ، التي يجتمع فيها الطيارون بملابسهم الكثيفة ليتلقوا أوامرهم قبل الطيران ، توصف بأنها « صناديق العرق » ، أما الآن فتبرد هذه الغرف آليا ، ويجد فيها الطيارون أوفر راحة .

وقد كان ترميم معدات القتال في الصحراء ذات الرمال المتقدة ، أو في إحدى جزائر

المحيط المادى ذات الرائحة الكريهة ، عملا يحمّل نفس الميكانيكى عبئاً فادحاً ، أما الآن فإنك تجد كوخاً مصنوعاً لترميم المعدات يمكن نقله ، مجهزاً بوسائل تكييف الهواء ، فيستعمل ثم يطوى وينقل بالطائرة . وفى هذا الكوخ يمكن ترميم الأدوات الدقيقة فى نصف الزمن المعهود من قبل ، ولا عرق ولا غبار .

إن برج المراقبة فى كل مطار يحيط به الزجاج من كل جانب ، فلا مفر من أن تقع أشعة الشمس عليه ، فتجعله جحيما على المقيمين فيه ، وكانت حرارته تفسد عمل آلات الأرصاد الجوية وأدوات الراديو ، فوضعت فيه أجهزة تكييف الهواء فقضت على هذه المتاعب جميعاً .

وقد جهزت حجرة الجراحات والأشعة السينية فى كثير من مستشفيات القواعد الحربية بأدوات التبريد ، فضعف خطر التعفن من جراء العرق والغبار ، وتضاعفت قدرة الجراحين على العمل . وصنعت سيارات نقالة على طراز عربات بولمان لنقل الجرحى من الميدان إلى المستشفى ، وكيّف هواؤها ، فيصيب فيها الجرحى قسطاً وافراً من الراحة أثناء نقلهم .

وتقتضى الحاجة الحربية أن تحمض الأفلام التى تصوّر من الطائرات ، وأن تطبع منها نسخ فى دقائق ، وهذا خليق أن يكون مستحيلا فى الأقاليم الحارة ، لولا الحجر المعتمة فى المركبات المقطورة ، وقد كيف هواء هذه الحجر تكييفاً يكفل وقاية الفلم من الغبار ، ويحفظ المستحلبات على درجة معينة من الحرارة ، ويمنع العرق .

وفى أثناء القتال فى إفريقية أعدت قافلة من سيارات جهزت بأدوات تكييف الهواء ، فكانت القافلة الأولى من نوعها ، ومكنت فصيلة متنقلة من المهندسين من أن تأكل وتنام وتقوم بأعمالها الكتابية فى راحة تامة ، على حين كانت حرارة الجو فى الخارج ٥٥ درجة . وقد استعمل المهندسون هذه القافلة لإنشاء قواعد أمام الجيش الزاحف .

إن وسائل التبريد الحديثة ، تتيح من الطعام الغض ، لعدد كبير من الجند ، ما لا مثيل له فى تاريخ الحروب . فمخازن الطعام المبردة تبريداً آليا ، تنقل فى عنابر السفن ثم تسلم ملأى باللحم المجمد أو الخضر ، فى القواعد الأمامية . والمركبة المقطورة تحمل فى جوفها ٨٠٠٠ رطل من لحم البقر المجمد إلى ساحة القتال ، وهناك تفك المركبة المقطورة من السيارة القاطرة ، فتصبح المركبة مبرّداً مستقراً ، فى داخله جهازه الذى يولد الطاقة اللازمة للتبريد .

إن الاعتماد على وسائل تكييف الهواء ، قد ذلت عقبات عظيمة فى الإنتاج الحربى

الأمريكي ، فدرجات الحرارة في مناجم النحاس قد تبلغ ٦٥ درجة مئوية ، وقد كانت العادة أن يدفع الهواء في أنفاق المناجم مدة ثلاث سنوات أو نحوها حتى تبرد برداً كافياً يجعل المناجم صالحة للعمل فيها ، أما الآن فإن هذه الحفر الجاحمة المحتدمة تبرد في أقل من شهر .

وكلما ارتقت أساليب الصناعة وتنظيم المصانع ، ازداد عدد ما يقام من الآلات في مساحة معينة منها . وكل آلة تولد حرارة بالاحتكاك ، فالمصابيح والأنابيب التي تنير المصنع تشع حرارة ، ومن جسم كل عامل تنبعث حرارة مستمرة تعدل حرارة مصباح كهربائي قوته مئة وات ، فالتبريد الصناعي ضرورة لا بد منها .

وقد صنعت أدوات بالغة الدقة والإحكام للأسطول الأمريكي ، فنبذ منها عدد عظيم برغم المراقبة الدقيقة في المصنع . فلم تكد تنقضي بضعة أسابيع على استعمالها ، حتى ظهرت بقع صغيرة من التأكل على سطوحها المصقولة ، جعلتها لا خير فيها . وبعد البحث عرف السبب ، فإذا هو إصبع مبلولة من يد عامل مسّت السطوح المصقولة كالمرايا ، وإذا حمض العرق قد نفث في الأداة بواعث الانحلال المقبل . أما تكييف الهواء فيبقى أصابع العامل جافة ، وبذلك انقطعت أسباب هذا الفساد .

ولربما صنع في برد المساء رسم هندسي طوله ست أقدام ، فيتمدد نحو بوصة في حرارة النهار ، وقد يفضي ذلك إلى خطأ جسيم . ثم إن الأيدي التي يتصبب منها العرق كثيراً ما تلطخ الرسم ، أما الآن فإنك ترى هواء حجر الرسوم في المصانع قد كيف بالآلات ، فليس غبار ولا عرق .

والسبب في أن جميع الآلات الحديثة ، ومنها محركات الطائرات ، تفوق كل ما سبقها من نماذج ، يعود على الأكثر إلى شدة الإحكام والمطابقة بين أجزائها . وتحقيق هذا كان باعثاً على قيام مشكلات كثيرة في الإنتاج الواسع النطاق ، فجزء من آلة يصنع في النبل البارد ويركب في النهار الحار ، قد يتمدد تمدداً كافياً يحمل على نبذه . ولولا استعمال أساليب تكييف الهواء ، لنقص إنتاج منظار نوردن — منظار قذف القنابل المحكم — ٥٠ في المئة في الصيف . أو قد يصنع جزء من آلة في لوس أنجليس فلا يطابق جزءاً آخر صنع في إقليم بوسطن ، وهو أبرد من إقليم لوس أنجليس . وقد يؤدي تغيير درجة واحدة في الحرارة إلى خفض دقة الصناعة في أجزاء آلات محكمة تصنع للقياس وتستعمل لضبط الأدوات

اللازمة فى المصانع، فكان حل هذه المشكلات أن جعلت درجات الحرارة والرطوبة واحدة فى كل ساعات اليوم ، وفى جميع فصول السنة ، وفى جميع المصانع .

كانت الغازات المستعملة للتبريد ، حتى سنة ١٩٣١ ، سامّة ، قابلة للالتهاب ، كبيرة النفقة ، فنشأ عن استعمالها شبوب نيران كثيرة وحدوث حوادث قاتلة . وفى تلك السنة كشف توماس مدجلى غاز «فريون» ، فأتاح استعماله لصناع آلات التبريد أن يجعلوها أخف وزناً وأقل حجماً . مثال ذلك أن استعمال هذا الغاز يتيح تجديد هواء الغواصة تجديداً مستمراً ، وفى وسع بحارتها أن يدخنوا ، وهو أمر لم يسمع بمثله من قبل .

إن مستقبل تكييف الهواء بعد الحرب مستقبل عظيم ، ويحق لنا أن نتوقع أن تجهز به ، خلال سنوات ، معظم المصانع ، والمخازن ، ومعامل البحث ، والقطرات ، والفنادق ، وأبهاء الاجتماع ، ومكاتب العمل ، والمساكن المؤجرة . وسيجنى الناس من ذلك خيراً كثيراً وراحة وصحة وكفاية فى العمل . وأمامنا فى المستقبل ، وإن كان مستقبلا بعيداً ، هدف هو «الجو كما تريده» فى كل منزل من منازل أوساط الناس .

عزيزى العم سام !

[هذه نخبة من رسائل حقيقية مستخرجة من سجلات هيئات حكومية شتى فى أمريكا]

مكتب إدارة الأسعار

أنا سليل أحد الآباء المهاجرين ، ولست أدرى لماذا يجب علىّ أن أخضع لنظام الجراية ، فأرجو أن تدبروا الأمر فى الحال ، لإطلاقى إطلاقاً دائماً من أى قيد من قيود الجراية .

مكتب الخدمة العسكرية

بعد أن قضيت أربعة أشهر فى الجيش ، وبعد تدبر ، قررت أننى عاجز عن أن أنفق من مرتبى البالغ ٥٠ ريالا فى الشهر ما يكفى زوجتى لتعيش المعيشة التى ألفتها . فأرجو أن تعدونى مستقيلا من القوات المسلحة .

مكتب إدارة الأسعار

أنا إحدى فتيات المسارح ، وأحتاج إلى زيادة مقدار البنزين المتاح لسيارتى لأنى جميلة فاتنة . وأنا أعيش على مئات من الأمتار من محطة قطار النفق ، وحين أعود من المسرح فى الليل يتعقبنى رجال كثيرون ، وهم يتهافتون علىّ كالذباب . فلو كان عندى مقدار وافر من البنزين ، لاستطعت أن أعود إلى دارى فى سيارتى . ولما كان هذا يحدث لأنى جميلة فاتنة ، فإنكم ولا ريب ستلبون طلبى .

دى جول النذير

مفتاح شخصية زعيم فرنسا وسر نفوذه وسلطانه



نويل ف . بوش

ملخصة عن مجلة "لايف"

يحب الجنرال ديجول رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية — فيما يحب — أن يشاهد الأفلام بين الحين والحين . ففي أغسطس الماضي ، حينما استقر في الجزائر بعد زيارته للولايات المتحدة استعداداً للانتقال إلى باريس ، أعد له مرافقوه حفلة عرض لفلم « الأميرة الصغيرة والأقزام السبعة » من رسم والت ديزني — مرضاةً لصغرى بناته التى لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها .

وابتهجت أسرة دى جول كلها بالفلم ، غيرأن الجنرال كان أكثرهم سروراً بالمشهد الذى بدت فيه الأميرة الغارقة فى السبات بسحر الساحرة الخبيثة ، وهى تستيقظ وتنهض على قبلة من الأمير الشاب ، فقد التفت دى جول إلى أحد مرافقيه وأبدى ملاحظة تنم علىطبعه إذ قال : « هذا بديع ، فإننيأحب من الناس من يستطيع أن ينهض على قدميه من جديد » .

وهذه الرواية على بساطتها تبين عن سرّ شخصيته ، وما كان أبعدها عن الدلالة لو عزيت إلى رجل لا تتوافر فيه مقدرة دى جول على ربط شخصيته بالتاريخ أو الأساطير . فها هو يستشف فى نهوض الأميرة — وربما من قبلة الأمير أيضاً — مثالا ينطبق عليه . والمسموع عنه أنه يقارن نفسه فوق ذلك بكليمنصو ، ونابليون ، وجان دارك . والواقع أنه بتماديه فى هذه المقارنات إنما يبخس نفسه قليلا ، إذ أنه يفترق عن هؤلاء جميعاً بمكانه الفريد الذى يحتله فى تاريخ فرنسا .

فالتاريخ زاخر بأسماء أبطال نبتوا فى بلادهم ، وفيه أيضا أسماء أبطال كثيرين هاجروا حين أغفلهم قومهم ، فوفقوا فى غير أوطانهم ، أما دى جول فقد فارق وطنه وهو فرد من عامة الناس ، ثم عاد إليه وهو رئيس الدولة .

وقبل أن يعود دى جول إلى فرنسا ، تردد كثير من الشك فى مقدار ما قد يلقاه

من الترحيب ، ولكن الشهور التى مرت على عودته أثبتت أن سلطانه قادر على البقاء على مر الزمن . وهناك نزاع داخلى شديد فى فرنسا ، إلا أنه لم يظهر فيها زعيم آخر ينافسه . وإذا أجرى غدا استفتاء لانتخاب رئيس ، فمن المحتمل أن يفوز دى جول بأغلبية ساحقة ، ولكن هذا الاستفتاء لن يحدث ، إذ أن سياسة دى جول ترمى إلى تأجيل كل انتخاب عام ما دام هنالك ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ من الناخبين غائبين فى ألمانيا .

ودى جول رجل قليل الأصدقاء ، وهو يلتزم فى اجتماعات مجلس الوزراء موقفاً فيه شىء من التباعد حتى عن أقرب معاونيه . ومن عادته أن يترك الوزراء يبينون ما شاؤا عن آرائهم، ثم يعقب هو فيذكر الحل الذى يراه ، فى كلمات موجزة مقدرة .

وإنه ليضيق ذرعا بكل ثرثرة أو تردد ، وفى أحد أيام الربيع الماضى كان أحد معاونيه يذكر أن الروح المعنوية فى فرنسا آخذة فى التراخى ، فاستمع له دى جول وهو يفكر ، ثم قال : « يجب أن نفرغ من هذه الحرب بأسرع ما نطيق » فأومأ أحد الحاضرين برأسه موافقا يتلهف على متابعة رئيسه ، وقال : « نعم . ينبغى أن لا تطول كثيرا » فنظر إليه دى جول نظرة المشمئز وقال : « ما أحكم قولك ! أليس معنى انتهاء الحرب أنها لا تطول ؟ » .

وهو لا يصبر طويلا على العجز والتردد . فحين اشتبكت جيوش فرنسا الحرة وقوات فيشى فى سوريا ، جىء له بضابط أسير ، فأخذ يعتذر عن مسلكه ويقول : إنه لم يستطع أن يظفر بصحيفة ما ، وأنه لا يثق بأنباء الراديو ، فكان من المستحيل عليه أن يعلم ما يحدث فى فرنسا . فمشى إليه دى جول ، ومال عليه وهمس متألماً :

« أنصت ! إننى أستطيع أن أؤكد لك عن ثقة أن الألمان فى باريس ! » .

فسخريته اللاذعة ، وهيامه بالمواعظ الخلقية ، من خصاله المختلفة التى تجعل معاصريه يحارون فى فهمه .

وأثار اعتراف الولايات المتحدة بدى جول مسألة الصفة التى يوصف بها : أهو جندى محارب ، أم هو رجل سياسى ؟ والواقع أنه ليس أحد الرجلين ، وخير صفة تنطبق عليه أنه نذير خرج فى قومه ، من هؤلاء الفلاسفة المفكرين الذين نزلوا إلى ميدان الجهاد ، ويمكن أن يقال إن دى جول كان نذير قومه منذ طفولته .

فمهمته الرئيسية تستفاد من هذا اللقب الذى ورثه منذ ٥٤ سنة عن أبيه المعلم فى كلية الجزويت فى باريس ، ولما كانت فرنسا

تسمى أيضاً « بلاد الغال » ، وهذا هو معنى كلمتى (دى جول) ، فإن هـذا اللقب كان من محاسن المصادفات فى حياة رجل قدر له أن يصبح فيما بعد رمزاً وطنيا . وأغلب الألقاب المسبوقة بكلمة (دى) فى فرنسا تفيد أن صاحبها ينتسب إلى طبقة الأشراف ، ولكنها فى شمال فرنسا لا تفيد هذا المعنى . ولهذا فإن أسرة دى جول لا تنتسب إلى طبقة الأشراف بل إلى فرع رجال الفكر من الطبقة المتوسطة ، فإذا نادى دى جول الآن بإعادة توزيع الثروة ، فإنه يخلص لمبادىء نشأته وتربيته .

وكان أبوه على صرامته رجلا لا ينقصه حسن الفهم ، وقد اتخذه ابنه الصغير مثالا قبس منه خلائق الجدّ والرزانة ، ولما كانت هذه الخلائق تناسب أيضاً جسمه العملاق (فطوله متر و ٩٠ سنتيمتراً) فقد أصبحت عنصراً أصيلا مستقراً فى طبعه ، وكانت عوناً له فيما بعد حينما شرع ينذر قومه . وقد ورث أيضاً عن أبيه تمسكه بالأصول الدينية وتعاليم السلف الصالح ، فإن يكن هذا التشدد فى الدين من أبرز صفاته ، فهو أيضاً من أهم دوافعه ، وإن لم يلق هذا الدافع من الناس حقه من الفهم والتقدير .

وقد وهب أيضاً ، فضلا عن إيمانه العميق المستقر ، موهبة المنطق النافذ الذى يمتاز به رجل الفكر فى فرنسا .

وشبّ دى جول فتى متمسكا بأهداب الجدّ ، منطوياً على نفسه ، منصرفاً عن اللعب إلى الدرس ، عقله أكبر من سنه ، وفتح له تفوقه فى الدراسة أبواب كلية سان سير الحربية الشهيرة حيث لقبه زملاؤه تندُّراً « أبو طويلة » . ولم يكد يتخرج فى الكلية حتى صادف فى ضابط كتيبته رجلا اتخذه من بعد أبيه مثالا يحتذيه ، وكان ضابطاً صغيراً عليه أمارات الجد والتحفظ ، يدعى هنرى فيليب بيتان . ولبث دى جول سنتين يحارب فى جبهة القتال تحت إمرة بيتان ، ثم انقطعت الصلة بينهما حينما جرح دى جول ، وكان قد أصيب من قبل مرتين ، بجرح خطير أوقعه فى أسر الألمان .

وانصرف أكبر همه فى معسكر الاعتقال إلى التفكير فى الهرب ، وإن اتسع وقته أيضاً للتدبر والتأمل ، فوقف بعض ساعاته على حفظ فصول بأكملها من كتب الأدب الفرنسى ، فلم تضق بها ذاكرته التى استوعبت من قبل محصولا بلغ من وفرته أن كان يملى على زملائه كتباً بأكملها من تأليف هوميروس وأوفيد مما حفظه أيام الدراسة .

ومن التجارب التى كان لها أثرها فى تكوين شخصيته ، اتصاله فى المعتقل بضابط

روسى ، فتمثل فيهما تقابل النقيضين ، فإن دى جول رجل ذو عقل من خصائصه الجد والترتيب ، أما الروسى فكان عقله يمتاز بالميل إلى البحث والتجربة ولا يتقيد ، فاقتبس كل منهما شيئاً من خصائص صاحبه ، وأخذ فهم دى جول للأشياء يستقر ويتحدد وهو يحادث الروسى عن الحرب وسياسة أوربا ومستقبل بلديهما ، ولما وضعت الحرب أوزارها ، افترق الرجلان ولم يتقابلا بعدئذ إلا مرة واحدة .

وكان هذا اللقاء فى باريس سنة ١٩٣٦ ، وكان توخاشفسكى — وهو اسم الضابط الروسى — قد أصبح مارشالا فى الجيش السوفيتى . وكان هو أيضاً قد صار نذيراً فى وطنه يحذرهم أموراً كثيرة . ولما أثبتت الأيام أن نذره لم تتحقق طاحت رأسه جزاءً وفاقا فى المحاكمات التى جرت فى روسيا سنة ١٩٣٧

وانتهت الحرب ، فعين دى جول مدرساً فى كلية سان سير حيث أخذ يشرح آراءه عن حروب المستقبل . وفى سنة ١٩٣٢ طبعت محاضراته فى كتاب ، وكانت فرنسا حينئذ تبنى خط ماجينو ، وبنيت خططها الحربية كلها على الدفاع ، وبنى هذا الدفاع أيضاً على استدراج العدو إلى مناطق استحكامية وقع عليها الاختيار باعتبارها أصلح المناطق لإبادته . وسنحت لدى جول فرصة لإثبات صحة رأيه المناقض لتلك الخطة ، وذلك حينما قامت الكلية الحربية بإجراء مناوراتها التجريبية ، فإنه أغفل شأن تلك المناطق الاستحكامية التى اختارها خصمه وانتصر عليه انتصاراً حاسماً ، فوبخه رؤساؤه المباشرون ، ولكن بيتان أثنى عليه .

وفى سنة ١٩٣٤ نشر دى جول كتاباً أسماه (جيش المستقبل) تكهن فيه بالحرب القادمة ، وكان فيه صادق الدلالة على ضعف خط ماجينو ، وأبان أن وسائل النقل الحديثة قلبت النظريات الحربية رأساً على عقب ، ونادى بوجوب استناد الجيوش على وحدات تسهل حركتها ، قوامها جنود من ذوى الخبرة مدربين خير تدريب . فسخرت فرنسا من الكتاب ، ولكن ألمانيا رحبت به وعدته فتحاً مبينا فى فن الحرب . أما هيئة القيادة العليا فى فرنسا فقد قابلت هذا الكتاب ببرود دفع دى جول إلى أن يفقد إيمانه بأستاذه بيتان . ولبث دى جول ست سنين يعرض رأيه بإلحاح حتى أملّ سامعيه فى كثير من المآدب فى باريس ، كما أملّ الكثيرين من موظفى الحكومة من رتبة وزير فأقل . والواقع أن أحداً لم يأبه لرأيه ، اللهم إلا سياسى ناشىء ، زئبقى قلبّ ، هو بول رينو .

فالخطط التى كان دى جول يرسمها لرينو على غطاء الموائد فى المطاعم ، كادت تطابق الخطط التى اتبعتها القيادة العليا الألمانية فى اختراق خط ماجينو فى ربيع سنة ١٩٤٠ .

وفى تلك السنة تولى دى جول قيادة الفرقة المدرعة الرابعة — وكانت قد كونت على عجل — فنجلت براعته فى هجوم مضاد بالدبابات فى لاون وآبڤيل ، وبفضله عقد النصر للجيش الفرنسى مرتين فى المعارك القليلة التى خاض غمارها . ولم تكد تمر على انتصاره بضعة أيام حتى اختاره رينو — وكان قد أصبح رئيساً للوزارة — لمنصب وكيل وزارة الحربية .

وتحدّت دى جول — هذا النذير — حوادث لم يبق فى فرنسا أحد إلا وثق بأنها كارثة مطبقة ، والواقع أن انهيار فرنسا التام كان هو الثقاب الذى أشعل إيمانه المتأجج بأنه صاحب رسالة فى الحياة : هى إنقاذ وطنه .

وحاول دى جول أن يقنع رينو بمواصلة القتال ، وباحث تشرشل فى مدينة تور ، ثم سافر إلى إنجلترا حيث أذاع نداءه الشهير الذى قال فيه : « إن فرنسا قد خسرت إحدى المعارك ، ولكنها لم تخسر الحرب » وفى لندن أقام دى جول نفسه زعيما على فرنسا الحرة . فرضيت به إنجلترا ، وإن لم يكن كل رضاها عن طيب خاطر .

وكان مما أوضحه دى جول تمام الإيضاح أنه لا يعد نفسه ممثلا لمجهود فرنسا الحربى بل ممثلا لفرنسا كلها ، وجعل مسلكه يطابق هذا المعتقد .

وكان فى مسلكه هذا إحراج لتشرشل وروزفلت ، وهما سياسيان بارعان ، ولكنهما لم يألفا معاملة مثل هذا الرجل الذى جعل نفسه نذيراً للناس ، فقد قيل إن روزفلت بعد أن لقى دى جول فى الدار البيضاء صرح بأنه قد يفهم أن يعتقد رجل فى نفسه بأنه كليمنصو أو جان دارك ، ولكنه لا يستطيع أن يفهم كيف يتم له أن يعتقد فى نفسه أنه يجمع بينهما معاً فى شخصه !

وعلى أن النزاع الذى كان بين دى جول ، وجيرو وتشرشل وروزفلت وكثيرين غيرهم ، بدا يومئذ من المماحكات الجافية ، إلا أن مسلكه هذا ساعد على صبغ حركة المقاومة بصبغة وطنية مما أعان على غزو القارة الأوربية ، وعاد بالفائدة على فرنسا الحرة .

وفضلا عن ذلك فإن تشرشل وروزفلت لم يكادا يألفان نزوع دى جول إلى أن يكون نذيراً للناس حتى بدآ يميلان إليه .

وظل دى جول فى لندن متمسكا بخطة العزلة والصمت ، فغلبت عليه حدة الطبع ، ولكنه بعد عودته إلى وطنه أصبح يبدو أكثر هدوءاً وبشاشة .

وهو على غرار أولئك الذين يعتقدون أن لهم رسالة فى الحياة ، يشعر بأن مصيره مقدر ، وهذا الشعور يجعله فى مأمن لا تفزعه خشية الموت .

ففى اليوم التالى ليوم عودته إلى باريس سار دى جول بلا حرس فى طريق الشانزلزيه بين صفوف متزاحمة من الجماهير ، وركع بسكينة وخشوع فى كنيسة نوتردام ، على الرغم من الرصاص الذى أطلقه حينئذ أحد القناصة من شرفة الأرغن .

وقد حادث دى جول زعماء حركة المقاومة فى ضرورة إعادة الآلة الحكومية إلى دورتها . ولم ينقض أسبوعان حتى كان قد وضع برنامجاً لسياسته ، وأغلب مواد هذا البرنامج — كإعطاء الناس حق الانتخاب ، وإشراف الدولة على الصناعات الثقيلة ، ومحاكمة أنصار التعاون مع العدو — كان قد تم الاتفاق عليه قبل الغزو بمراسلات سرية مع زعماء حركة المقاومة فى فرنسا . ومحاكمة أنصار التعاون مع العدو ستساعد على إرواء ظمأ الفرنسيين المتأصل الدائم إلى المرافعات القانونية المستفيضة . أما تنفيذ بقية مواد البرنامج فموقوف ، لاستمرار الحرب ، ووجود هيئة القيادة العليا لقوات الغزو فى فرنسا . وما دام كل ما يتيسر من وسائل النقل موقوفاً على شحن المهمات الحربية إلى الجبهة ، فإن الحكومة المؤقتة ستظل مغلولة اليدين إزاء المشاكل المدنية العاجلة كإنعاش الصناعة ، وتعمير ما خربته الحرب ، وإسكان المهاجرين العائدين . وفى فرنسا من الانقسام فى الرأى ما يفضى إلى اضطرابات اجتماعية ، هذا إذا لم يفض أيضاً إلى حرب أهلية ، فإذا لم يكن قد حدث شيء من هذا إلى الآن ، اللهم إلا عصيان بعض قوات المقاومة فى جنوب فرنسا — فالفضل فى ذلك يرجع بعضه إلى وجود دى جول ، وبعضه إلى الكياسة التى تعالج بها هذه المشاكل .

ولما تبين أن الحرب قد تستمر طول الشتاء ، وأن البرنامج الذى وضعه للإصلاح الاجتماعى والتعمير قد يرجأ تنفيذه إلى ما بعد نهايتها ، أخذ دى جول يقوم برحلات فى كافة أقاليم فرنسا ، وهذه الرحلات تساعده على استمرار صلته بالسلطات المحلية وتمكنه من أن يعقد اجتماعات يحضرها المزارعون ، فيلقى عليهم خطباً موجزة هى أشبه شيء بالعظات يحثهم فيها على التمسك بالخلق الكريم ، وتقابل خطبه دائماً بتصفيق متحمس .

ولما كان دى جول رجلا جافى المظهر قاسى الملامح أجش الصوت متشابه النغمات ، فهو لا يأسر سامعيه فى المجتمعات الصغيرة ،

ولـكن الأمر يختلف ويصير إلى ما هو خير من ذلك ، إذا وجد ميداناً عاماً مزدحماً بالجماهير ومكبرات جيدة الأداء ، فتبدو في صوته حينئذ نغمة جديدة تدل على إيمانه الحارّ وعلى ثقته بسلطانه . وهو يلتزم إذا خطب سمتاً واحداً ، فيثني ذراعيه إلى كتفه ويهوي بعرفقه تأميناً على كلامه ، وقلة براعته في اختيار الحركات الخطابية هي مما يساير أسلوبه الوقور ومخبره الرزين .

إن مستقبل أوربا يتوقف توقفاً عظيما على مقدرة فرنسا في النهوض من كبوتها لتعود إلى عهدها السابق بل إلى عهد أزهر منه ، ومجهودها في هـذا السبيل مرتبط — إلى وقت ما على الأقل — بشخصية دي جول ، وليس في مسلكه الآن ما يدل على أنه غافل عن هذه الفرصة أو متهيب لها .

وينتفع دي جول في حكمه لفرنسا بأحوال حسنة تواتيه ، منها أن بنيانها — على الرغم من التبعات التي تحملها في الناحيتين المادية والروحية — سليم القواعد ، إذا أتيح له من الزمن ما يكفي . فالبنيان الاقتصاديّ في فرنسا قائم على الزراعة ، والزارع الفرنسي قد ظل دائباً يعمل زمناً طويلا تحت ألوان مختلفة من الحكم ، وهو خليق أن يستمر يفعل ما كان يفعل . ومن هذه الأحوال المواتية أيضاً أن سلمت لفرنسا هيئات الحكم المحلية بنظامها المعقد وظلت قائمة إبان الاحتلال الألماني ، ولا تزال تقوم بمهمتها .

وفرنسا وإن كانت سليمة القواعد إذا أتيح لها الزمن الكافي، فهي تلفي نفسها الآن في ورطة كبيرة . فمن سكانها ملايين شردوا من ديارهم التي هدمتها القنابل ، ووسائل النقل غير متوافرة ، والصناعة معطلة ، والقتال المرير لا يزال دائراً ، فإذا استطاع دي جول أن يتغلب على هذه الصعاب كلها فإنه جـدير لا باعتراف الولايات المتحدة وحدها ، بل بشكر هذا العالم المعذب كله .

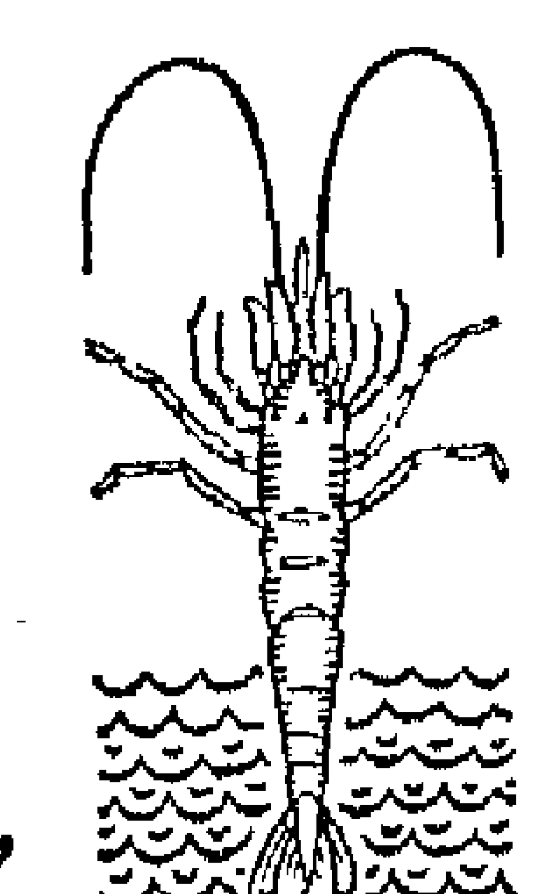
مشكلة معقدة

كان فتى وفتاة صغيران يقطنان داراً مجاورة لمحلة للعراة ، فوجدا في أحد الأيام ثقباً في خشب الجدار ، فتقدمت الفتاة واسترقت النظر . فسألها الفتى : أرجال هم أم نساء ؟

فقالت : لا أدري ، فليس عليهم ثياب .

[روبرت كارسون]

من أين يأتى كل هذا الإِرْبيان الكبير (١)



مقر جديد عجيب فى خليج المكسيك يبشر بمورد لا ينفد من طعام لذيذ : مغذ ومباح للجميع

ملخصة عن صحيفة "بلتيمور صنداى صن"

ليالون مارتن ، وكارولين رمزى

طوال سنة ١٩٣٨ — بعد انتهاء فصل الزوابع — كانت « بليكان » ، وهى سفينة صغيرة متينة البناء ، تساحل فى سير متعرج خليج مكسيكو ، من « موبيل » بولاية « ألباما » إلى « برونسفيل » بولاية تكساس . وبين الفينة والفينة يدلى ملاحوها شبكة إلى قعر الماء فتجرها السفينة نصف ساعة ، ثم ترفع الشبكة ويفرغ ما تحويه على ظهر السفينة ويفحص . وهنالك أجهزة تمتحن الماء من حيث الملوحة والحموضة والحرارة ، وتخرج معها إلى السطح نماذج مما يحتويه قعر البحر ، فى حين يعكف مسجاو مكتب مصايد الأسماك على تدوين ذلك تفصيلا . ويستمر هذا الدرس المضنى يوماً بعد يوم على وتيرة واحدة . فغمست الشبكة ٤٠٢ مرة ، وكنس قعر البحر على مدى ١٢٠٠ ميل .

كانت النتيجة أن توافر دخل قدره ٦,٠٠٠,٠٠٠ ريال ، وشيد أسطول من سفن الصيد ، ووجد فيه ألفا رجل عملا رابحاً ، وردت به الحياة على جماعة برمتها من الناس ، وحصل سكان الولايات المتحدة على طعام وزنه ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ رطل زيادة عما لديهم من مواد الطعام كل سنة — طعام لذيذ مغذ خارج عن نظام الجرايات . وهذا كله عاقبة الصبر فى بحث علمى بسيط .

إنه سر كان قد أمض العلماء عدة عقود من الزمان — فأين يذهب الإِرْبيان (الجمبرى) عند ما يختفى من مياه الشاطئ ؟ فعين مكتب مصايد الأسماك بالولايات المتحدة ملتون ج . لندنر ، ووليم و . أندرسون ، وكلاهما من علماء الأحياء ، ليستشفا الأمر ، وأعطيا « بليكان » لتكون رهن إشارتهما .

أما ما استكشفت « بليكان » فكان أعظم محشر للإربيان عثر عليه . جموع لا يحصيها العدّ من ذلك الحيوان ، وأى إربيان ؟ إنه ليس كتلك القطع الصغيرة التى ألفناها فى السنين الأخيرة التى يبلغ طولها من بوصتين إلى خمس بوصات ، وإنما هى من ثمانى بوصات إلى عشر ، أطلق عليها فى

---

(١) الجمبرى

الأسواق اسم « جامبو » . وهذا المحشر العجيب يتوسط مكاناً يسمى « شب شول » على عشرة أميال إلى عشرين من لويزيانا ، وإنه لن ينفد أبداً . فأى مقدار من الصيد تمكن الحصول عليه بأسطول كامل من سفن صيد الإربيان فى سنة ، لن يؤثر فى محصول السنة التالية . فهذا الإربيان قد رمى بيضه ولن يبيض مرة أخرى ، ولقد أتم واجبه فى الحياة ، وقد انحدر إلى هـذا الملتقى ، حيث يجد ما يلائمه من الغـذاء ودرجة الحرارة والكسل . وعلماء الأحياء يعتقدون أنه يموت هناك ، فإنهم لم يعثروا فى كل بحوثهم الاستقصائية على إربيان عمره أكثر من سنة ونصف سنة .

ومنذ قرن ونيف كان عمل أهل لويزيانا القاطنين حول خلجان الماء ، هو صيد سمك الإربيان . فيجتمع أسطول من صغار السفن فى مستهل الفصل ، ثم يبارك الأسطول فى احتفال فخم ، ثم تتفرق وحـداته للعمل فى تلك الخلجان التى تساحل البحر . وأكثر ما يصاد منه يرسـل إلى مصانع التعبئة — غير أن جزءاً غير قليـل منه يقع فى أيدى أهل الصين والفلبين من الجالية ، فينشرون الإربيان المسلوق فوق أفدنة من الأرض على رفوف من الخشب ، حيث يترك ليجف فى وهج الشمس .

ولم يكن لصيادى الإربيان من أهـل لويزيانا سفن تجرؤ على الخروج إلى عرض الخليج ، فكان أول من انتفع بالأخبار التى ذاعت عن تلك المكامن الجديدة ، جماعة من أصحاب سفن صيد الإربيان فى فلوريدا . ثم وفد « أستاتيس كلوناريس » ويعرف عنـد جميع أهل الشاطىء « بالإغريقى » إلى « مورجان سيتى » فى لويزيانا ، وليس معه أكثر من أدواته التى يسـتخدمها فى بناء السفن . وبدأ يبنى سفناً متينة طولها ٦٥ قدماً وتحركها آلات ديزل قوتها ١٠٠ حصان ، وفى قدرتها أن تجر شبكة صيد فى خلال مياه عمقها ١٢ قامة . ولقـد بنى « كلوناريس » مائة من هـذه السفن ثمن الواحدة ١٣٫٠٠٠ ريال — منها ٥٠ بنيت فى زمن الحرب . ولقد أصبحت هـذه السفائن ذات قيمة فى تزويد أمريكا بمواد الغـذاء ، حتى أن أوليات البناء التى يحتاج إليها تمنح له بغير إبطاء .

وقيل إن الرواج الذى تبع بناء أسطول الإربيان فى مورجان سيتى ، وعدته ٢٠٠ سفينة ، أعظم ظاهرة حدثت فى تاريخ مصايد الأسماك الأمريكية . فمنذ عشر سنوات مضت كان الأمريكيون يأكلون ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ رطل من الإربيان كل عام ، أما الآن فقد زاد عليه نصف هذا المقدار ، بيد أن الـ

١٠٠،٠٠٠،٠٠٠ رطل التي كانت تؤكل هي من الإربيان المحفوظ في العلب، أما أكثر ما أكل هذه السنة من ال ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ رطل فقد أكل طازجاً.

ولما أصبح «الجامبو» في متناول اليد في أماكن لم يتذوق أهلها الإربيان الطازج من قبل، ذاع صيته بسرعة البرق. ويطلب الأمريكيون الإربيان الطازج الآن، حتى أن أصحاب مصانع التعبئة لا يعبئون منه ربع المقدار الذي اعتادوا أن يعبئوه، فنشأت صناعة الإربيان المسوى بالتبريد. وقد شقت هذه الصناعة طريق الرواج، على قدر ما سمحت بذلك موانع الحرب.

ولا تخرج مياه الولايات المتحدة مايفوق محصول الإربيان كثرة، إلا محصول السلمون والطونة والمحار. وثلثا صيد الإربيان يأتي من لويزيانا، وأكثره من مورجان سيتي.

وكانت مورجان سيتي يوماً ما «ميناء» ذا بال، ولكنها أخذت في التدهور سنة ١٩٣٨. وخيمت خيوط العنكبوت على أسواقها، كما كان يقول أهلها بأسف وحزن. أما الآن فإن غرفتها التجارية تفخر بأنها «أسرع المدن الأمريكية الصغيرة نماء». وربما لم يكن كذلك، فلابد من أن تكون مدن أخرى قد زادت عنها نماء من جراء رواج الحرب. ولكن عندما تبطل صناعات الحرب، فإن الإربيان سيظل هنالك، فتزدهر مورجان سيتي.

والصيادون هنالك مجموعة عالمية. فمنهم الكريوليون والإغريق والطليان والإسكنديناويون، وكل ثلاثة منهم يستخدمون سفينة صيد مشاركة، مثلهم كمثل سائر الصيادين في العالم.

وتقع مورجان سيتي على بعد ١٨ ميلا من الخليج على نهر «أتشافالايا» وهو من أعمق أنهار الدنيا. ومن هذا المرفأ الجميل تشق سفائن الصيد، في خلال ضباب الصبح الكثيف، طريقها إلى «شب شول». والمساحات هنالك واسعة مديدة، حتى إنه قد يسبق العثور على محشر الإربيان، بحث مضن بشبكة الاختبار. فإذا عثر عليه أدليت شبكة الصيد، مفتوحة الفم شبيهة بكيس النقود، وسعة فتحتها تسعون قدماً وارتفاعها ست أقدام. وهناك يكون الإربيان متراصاً حتى لقد تأخذ السفينة حملها في ثماني جولات. وقد تكون حافة المحشر غاصة إلى الغاية، حتى إن السفينة قد تملأ شبكتها دفعة واحدة، في حين أن غيرها قد لا تفوز بإربيانة واحدة.

فإذا امتلأت السفن، وهي تحمل حوالى خمسة أطنان منه، أسرعت إلى الشاطئ. ويقوم المشترون من نيويورك وشيكاغو،

وقد يفدون من سان فرنسسكو، ويدفعون الثمن نقداً على ظهر السفينة، ١٣ سنتاً لكل رطل من « الجامبو » المتوسط. ثم يحمل فى ستين حاملة من العربات والجرارات المجهزة بآلات التبريد، تحمل الإربيان شرقاً وغرباً ليباع بسعر ٥٥ سنتاً إلى ٦٥ للرطل بالقطاعى.

ويقول علماء الأغذية إنه من أفيد أغذية الإنسان، فإن فيه فضيلة غذاء البحر الذى يزودنا بالبروتين والمعادن. وأفضل مزيته أنه سهل الهضم، وهو كذلك غنىّ بالعنصر الواقى من تضخم الغدة الدرقية، وباليود وهو عنصر نافع لسكان البلاد. وقد ينبعث من الإربيان فى بعض الأحيان رائحة شبيهة برائحة المستشفيات، فتتّهم الحريصات من ربات البيوت بائعيه بمعالجته بمواد الحفظ. وليس هذا صحيحاً، فقد يتفق أن يغتذى الإربيان بمخلوقات بحرية ضئيلة فيها رائحة اليودوفورم.

والإربيان يسمى أحياناً جراد البحر، وهو من ذوات القشر كالنوع المسمى كركند. أما تاريخ حياته الذى ظل لغزاً زمناً ما، فقد تكشف الآن. فالأنثى تضع ٨٠٠,٠٠٠ بيضة تنساق مع الماء بعيداً عن الشاطئ، فتنفلق عن مخلوقات دقيقة طولها $\frac{1}{100}$ من البوصة. فإذا بلغت من النمو بحيث تكون ربع بوصة طولا، فإنها تشق طريقها أميالا عديدة من عرض البحر إلى حيث الخلجان الدافئة القليلة الماء، وترى إذ ذاك كأنها براغيث شفافة. وفى أثناء الأشهر القليلة التى تلى ذلك الطور، تتناسخ فى ستة أطوار أو ثمانية لكل منها تغير محدود يصيب الشكل الظاهر. فإذا بلغت صورتها الأخيرة، وكانت فى نصف حجمها النهائى، دلفت ثانية إلى مياه أشد عمقاً وملوحة. وفى هذا الطور كان قدامى الصيادين يصطادونها.

وقال ملتون لندنر: إن الإربيان بعد أن يترك الخلجان القليلة الماء تضع بيضها فى المياه الواسعة، ثم تندفع إلى أبعد من ذلك فى عرض البحر حيث الماء أكثر عمقاً والحرارة أثبت وأقل تقلباً. وقد حقق الواقع نظريته كل التحقيق.

ولا يبعد أن يكون فى بعض أنحاء الدنيا مواطن أخرى غاصة بالإربيان بكثرة تفوق الوصف. ولكن البحث فى آلاف مؤلفة من الأميال لم يهتد إليها بعد، وظل ذلك المنجم العظيم فى الخليج فريداً بغير منافس أو نظير.



بث الفوضى عليهم

قصة أعوان بادى مين الصناديد الذين ينشرون الدمار وراء الخطوط الألمانية — تروى لأول مرة .

فردريك سوندرن • ملخصة عن مجلة "تريكولور"

قبل غزو نورمندى بأسابيع ارتطمت بالأرض قاذفة قنابل أمريكية ، فخلص رجالها أنفسهم من الحطام ولجأوا إلى خندق قريب حيث أخذوا يتشاورون فى أمرهم يائسين . لم يخف عليهم أنهم هبطوا فى مكان ما فى وسط فرنسا ، فى قلب المنطقة التى يحتلها الألمان ، وفجأة أشار ربان الطائرة وصاح : « إن صدقتنى عيناى ، فإنى أرى رجلا إنجليزياً قادماً نحونا » .

وإذا هم بسيارة من طراز جيب ، قد أشرعت من جوانبها المدافع السريعة ، قادمة نحوهم يقودها ضابط عملابس الميدان فى الجيش البريطانى .

ووقفت السيارة وصاح القادم المجهول : « مرحباً أيها الرفاق . إذا كان بينكم جرحى فالأولى أن ننقلهم إلى المستشفى ، وإنه لقريب » .

ففغر رجال الطائرة أفواههم فطمأنهم الإنجليزى قائلا : « لا تراعوا ، فنحن أفراد فرقة للطيران الخاصة ، نعمل وراء خطوط الألمان كما تعلمون ، ويسرنا لقاؤكم » .

وهكذا كان أول معرفتهم بجيش بريطانيا الخفى وأشد جنودها النظاميين شذوذاً ، فمن العلمين إلى شمال إفريقية وصقلية ، وإيطاليا وفرنسا ، حتى الحدود الألمانية ، كتب هؤلاء الرجال فصلا فى التاريخ الحربى من أكثر فصوله مدعاة للعجب ، فقد أمكنهم فى إفريقية أن يجردوا كتيبة من الهابطين بالمظلات ومن فرقة الفدائيين تحملهم سيارات جيب لضرب مطارات النازى الواقعة على مسافة ٥٠٠ ميل خلف خطوط رومل ، فحطموا بذلك على الأرض من الطائرات الألمانية ما يربى على ما أسقطه منها سلاح الطيران البريطانى فى الجو .

وظلوا يرهقون خطوط إمدادات العدو بلا هوادة ، ثم كرروا عملهم هذا فى معركة فرنسا على نطاق أوسع كثيراً .

وقد علم مدبرو الغزو أن نجاحه يتوقف أكبر التوقف على منع الألمان من جلب

إمداداتهم الثقيلة إلى الشواطىء ، قبل أن ترسخ فيها أقدام جيوش الحلفاء ، واضطلع سلاح الطيران الممهد للغزو بقسط كبير من المهمة ، بإلقاء القنابل على ملتقى طرق المواصلات الرئيسية ، ولكنه كان — على أحسن الفروض — أبعد من أن يحقق كل ما يرجوه واضعو الخطط من إصابة أهداف كثيرة في وقت واحد ، وكان العون المرجّى من قوات المقاومة الفرنسية عظيما ، غير أنه كان ينقصها تنسيق مجهوداتها هذا التنسيق الضرورى لضمان تنفيذ البرنامج المعقد المرسوم للتخريب والتدمير ، والذى يجب أن يساير بدقة نزول الحلفاء وتقدمهم ، وهذا عبء لا ينهض به إلا رجال هذه الفرقة الجوية الخاصة ، فإن رجالها أقوياء ، مدربون على القتال ، وكل رجل منهم محارب قديم خبير بالتلاحم وأعمال الاستكشاف والتخريب . فجىء بهم من إيطاليا ليقوموا بأشق ما قاموا به من الأعمال .

فقبل بدء الغزو بزمن طويل شرع رجال المظلات التابعون لتلك الفرقة في الهبوط ليلا على الأراضى الفرنسية مثنى وثلاث ، وأطلق عليهم اسم « لجان الاستقبال » ، وأخذوا ، بمساعدة الفرنسيين ، في استكشاف ما حولهم من مناطق للعثور على حقول منبسطة لهبوط الرجال والإمدادات ، وعلى منازل وغابات ليختبئوا فيها . ولما تم استعدادهم أنبأوا به مقرّهم العام بواسطة آلات راديو صغيرة ، فما لبث أن وصلت القوات الرئيسية للغزو السرى .

وحدث في مرات قليلة لجماعات الهابطين (التابعين لفرقة الطيران الخاصة) أن صادفت عسساً ألمانياً فاضطرت للقتال طلباً للنجاة ، ولكنهم على وجه الإجمال — هبطوا جميعاً في أمان ، ومعهم عتادهم وقد ألقى بالهابطات أيضاً ، ويشمل هذا العتاد سيارات من طراز جيب ، وموتوسيكلات قابلة للطىّ ، ومدافع سريعة ، وعتاداً حربيًّا خفيفاً .

وحرصت كل جماعة على التحرك وأن لا تلبث طويلا في مكان واحد ، حتى لا تنم عليهم فلتة لسان من أهالى المنطقة ، وإن كانوا موالين لهم . وقلما أوى هؤلاء الرجال إلى الخيام ، بل كان أغلب نومهم في أكياس على الأرض ، بين سيارات متناثرة من طراز جيب ومن أمامها حرس متقدم يحيط بهم . واحتفظ كل رجل منهم بمدفع سريع وضعه على مدّ يده ليلا ونهارا .

وفي يوم الغزو ، كان رجال الفرقة الجوية الخاصة مسيطرين على خطوط مواصلات الألمان في شبه جزيرة شربورج شرقاً وجنوبا ، طبقاً للخطة الموضوعة ، وأعطيت

تعليمات دقيقة إلى جماعات ، يتراوح عدد رجال كل منها من ٥ أو ٦ إلى ٢٠ أو ٣٠ ووزعت فى نطاق واسع على السكك الحديدية ومحطات توليد الكهرباء ومراكز التلفون، وغيرها من المؤسسات التى يراد تدميرها .

وفيما يلى مثال من مئات من تقارير القتال التى انهالت على المقر الرئيسى لتلك الفرقة الجوية الخاصة ، ثم أبلغت للقيادة العليا للغزو ليعلم قادة الحلفاء مقدار ما قد يصادفونه من مقاومة الألمان :

« قمنا باستكشاف خط — من الكيلو ٩٠ إلى الكيلو ٩٢ ، وفى الساعة ٢٢ تغلبنا على جنود الحراسة عند الكيلو ٩٠ ، ووضعنا الألغام بين قضبان السكك الحديدية، وفى الساعة ٢٢ر١٢ حطم الانفجار قطاراً محملا بالجنود متجهاً إلى الغرب ، وقطعنا أسلاك التلفون وجهاز الإشارات ، وفى الساعة ٢٢ر٢٥ خرج عن القضبان قطار يسير إلى الشرق . وانسحبنا » .

ولم يقتصر عمل رجال هذه الفرقة الجوية الخاصة على التخريب ، فما قاموا به أيضاً إرشاد سلاح الطيران التكتيكى ، فقد حدث يوماً أن أصابت إحدى طائراته خطاً حديدياً يصل بين منطقتين رئيسيتين ، فذهب أحد أفراد حركة المقاومة السرية ممن يستكشف لهذه الفرقة الجوية الخاصة ، إلى موضع الإصابة ليتبين مقدار ما أحدثته من ضرر . فسأل عاملا هناك : «كم من الوقت يلزمكم لإصلاح هذا الخط ؟» فنظر إليه الفرنسى ملياً وأجاب : « لن نحتاج إلى وقت طويل ، ولو أن القنابل سقطت على بعد نصف ميل ، حيث أكشاك الإشارة والتحويلات لكان الضرر أبلغ بكثير » ، ولم يمض وقت طويل حتى ألقت طائرات الغزو عدداً من قنابلها فى الموضع عينه »

وقامت القيادة الألمانية فى باريس يائسة تحاول أن تقضى على هذا الجيش الخفى ، وأطلقت العنان للجستابو ولما يسمونه الحرس الفرنسى المساعد ، وقد جند رجاله من الأوباش والسفلة ، فعم الرعب ، وقبض على مئات من أهالى نورمندى لمجرد الشبهة البعيدة فى أنهم يساعدون الغزاة ، وعذبوا حتى يبوحوا بما يعرفون ثم أعدموا . ولكن هذه الأعمال لم تمنع رجال هذه الفرقة الجوية الخاصة ومساعديهم من مباشرة أعمالهم .

وإليك إحدى مغامرات السرجنت شوكى ، وإن كان رجال الفرقة المحنكون لا يرونها شيئاً ذا بال : ففى إقليم مورفان من وسط فرنسا ، اصطفت وحدة من جنود الألمان فى ميدان القرية ، فأقبلت كالبرق من وراء منعطف ، سيارة جيب

بها جنديان بريطانيان ، ووقفت فجأة ، وقبل أن يتسع الوقت للألمان حتى يدركوا ما حدث ، أمطرهم أحد الجنديين بوابل من رصاص مدفعه السريع ، فتفرق الألمان يطلبون ملجأ يعتصمون به ، ولكن السرجنت شوكى كان قد صرع عدداً كبيراً منهم فغطت جثثهم الميدان ، ثم اختفى بسيارته فى المنعطف . وكانت التعليمات تقضى عليه أن ينتظر فرقة كبيرة للهجوم على هؤلاء الألمان فلما تأخر قدومها ، قرر أن يشن الهجوم وحده .

وفى حادث آخر ، أبلغ أحد رجال المقاومة الفرنسية جماعة من ٥٠ رجلا قد كمنوا فى غابة ، أن رجال الجستابو عرفوا مكانهم ، وأن ٢٠٠ من رجال الهجوم الألمان سيقتحمون عليهم الغابة فى تلك الليلة من ناحية ، و ٣٠٠ من الحرس الفرنسى المساعد من الناحية الأخرى ، وقال : « يجب على البريطانيين أن ينسحبوا فى الحال » فرفض الضابط القائد ذلك رفضاً باتاً .

وعند الغسق حاصرتهم فرقة الهجوم الألمانية والحرس الفرنسى ، وتقدموا وسط وابل من الرصاص المنهمر ، فقد كانت الأدغال والخنادق ملأى بالمدافع الرشاشة ، واستمر الهجوم والمناوشة ساعات قبل أن يفطن الضابط الألمانى إلى أن القتال إنما يدور بين فرقة الهجوم والحرس الفرنسى لا غير ، وأن رجال الفرقة الجوية الخاصة قد انسحبوا واتخذوا طريقهم إلى مخازن الذخيرة القريبة فدمروها ، بعد أن تغلبوا على حراسها . واعترف الأسرى الألمان ، كما دلت التقارير التى وقعت فى أيدينا ، على أن الفوضى التى نجمت عن هذا التخريب قد بلغت مبلغاً عظيما .

وإن أربع سنوات قضوها فى خوض غمار النيران قد حنكت هذه الفرقة . وكان موقف الإنجليز فى شمال إفريقية فى بدء سنة ١٩٤١ قد بلغ من الحرج أن رضيت قيادة الشرق الأوسط أن تأنس إلى خطة قد تبدو طائشة، تقدم بها ملازمان صغيران ، هما دافيد استرلنج وجوك لويس ، يؤمنان بأن جماعات صغيرة من رجال منتخبين ومدربين خير تدريب ، يمكنها أن تكمن وراء خطوط العدو لتقوم بتخريب شامل . ووصل الملازمان إلى غرضهما بقوة الحجة والإقناع حتى رضى القائد الأعلى . فأقيم فى تيه الصحراء المصرية « معسكر استرلنج » وجمع له متطوعون من خير وحدات جيش الشرق الأوسط ، ودربوا أتم تدريب كالهبوط بالمظلات ، والقيام بالحركات الحربية فى الميدان ، وتعلم اللغة العربية .

وسرعان ما تجلت آثار استرلنج على

صورة باهرة مثيرة للدهشة . فقد دمر في ليلة واحدة مطاراً ألمانياً على مسافة ٥٠٠ ميل وراء خطوط رومل . وقد تولى هذا التدمير فصيلة من رجال مغامرين استقلوا سيارات جيب ، فحطموا الطائرات ودمروا الأبنية في نصف ساعة ثم اختفوا في الصحراء من حيث أتوا . وكذلك كانت مخازن الذخيرة يكتشف أمرها وتنسف ، وظلت الأعمال الحربية على طول الساحل الشمالي وهي تعرقل باستمرار ، وقوافل الإمدادات تهاجم ويقضى عليها . وخسر سلاح الطيران الألماني ٣٠٠ طائرة في أشهر قليلة بفضل تلك الهجمات ، فأصابه الضعف ، في حين كان رومل في أشد الحاجة إليها ليهجم على مصر .

وأخيراً وقع استرلنج في قبضة الألمان في تونس . ولما كان جوك لويس قد قتل من قبل في إحدى المعارك ، فإن قيادة فرقة الطيران الخاصة أسندت إلى پادي مين وكان بها جديراً ، وهو لا يزال إلى اليوم قائدها .

وهو إرلندي ضخم الجسم ، مغضن الوجه ، وبطل من الهواة في لعبة كرة الرجبي والملاكمة ، لطيف اللهجة حيّ الابتسامة . وهو لا يعدّ قائداً فحسب ، بل أصبح مضرب الأمثال أيضاً . ويحب رجال هذه الفرقة التحدث عن قصة لوحة القيادة الطائرة من طراز مسنر شميت رقم ١٠٩ وهي الطائرة الأربعون التي دمرها الكولونيل جميعها في ليلة واحدة في مطار ألماني .

وضع استرلنج آخر قنابله تحت الطائرة التاسعة والثلاثين ، ولم يكد يتحول إلى الطائرة الأربعين حتى شرع الألمان يطلقون رصاصهم كالجحيم ، فصعد استرلنج إلى داخلها ، وبقوة جبارة لا تتجلى إلا في الأحوال الفذة ، انتزع اللوحة مستعيناً بيديه فحسب ، وأخذ يلوح بها فوق رأسه مفاخراً وهو يقود سيارته عائداً إلى مقره .

وظل الكولونيل مين يعمل أثناء غزو نورمندي وراء خطوط الألمان حول لومان ، وهو ملتقى مهم للمواصلات ، ولما سقطت شربورج تحولت فرقة الطيران الخاصة شمالا وشرقاً لتساعد في التمهيد لهجوم مونتجمري وپاتون ، فخربت على خط باريس ــ آميان وحده ، وهو الخط المهم الذي يربط باريس بالساحل ، ٥٠ قطاراً ، ونسفت عدداً من القناطر ، وخربت المواصلات تخريباً تاماً .

وقد شكرهم مونتجمري رسمياً في شمال إفريقية ، ثم عاد وأثنى عليهم بعد معركة فرنسا ، وربما بذل إليهم الشكر مرة أخرى في المستقبل ، فرجال پادي مين لا يزالون على دأبهم ، أمّا أين ؟ وكيف ؟ فقصة لم يأن بعد أوان روايتها .

حوادث مدهشة

لورد فردريك هاملتون
في كتاب "أبهة أمس البائدة"

حين كنت في مفوضية ريوده جانيرو ، ذهبت في أحد الأيام أزور زوجة القنصل في مدينة باهيا ، ملبسي البياض من الرأس إلى القدم ، وإذا المطر ينهمر فجأة — كما يحدث في المناطق الاستوائية — كأنما ينسكب من أفواه القرب . بلغت دار القنصل في حالة يرثى لها ، فأنبأني الساقي — وكان من جاميكا إحدى جزائر الهند الغربية — أن السيدات خرجن في نزهة ، وبعد أن ألقى نظرة على ملابسي الزرية قال : « أعطني الملابس يا سيدي ، فتغسل وتكوى في عشر دقائق قبل عودة السيدات » . فلما أكد لي أن ليس في الدار غيري وغيره ، تجردت من ملابسي وجلست في حجرة الاستقبال .

ومر الوقت ولم تعد ملابسي . وكان ينبغي لي أن أعلم أن مقاييس الزمن عند خادم زنجي من جاميكا ، هي مقاييس مطاطة . وإذا بي أسمع أصواتاً ، وأرى — ويا لهول ما رأيت — زوجة القنصل تدنو ومعها ابنتاها وسيدات أخر . فلم تعد هناك لحظة تضاع ، ولم يكن في حجرة الاستقبال الاستوائية ما أتئزر به إلا غطاء مائدة من المخمل الذي طرزت حواشيه بالخرز ، فلم يبق لي إلا أن أنتزعه وألفه على بدني العاري ، وإذا السيدات يدخلن الحجرة فبينت لهن حرجي آسفاً لعجزي عن النهوض لتحيتهن ، وكذلك شربنا الشاي معاً .

ماري نايت
في فصل "مراسلة في باريس"

كنت واقفة مساء يوم في مدينة إنجليزية صغيرة تدعى ستريت ، مكبة على دليل « بيدكر » ، وإذا رجل إنجليزي يلبس المونوكل على إحدى عينيه ، يربت على كتفي ويقول : « اغفري لي تطفلي ، ولكن أتسمحين بأن أصحبك لترى مكاناً لن تجديه مذكوراً في دليلك ؟ » وحين قابلت نظرته الثابتة ابتسم ، ثم انقلب وجهه على غرة كأن حزناً لا يوصف قد شوه أساريره . فلم أقل شيئاً ، بل سرت إلى جانبه حتى وقف وقال هادئاً : « هو هذا » . وكان كنيسة سانت كاترين . لم يكن ثمة أحد ، وكان السكون سكوناً تدسيا ، فحدقت في القبة الفخمة والنوافذ الملونة ، ثم التفت لأبحث عن الرجل . . . كان واقفاً ورائي تماماً ، وكانت أصابعه الطويلة المخروطة تبدو في الأصيل كأنها براثن من الصلب ،

وقد أخذت تنقبض رويداً رويداً على كتفى قرب عنقى .

فذكرت شعاراً قديماً لنا فى أسرتنا : « لا تدع قط أحداً يظن أنك خائف » .

فأخذت أربت فى رفق على البرثن القابض على كتفى اليمنى . وقلت : « إنى أدرك . ما أشق الأمر ! ولكن أناشدك أن تصدقنى إن قلت لك إنى أدرك . إن عزيزة عليك ماتت منذ عهـد قريب ، أليس الأمر كذلك ؟ وأنت تحب أن تجىء إلى هـذا المكان لأن الجو كله سكينة . أشكر لك أنك جئت بى هنا . . . » .

وأحسست أن قبضته أخذت تسترخى رويداً رويداً ، نقلت وأنا لا أدرى أأستطيع أن أمسك ساقى عن التخاذل : « لقد تقدم بنا الوقت . أأمضى ؟ » .

فقال : « نعم .. كنت عزمت أن أخنقك ، ولو فعلت لكنت الخامسة ، ولكنى عدلت » .

ثم شهق ، وقال : « إذا رويت ما حدث ، أو حاولت أن تصفينى لأحد فإنى . . . » ثم سكت .

وهذه أول مرة أذكر فيها ما حدث .

[كتاب « مراساون فى أنحاء الأرض »]

❦❦❦❦

نفسية الجماهير

كنت بعد ظهر الأحد أنتظر صديقاً أمام مسرح توليدو ، فسمعت جنديين يتآمران على أن يلقى أحدهما قطعة نقد بنصف فرنك على الرصيف ، فإذا وقف أحد المارة وانحنى لالتقاطها صاحا به ، ووقفا يراقبانه وهو يتململ خجلا

وأخيراً لحظ أحد المارة قطعة النقد ، فالتفت إلى الجنديين الواقفين يتكلفان عـدم المبالاة ، فابتسم وألقى قربها قطعة بربع ريال ، ومضى . فذهل الجنـديان ، ولم يفيقا إلا والجمهور مندفع ، فثمة امرأة رأت الرجل يلقى ربع ريال فتبعته وألقت هى نقدها ، وتبعها غيرها من المارة ، وإذا النقود كومة . ثم وصل صديقى فدخلنا المسرح .

وقد خرجنا من المسرح بعد ثلاث ساعات فوجدنا جمهوراً غفيراً محتشداً حول كومة النقود ، وكان الناس حينئذ يلقون عليها أوراق النقد علاوة على النقود المعدنية . وبعد خمس ساعات تدخل البوليس ، لأن الجمع المحتشد عرقل حركة المرور . فجمع الجنديان المال وعدوه فإذا هو ٧١٢ ريالا ، قدماها منحة لجمعية الصليب الأحمر .

[مستر ڤكتور جاورسكى]



أخى الذى كلم الخيل

مورتن طمسون

ملخصة عن مجلة "ذى أميريكان ميركيورى"

ظل أخى ست سنوات منذ بلوغه العاشرة يلقب « لويس الحصان » ، فقد عاش بين الخيل وآكلها ، ودارت برأسه أحلام كأحلامها ، وصارت رائحته كرائحتها ، وكان يكلمها ويحادثها . ذلك كان سر « لويس الحصان » : كان يحادث الخيل وتحادثه .

وقد بدأ ذلك سنة أرسلناه بعيداً عنا إلى مدرسة قريبة من سان دييجو . وكانت المدرسة قد اشترت خيولها من قبيلة هندية مجاورة . وكانت هذه الخيول الهندية الصغيرة شُمُساً لم تروّض بعد . ولم يزد لويس على أن خرج إلى مسارح الخيل ومعه حبل وعدا خلف الفرس الذى اختاره ، وعاد بفرسه . ولا يعلم أحد كيف كان ذلك ، غير أنه دخل ساحة المدرسة وهو على صهوة فرس عُرْى ، بادى الزهو يقوده بحبل . وحين بلغ الحادية عشرة ركب فرساً وقفز به حاجزاً ارتفاعه أربع أقدام ولم يكن عليه سرج ، وظل واقفاً على صهوته معتدل القامة .

وحدث ذات يوم حين كان فى الثانية عشرة أن ذهبت إلى كالينتى لمشاهدة السباق . وهناك صادفت لويس . كانت المدرسة فى عطلة ، فجاءت بالتلاميذ إلى ميدان السباق ليروّحوا عن أنفسهم ، فجعلوا يتراهنون على الخيل بحلواهم . وكانوا لا يعبأون باللوحة التى تكتب عليها نسب المراهنات ، إذ كانت لهم طريقة فى المراهنة أعدل من هذه . فكان لويس يختار أولا أحد الخيول ثم يراهن التلاميذ على أن يدفع لهم ٣½ مقابل ١ للحصان الذى ينتخبه إن خسر .

فسألته ساخراً : « وكم قطعة حلوى عليك للتلاميذ ؟ » .

فقال متعجباً : « لست مديناً بشىء ! » .

ثم ظهر أنهم كانوا مدينين له بـ ٢٧ قطعة وكان كل تلميذ مديناً له طيلة المدة الباقية من السنة الدراسية . وقال لى : إنه يختار دائماً الحصان السابق ، فسألته : أى حصان تفضل فى الشوط التالى ؟ فشق طريقه فى

مورتون طمسون أديب وقصصى ، وقد كتب هذه القطعة منذ سنتين عن أخيه لويس مارشال طمسون الذى قضى نحبه فى العام الماضى ، وهو تلميذ بمدرسة الطيران .

الزحام ، وذهب إلى معرض الخيل فى الحلبة ، فكلما مرّ به حصان نظر إليه نظرة المتسائل ، وقد تلفتت إليه أربعة خيول وأتلعت أعناقها ، وسددت إليه نظراتها ثم همهمت له .

« الجواد رقم ٤ » قالها هادئاً غير حافل .

وكان الجواد ٤ سيدفع ١٢ ضعفاً ، وقد فاز بالسباق . ثم بقيت ثلاثة أشواط . وكان « لويس الحصان » ينتخب لى الخيل فى كل شوط بأن يسألها فتجيبه ، ثم أراهن . وقد عدت إلى بيتى وأنا أكاد أجن .

حاولت أن أهتدى إلى سرّ عجز هو عن تفسيره ، أو عجز عن تفسيره تفسيراً يستقيم .

وإنه ليقول بسذاجة : « إنهم يخبروننى » .

« وماذا يقولون ؟ » .

« يثرثرون ! يخبروننى عن حالتهم أسيئة هى أم جيدة ، وكيف يكون جريهم فى الشوط ، ويذكرون لى رأيهم فى راكبيهم ، وفى المضمار ، وفى بقية الخيل . ثرثرة كثيرة » .

كان ينبغى أن أرى ذلك بعينى . قلت لنفسى : « لو أسأت الظن بالفتى فهو كاذب متوهم ، ولو أحسنته لظننته يؤمن بما يقول » . ولذلك استأذنت له المدرسة ، وأخذته معى إلى « سانتا أنيتا » .

عدنا إلى معرض الخيل فى الحلبة فوقف بجوار الحاجز وقلت له : « فلتكلمهم الآن » . وكانت خيول الشوط ثمانية ، فكلم ستة فردوا عليه بحمحمتهم . ثم التفت إلى وسألنى : « ألا تريد أن تعرف أيهم السابق ؟ هو الجواد ٣ » . نظرت إلى لوحة المراهنة فوجدت الجواد ٣ سيدفع ٨ أضعاف .

فسألته مرتاباً : « وكيف علمت ذلك ؟ » .

فالتفت إلىّ وقد تجهم وجهه وقال : « ألم ترنى أسألهم ؟ » .

« وماذا قالوا ؟ » .

« قال الجواد ١ إنه يتلهف ، غير أنه لا يحب راكبه . وقال الجواد ٢ إنه لا يمكن أن يربح . وقال الجواد ٣ إنه ثائر كالنار المشتعلة وإنه مستعد أن يسبق كل الجياد . وأما الجواد ٤ فإنه لا يبالى فاز أو خسر . وأما الجواد ٥ فظهره يؤلمه أشد الألم . ورقم ٦ يشعر أنه فى حالة جيدة غير أنه يعلم واثقاً أن الجواد ٣ سيتغلب عليه . وأما الباقيان فلا تبال بهما ، جميعهم يقولون : « لا تكترث بالباقين فهما فى حال سيئة » .

فغمزته بسبابتى وقلت له : « إن الجواد رقم ٥ كذاب . انظر إلى مشيته . إن ظهره سليم سلامة ظهرك » .

فسألنى لويس بسذاجة : « ولماذا يكذب ؟ لقد قال إنه مريض فهو إذن مريض »

وقد فاز الجواد ٣ وسبق الخيل بمسافة طويلة ، أما الجواد ٥ فتخاذل ونكس ، ووصل النهاية وهو يعرج .

وفى ذلك اليوم اختار لى لويس الخيل السابقة فى ستة أشواط من ثمانية . وفى شوط واحد كان الجواد الذى انتخبه المصلىّ (الثانى) فامتقع لون لويس من الغيظ .

فصاح : « هذه الحشرة القذرة ! هذا الراكب الدنىء ! هـذا اللص ! » وكانت الدموع تترقرق فى عينيه . فقد شد الراكب الجواد الذى اختاره ، ولم يكن لويس يراقب الخيل أثناء عدوها ، بل لبث ينظر بمنظار كبير إلى الراكبين منذ بدأ السباق .

أما الشوط الآخر فكان للخيول المبتدئة التى كانت فى الثانية من عمرها . وكان لويس يحب أن يكلم هذه الخيول الصغيرة غير أنه قال لى إنه لا يثق بها . فهى تبالغ فيما تقول . وهى صادقة حين تقول إنها ستفوز ، غير أنها لا تدرى لصغر سنها وغرارتها .

ولما جاء الصيف وكانت عطلة الدراسة ، واظبنا على الذهاب إلى سانتا أنيتا كل يوم . وإنه ليعرونى الخجل حين أعترف بأن أرباحى فى نهاية السنة كانت هائلة . وكان لويس نفسه لا يهتم بالمراهنة بل لم يكن مغرماً إلا بمراقبة الخيل والدنو منها ومحادثتها .

وكثيراً ما كان يستيقظ فى الثالثة صباحاً ويلتمس الركوب فى سيارة عابرة لينتقل ٢٥ ميلا لا يريد غير الجلوس على سور المضمار فى بدء ساعة السباق الدقيقة . فقد كان يطمع أن يصير راكباً ، غير أنه كان مشبوح العظام . ثم تمنى أن يصبح ممرناً ، فاستحضرت له الكتب وقدمتـه إلى أصحاب الجيـاد . ولو تيسر له أن يصير جواداً لفعل .

وإنى لأذكر يوم قال لجوك هوتنى : إن أحد خيوله سيفوز بالسباق التالى ، فسخر منـه جوك . وكان معدل دفع الجواد ٢٢ ضعفاً . ولكن جوك آثر عليه جواداً آخر قال عنه لويس إنه جواد أعرج . فنظر جوك إلى الجواد مرة أخرى ، وأنعم النظر ، ثم التفت إلى لويس وقال له متعالياً : « إن هذا الجواد أسلم منك بدناً يا بنى » .

وقد فاز الجواد الذى دفع ٢٢ ضعفاً ، وأما ذلك الذى قال عنه لويس إنه أعرج فقد نكس ، وبلغ النهاية وهو يعرج .

وذات يوم طلب إلىّ المخرج السينمائى سام وود أن أترك له لويس ، وسألنى أن أصحبه . فلما بلغنا معرض الخيل جعل سام يراقب لويس وهو يكلم الخيـل . ثم قال له لويس : « الجواد ٧ » . وهو الجواد سيرو الذى كان معدل ربحه ٣٠ ضعفاً ، فلم يخرج ذلك صاحبنا سام عن وقاره ، وتقدم إليه وشكره . وذهب إلى شباك التذاكر وراهن بمئة ريال ، وقد فاز سيرو . ولما ذهب سام ليصرف ربحه البالغ ثلاثة آلاف ريال أطبق الصمت على مقصورتنا ، إذ كنا ننظر إلى

لويس وهو ينظر بهدوء إلى الخيل الآبية وهى تعدو خبباً إلى منصة المحكمين .

ثم اختار لويس الجواد ؛ فراهنا عليه وفاز ، وصرفنا نصيبنا من الربح ، ثم توالت بعد ذلك الأشواط وربحنا فى كل شوط .

ولم يشأ أن يختار أحد الخيول فى الشوط السادس وقال : « إن أى جواد يستطيع أن يفوز بالسباق ، فقد قالوا جميعاً إن فى وسعهم أن يفوزوا » . فتوسلنا إليه وألححنا فصاح : « لا أستطيع أن أخبركم فهم أنفسهم لا يعلمون » .

فراهنا حسبما تراءى لنا ، وخسرنا ، وفى الشوطين السابع والثامن جاءنا صديق يسر إلينا بنبأ يقين ! فتهالكنا على المراهنة وعدنا إلى بيوتنا مفلسين .

أما لويس فعاد راضياً ، فقد أمضى يوماً فى السباق ، وكلم بعض الجياد الفاخرة ، واستمتع برائحتها وأصواتها ومنظرها ومداعبتها . وهو لا يبالى بعد ذلك شيئاً .

هكذا صار لويس يلقب «لويس الحصان» .

ولما ترك المدرسة بكت الخيل ساعة رحيله ولا سيما جواده ، فقد رأيته يبكى حين دخل لويس الإصطبل وأخبره بعزمه على فراقه .

ولما بلغ السادسة عشرة من عمره كف فجأة عن محادثة الخيل ، وكفت الخيل عن محادثته فعمه ذلك بعض الغم .

وكنت أسمعه أحياناً يقول لها : « لا أدرى ماذا تقولين ! » . ولكننى أظن أنه كان حزيناً مبتئساً . ولقد رأيته بين الحين والحين وهو يحاول أن يسترد شيئاً مما كان له ، ولكنه كان يخفق دائماً ، وأخيراً نفض يديه من الأمر كله . وأظنه أحس بأنه قد كبر عن مثل ذلك ، غير أنه لم يزل فى وسعه أن يسير بين الجياد الغضاب الثائرة ويهدىء من ثورتها بأن يربت عليها بيده ، ويصيح فى وجوهها كالدجاجة ، وينظر إليها نظرة رقيقة . إنه يحب الجياد .

ولكنه لم يعد يكلمها أبداً ، وكذلك هى لم تعد تجيبه .

يدعون : عنتر ! والرماحُ كأنّها أشطان بئر فى لبان « الأدهم »

مازلت أرميهم بغرّة وجهه ولبانه حتى تسربل بالدم

فازورّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة وتحمحم

لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان ، لو علم الكلام ، مكلمى

[عنتر بن شداد العبسى]

أؤمن..!

چون د. روكفلر في إذاعة

◆ أؤمن بكرامة العمل ، عمل العقل وعمل اليد ، وبأن ليس لزاماً على العالم أن يكفل الرزق لأحد ، ولكن عليه أن يتيح لكل امرئ فرصة لكي يكسب رزقه .

◆ أؤمن بقيمة الفرد السامية ، وبحقه في الحياة والحرية ونشدان السعادة .

◆ أؤمن بأن الحق والعدل ركنان لا غنى عنهما في كل نظام اجتماعي ثابت .

◆ أؤمن بقدسية الوعد ، وأن كلمة الرجل ينبغي أن تكون كعهده المكتوب ، وأن الخلق وحده ، لا المال ولا السلطان ولا الوجاهة ، له قيمة لا تسامى .

◆ أؤمن بأن كل حق من الحقوق يقتضي تبعة ، وأن كل فرصة تقتضي التزاماً ، وأن كل امتلاك يقتضي واجباً .

◆ أؤمن بأن القانون وُجد من أجل الإنسان ، أما الإنسان فلم يوجد من أجل القانون ، وأن الحكومة خادم الشعب لا سيده .

◆ أؤمن بأن حسن التدبير ركن من أركان الحياة المنتظمة ، وأن الاقتصاد عنصر أساسي في كل بنيان مالي سليم — في الحكومة والأعمال والحياة الخاصة .

◆ أؤمن بأن إسداء العمل النافع واجب على البشر جميعاً ، وأن أدران الأنانية لا تبيدها إلا نيران التضحية المطهرة التي تحرر عظمة النفس البشرية من قيودها .

◆ أؤمن بربّ حكيم رحيم ، وأؤمن أن إدراك المرء أقصى مناه وأصدق سعادته وأعظم نفعه ، إنما يكون حين يعيش في طاعة الله .

◆ أؤمن بأن الحب أعظم ما في الدنيا ، وأنه هو دون غيره يستطيع أن يقهر البغض ، وأن الحق يستطيع أن يقهر القوة ، وسيقهرها .

بلد المتناقضات

يصفون رئيس جمهورية كوبا الجديد بانه «عالم» وأنه «حالم» ولكنه ينجز ما يحتاج إليه الشعب

ج . ب . ماك ايفوى

ملخصة عن
مجلة "ستردای ایفننج بوست"

احتفل منذ سنتين فى هافانا بإحياء ذكرى ٤ يوليو — موكب ، وخطاب بليغ ألقاه الرئيس باتستا ، ورد كريم من مستر بريدن سفير الولايات المتحدة، وعرض عسكرى يأخذ بالأبصار . فيوم ٤ يوليو ، يوم استقلال أمريكا ، هو يوم عيد فى كوبا لأن الكوبيين يعلمون أن استقلالهم وليد استقلال أمريكا ، فهم يشكرون فضل الأمريكيين بالأمس ، ويبقون على مودتهم اليوم .

وعلى بضعة أميال من حيث يبدأ الموكب، ركب رجل سيارة قديمة بسيطة ، واتخذ طريقه فى الشارع المؤدى إلى موقف الاستعراض ، ولكن سيارته تعطلت فى الطريق على مسافة ميل أو نحو ميل من وجهته ، فترجّل ليقطع بقية المسافة على قدميه ، وبدأ الناس يتبعونه، وكلما تقدم زاد عدد من يتبعه . وكان يبدو لمن لا يعرفه رجلا وجيهاً عالماً ، شديد الحياء ، رقيق الأخلاق ، قد خرج يتمشى ، ولكن الجماهير التى جعلت تتدفق خلفه من الشوارع والأزقة كانت تنظر إليه نظرة الإكبار والإعجاب ، ثم أخذت تهتف : « ليحيي جراو ! ليحيي جراو ! » . وحين وصلوا إلى موقف الاستعراض كان هذا الهتاف وهذا الموكب المرتجل من عامة الشعب ، قد طغى على الاحتفال الرسمى وجعله يبدو ضئيلا بجانبه .

وفى سنة ١٩٤٤ كان ثمة احتفال آخر بيوم ٤ يوليو ، وكان فى مقدمة الموكب الرسمى ، مع الرئيس باتستا والسفير بريدن ذلك الرجل حبيب الجماهير ، ولكنه لم يكن فرداً من الناس حينذاك بل كان الرجل الذى اختاره الشعب للرياسة . فقد ثار الشعب ثورة لم يرق فيها دم لانتخاب الدكتور رامون جراو سان مارتن ، وردّوا إليه

سلطانه — فهو الرجل الذى استطاع ، فى أربعة شهور قصيرة من رياسته منذ إحدى عشرة سنة ، أن يجعل قوانين البلاد أوسع حرية ، وأن يصلح من حال عامة الشعب أكثر مما فعل أى كوبى آخر .

والكوبيون أهل دعابة وبصر بأساليب الحياة، فتراهم يفخرون بأن يسمّوا جزيرتهم الجميلة : بلد المتناقضات . ويريدون بذلك أن لا يدهش أحد لأى شئ قد يقع فى جنتهم التى تجمع بين النقائض . ويكاد أهل الجزيرة كلهم يكونون من السياسيين ، ولكن كوبا على الرغم من ذلك لم تنتخب أحداً من السياسيين لمنصب الرياسة، ولكنها انتخبت أستاذاً فى وظائف الأعضاء والأمراض الباطنية .

ولقد قيل للكوبيين وقالوا هم لأنفسهم إنهم فى حاجة إلى يد عسكرية قوية تحكمهم فالعجب العاجب أنهم آثروا بعد ذلك أن يحكمهم رجل عالم مفكر .

والذين لا يعرفون الدكتور جراو يدعونه خياليا وحالما ومتصوفاً ، ولا يدع لحديثه العذب . ورقة حاشيته لا يدلان على ما انطوى عليه من قوة عزم وشدة مراس لا يعرفهما فيه إلا الأقربون . ويشهد له جيل من مَهَرة الأطباء الذين تلقوا عنه العلم أنه ذو عقل علمى منظم ، وأنه يصر إصراراً بالغاً على طهارة الذمة والكفاية الفنية . سيقولون لك إنه « رئيس شديد الوطأة » ثم يذكرون لك فى زهو وفخار ملاحظته الساخرة المأثورة حين يسقط من يقصرون فى الامتحان : « أتريدون أن تكونوا أطباء أم قتلة ؟ » .

وجراو هذا الذى يدعون أنه « حالم غير عملى » نجح نجاحاً باهراً فى صناعته، فقد كان من أعظم أطباء كوبا توفيقا ، وكانت عيادته الخاصة تدر عليه ما يربى على ٥٠٠٠٠٠ ريال فى السنة ، كان ينزل عن معظمها فى كفاحه فى سبيل الإصلاح ، ويحاضر فى الجامعة فى الصباح ، ويجعل من منزله فى المساء عيادة بالمجان لمن يبتغون مشورته فى أمر من أمورهم الخاصة أو السياسية . قيل له مرة إنه شيوعى فكان جوابه: « إن رجلا يملك ربع مليون من الريالات كسبها بجده وكده لا يمكن أن يكون شيوعيا » ، ثم أردف قائلا: « ليس لزاما علىّ أن أكون شيوعيا حتى أومن بأن العامل ينبغى أن يتقاضى أجراً يكفيه ليعيش كإنسان لا كحيوان » .

وحق الانتخاب فى كوبا إجبارى يشمل الرجال والنساء ، وقد يحكم عليك بغرامة إذا لم تعط صوتك فى الانتخاب . وفى يوم الانتخاب فى يونيو الماضى انهالت أكثرية الأصوات على جراو من جميع أرجاء

الجزيرة . وكان الدكتور كارلوس سالادريجاس المرشح المنهزم مؤيداً من حكومة باتستا، ومن الجيش والبحرية، ومن كبار رجال الأعمال، ومن الشيوعيين والطبقة الراقية ، وهو خليط غريب حقا ! أما جراو فلم يؤيده سوى عامة الشعب !

كان الناس يعلمون أن الدكتور جراو يفكر في خيرهم ،وكان خطيبه البليغ السناتور إيدى شيباس يشن وحده حرباً من الكلام في الصحف والمجلات اختتمها بدعاية انتخابية قوية أذاعها بالراديو . وشيباس هذا كان زعيما منذ ١٥ سنة على نفر من طلبة الجامعة الثائرين ، واقتحم بهم الفصل الذى كان الدكتور جراو يحاضر فيه . وقالت لجنة الثائرين إنها تبغى تأييد جميع الطلبة والأساتذة في مقاومة طغيان الرئيس ماخادو فقال لهم جراو : « هذه الحصة حصتى أفعل بها ما أشاء . سيروا على بركة الله » .

وأقنعت اللجنة الطلبة ، وأهم من ذلك أنها أقنعت جراو أيضاً ، وكان قد أصبح رأس الحركة الثائرة ضد حكم ماخادو . وقضى جراو سنة في السجن معتقلا سياسيا في جزيرة الصنوبر ، على أنه فر في الوقت المناسب واشترك في حكومة الثائرين التى انتزعت الحكم بعد فرار ماخادو .

وتاريخ تلك الأيام الصاخبة تاريخ دام أسود ، فقد اندفعت كوبا بعد أن ارتفعت عنها يد ماخادو الحديدية في سلسلة عنيفة من أعمال القتل والثأر والإحراق والسلب والنهب. وانتهز باتستا — وكان يومئذ جاويشاً غير معروف في الجيش — الفرصة ، فقام في نفر من زملائه في الجيش بثورة انتزع بها مقاليد السلطة على الجيش ، واتخذه قوة بوليس في كبح جماح الكوبيين وإخضاعهم لبعض النظام .

وبعد ذلك بأسابيع اختير الدكتور جراو ، وهو أحد أعضاء لجنة الثائرين المؤلفة من خمسة ينتخبهم الجند والطلبة ، ليقوم بعمل الرئيس حتى تهدأ البلاد ويتم فيها انتخاب قانونى . وكان ذلك في ١٠ سبتمبر سنة ١٩٣٣

وفى الأيام المئة التالية حلق « حالم » كوبا مصعِّداً في سماء الخيال والأحلام مجتازاً كل غاية معروفة ، وجاوز ذلك فكتب أحلامه جميعاً في سجلات قوانين البلاد على أنها قرارات رسمية لم تجرؤ أية حكومة لاحقة على إلغائها .

فقد منح كوبا أول قانون انتخابى، وأول قانون للاحصاء، وحق النساء في الانتخاب، وأول قانون يسمح باستخدام النساء في الوظائف العامة . ونصت قوانينه الزراعية على إقامة المنازل الريفية ، وإعادة توزيع الملكيات الزراعية الكبيرة بين صغار

الزراع . وتضمنت قوانينه الاجتماعية إنشاء أول وزارة للعمل ، وتحديد أقصى ساعات العمل بثمانى ساعات فى اليوم ، وتحديد أدنى حد للأجور ، وتحـديد ساعات العمل فى الأسبوع بأربع وأربعين ساعة ، وتعويض العمال ، والتحكيم الإجبارى ، وحماية العمال من الحجز على أجورهم ، وقانون لمنع الربا ، وقرر تقديم وجبة الإفطار بالمجـان فى المـدارس ، وتوفير المرضين والممرضات للشعب ، والمساكن للفقراء ، ودخول الجامعة للملقين من الطلاب ، وزيادة مرتبـات المدرسين جميعاً .

ولم تعـترف الولايات المتحدة بحكومة جراو . وكان أول عمل رسمى عمله أنه ندد « بنصوص بلات » التى جعلت لحكومة الولايات المتحدة حق التدخل بالقوة المسـلحة إذا اقتضى الأمر لحفظ النظام فى أى وقت كان . ومن جراء ذلك وصف جراو بأنه عـدو الأمريكيين ، أما جراو فقـد صرح بأنه ليس إلا عدواً للاستعمار ، وأن الأمريكيين أنفسهم سوف يقرُّون موقفه يوماً من الأيام . وبعد انقضاء سنة — وكان جراو قد أقصى عن الحكم — وافقت حكومة الولايات المتحـدة على مبدأ جراو وألغيت النصوص .

كذلك أثار جراو عداوة الأمريكيين وغيرهم من الأجانب بتقريره قانون الخمسين فى المئة ، الذى يحتم على جميع الشركات التى تعمل فى كوبا أن تستخدم من الكوبيين عدداً يستنفد نصف المرتبات التى تدفعها هذه الشركات .

وأخيراً ، وكانت سفن الولايات المتحدة الحربية راسية فى ميـاه كوبا ، نذيراً قائماً بالتـدخل المسلح ، ولا أمل فى اعتراف الولايات المتحدة بما يريده ، خضع جراو لما ليس منه بد ، وفى ١٤ يناير سنة ١٩٣٤ خرج فى هـدوء من قصر الحكومة إلى منزله وترك تعيين خلفه للجاويش باتستا .

وكان باتستا يدير الحكم فى كوبا كما تدار معارض الدُّمى المتحركة ، فقـد كان يحرك الأسلاك خلف الستار فى حين يمر على المسرح أمام أعين الشعب موكب من الدمى خلع على كل منها لقب « رئيس الجمهورية » . ولما ملّ باتستا السلطان المجرد من مجد الحكم وأبهته ، ترك الجيش منذ أربع سنين ورشح نفسه لرياسة الجمهورية . فترك جراو حياته الهادئة ورشح نفسه ضد باتستا . وسيقول لك الكوبيون إن جراو نال أغلبيـة الأصوات ، ولـكن الوثائق الرسمية تدل على أن باتستا نال رياسـة الجمهورية . على أن الأمر فى سنة ١٩٤٤ كان يستلزم جيشاً من السحرة لإخفاء أغلبية جراو .

وكسب الدكتور جراو الحرب ، ولكن لم يزل أمامه أشق عمل يعمله ، وهو أن يكسب السلم . فكوبا بلد صغير ، ولكنه مبتلى بجميع متاعب البلاد الكبيرة ، ويزيدها تعقيداً المصالح الخاصة المتضاربة : فليس بها ما يكفى من الطرق المعبدة ، ولا من المدارس والمدرسين ، ولا تزال أحوال الرعاية الصحية فيها على الفطرة ، وعمل الحكومة فيها تنقصه الكفاية ، وتشيع فيها السياسة الحزبية حتى تفشَّت حرب العصابات بين الأحزاب ، وهى تعتمد على محصول واحد فى نظامها الاقتصادى ، وتنذر علاقات العمال بأصحاب العمل بالخطر الداهم ، كما تقوم فيها طائفة عادية من الشيوعيين . ويتخلل جميع ذلك الرشوة ، وهى ما يدعوه الكوبيون « بالشيفو » أو الماعز .

ويقول الكوبيون ساخرين : إن ثمة صناعتين فى جزيرتهم — صناعة السكر ، وصناعة الميزانية . « ولكن هناك — كما قال لى الدكتور جراو بعد انتخابه — صناعة ثالثة ، أكبر وأعظم هى « الرشوة » ثم أضاف إلى ذلك قوله : « ليس فى كوبا من المساوىء ما تعجز عن إصلاحه حكومة نزيهة مخلصة ، فإن النزاهة فى المناصب العليا تنساب متحدرة حتى تصل إلى عامة الشعب » .

وبعد ذلك بأيام أعلن خطيبه إدى شيباس فى الراديو أن الدكتور جراو سيستصدر إشهاداً رسمياً بممتلكاته وأمواله قبل دخوله الرياسة ، وكذلك سيفعل كل عضو من أعضاء وزارته .

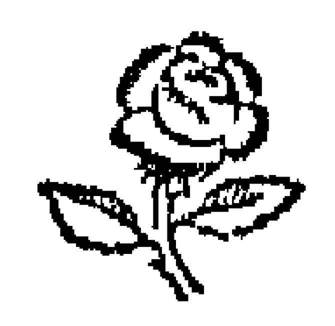
ويقول الكوبيون أنفسهم عما جبلوا عليه من غلبة المتناقضات عليهم ، إنهم مبتلون بأرض غاية فى الخصوبة ، وجو غاية فى الصفاء ، وعمال غاية فى الكثرة ، وسوق غاية فى القرب ، حتى إنهم دائماً بين اثنتين : إما أن يتردَّوْا فى الإفلاس ، وإما أن يجهدوا فى الخلاص منه . وتستطيع كوبا أن تنتج من الطعام ما يكفى لإطعام أهلها ويبقى الكثير لديها للتصدير ، ولكنها تتمسك بنظام اقتصادى قائم على محصول واحد هو قصب السكر ، وهى مقيدة إلى مشتر واحد لا تستطيع الخلاص منه هو الولايات المتحدة . والجزيرة إلى ذلك يسكنها قوم من الفلاحين ليس لهم مزارع ، ولا يفعل معظمهم أكثر من التحلق حول مصانع السكر المئة والخمسين القائمة فى كوبا . ولما لم تكن لهم أرض ، كانت الزراعة لا تهمهم حتى ولا من ناحية إنتاج طعامهم . كذلك لما لم تكن لهم بيوت ، فإنهم لا يهتمون بأن يحافظوا على أكواخهم الزرية التى يغطيها سعف النخيل لتكون فى حال حسنة .

وزراع قصب السكر الكوبيون ليسوا فى الواقع زراعا ، بل هم عمـال مصانع يعيشون على الأرض دون أن يمتوا إليها بأصل أو سبب ، ويتوقف معاشهم على مصانع تقفل أبوابها من ثمانيـة شهور إلى تسعة فى السنة . وهذا أسوأ المتناقضات فى كوبا — جمهورية من شعب حر سياسياً ، ولكنها تقوم على نظام اقتصادى من الرّق يتصل بعصور الإقطاع.

ولقد واجه الدكتور جراو متاعب كثيرة حين أراد أن يحل هذه المشكلات فى مدة رياسته القصيرة الأولى .

ولا عجب أن يذرّ قرن هذه المتاعب ثانية . ولعـل أعنف الحملات هى حملات الشيوعيين ، وعـددهم قليل ، ولكن فى زعمائهم ذكانة وجرأة ، وهم يعملون يداً واحدة لتنفيذ برنامج بسيط لا تعقيد فيـه هو : (١) أن تكون لهم السلطة على العمال وجماعاتهم المنظمة . (٢) أن يستخدموا هذه القوة فى انتزاع السلطة الاقتصادية والسياسية.

بيد أن الدكتور جراو يفهم كوبا كما يفهمها كوبى حكيم عاش طوال حياته فى تلك البلاد . وهو يفهم الكوبيين كما يفهم طبيب الأسرة المدرب الحصيف أدواء مرضاه فى الأسرة . ولعـل بساطته توهم خطأً أنه سهل الانقياد ، كما أن استعداده لسماع كل شكوى يؤول إلى أنه تردد ، وينسى الناس أن الطبيب العظيم يعلم جميع ما يريده عنك بالاستماع الدقيق إليك . ويدل تاريخ الدكتور جراو على أنه لم يتزحزح مرة عن موقفه أو يتراجع مرة عن النضال، وغير محتمل أن يفعل ذلك الآن .



الجواب غير المنتظر

حين طبق نظام الجراية على اللحم ، بعث فلاح إلى اللجنة المشرفة على النظام ، ينبئها بأن عنده من لحم البقر بضع مئات من الأرطال مخزونة فى داره . فجاءه خطاب من اللجنة يسأله لماذا خزن مثل هـذا القدر الكبير من اللحم فردّ : « كان لا بُدّ لى من أن أقتل الثور كله مرّة واحدة » .

[ج . كلارك فى « كورونت »]

نهض سكان مدينة « إلما » بولاية وشنطون نهضة رجل واحد وقرروا أن ينقذوا مدينتهم . . . .

كيف تذود أشباح الفاقة عن المدن

ملخصة عن كتاب سينشر قريبًا بعنوان " رجال يعملون "

ستيوارت تشيس

ما هى المدينة التى تسكنها الأشباح ؟ هى تلك التى كانت بها وسيلة لكسب العيش ثم زالت على نحو ما .

لقد تناثرت مدن الأشباح فى أرض أمريكا تبعاً لما استنفده سكانها من أحد مواردها — غابات ، ومصايد أسماك ، ومراع ، ومعادن ، وآبار نفط ، ومياه .

ويحدث أحياناً أن تحزم صناعة متاعها وترحل بقضها وقضيضها ! لقد رأت بعض المدن فى ولايات نيو إنجلند ما فيها من مصانع القطن تنتقل إلى الجنوب ، أو ما فيها من مصانع الأحذية ترتحل إلى الغرب . إن عصر القوة المحركة يستطيع أن يجعل المدن تنقلب مسكناً للأشباح بسرعة فائقة.

فماذا ينتظر أن يكون مصير العدد العظيم من تلك الجماعات التى ضخمتها صناعات الحرب الآن حين ينضب المعين الذى تدفع منه أجورها ؟ ماذا تستطيع مدينة ما أن تفعل بأشباح الفاقة التى تهددها ؟

إن أحد طرق العلاج هو أن تفعل ما فعلته مدينة « إلما » بولاية وشنطون . لم تكن «إلما» قط من مدن الأشباح ، ولكن الأشباح كانت تكتنفها وهى فى وسط مظاهر الرخاء ، فذادتها وشتتت شملها . ولقد اخترع أهل هذه المدينة اختراعاً اجتماعياً جديداً ، يمكن أن يطبق فى أماكن كثيرة أخرى .

فى حديقة « إد ستامبر » الخلفية فى مدينة « إلما » شجرة من أشجار الشربين الضخمة ، وهى شجرة ماردة يبلغ ارتفاعها مئتى قدم من تلك الأشجار البواسق التى تغطى الجهة الشمالية الغربية من ولاية وشنطون . لم يحص أحد قط أو لم يكن يستطيع أن يحصى عدة هذه الأشجار . ولقد أمرّ « إد » إبهامه على حد فأسه وبدأ يضرب به ، فبنى لنفسه كوخاً ومطبخاً ومخزناً لخشب الحريق بعض خشب شجرته ثم قطع ٣٠٠ قضيب كالذى يستعمل فى عمل الحواجز ، طول كل منها ١٠ أقدام ، وصنع ٣٣٤ عارضة من التى تمد عليها وتثبت بها قضبان السكة الحديدية ، ثم نشر ٥٠ لوحاً ، عرض كل منها ست بوصات وسمكه بوصتان ، وكوّم أثناء عمله ١٥ حزمة من خشب الحريق فى مخزنه

الجديد ، وباع قشر الشجرة بمبلغ ١٢ ريالا ، وبقى لديه جزء كبير من تلك الشجرة .

نشرت جريدة « إلما كرونيكل » هذا النبأ فى سنة ١٨٩٩ ، وكان فى منطقة « إلما » حينئذ من الخشب غير المقطوع ما مساحته ستة آلاف مليون قدم .

وبدأت آلات أول مصنع لنشر الخشب تهدر فى سنة ١٨٩٠ ، فلم تمض عشر سنوات حتى كانت هناك عشرة مصانع كبيرة تشق الخشب وتنشره . وكانت آلات هذه المصانع تقطع الخشب بلا هوادة ، متخيرة أحسن الأشجار ، ونابذة غيرها لتلقى إلى النار . ولم لا ؟ أليس شجر الغابة شيئاً « لا ينفد ! » .

تحولت « إلما » تلك المحلة الصغيرة ، تدريجاً حتى غدت مجتمعاً محكم التنظيم ، واثقاً من استقراره ومن مستقبله .

ولم تأت سنة ١٩١٠ حتى كانت الأشجار فى ٣٨ فى المئة من منطقة « إلما » قد قطعت ، وكان فى وسع أى تلميذ يومئذ أن يرسم خطاً بيانياً يدل على السنة التى تحوّم فيها الأشباح على المدينة . ولكن لم يفعل ذلك أحد لا من الولدان ولا من الرجال .

وهكذا أطبقت الأشباح على إلما فى سنة ١٩٣٨ . فلم يبق فيها من ١٥٣٫٠٠٠ فدان من الغابات الباسقة الأشجار التى لم تمس ، إلا ١١٫٠٠٠ فدان . وقد ارتحلت مصانع مالون التى كان رزقاً لما يزيد عن ثلث سكان المدينة . فمتى يرحل المصنع الباقى ، وماذا يفعل الناس يومئذ ؟ إن أكثر من ألف حرفة كانت تعتمد على هذه الغابة التى أخذت تتقلص .

لم يعد غرب الولايات المتحدة بقعة فيها مدن متناثرة تهدر آلات مناشرها ، بل مدن ينعق فيها البوم . أفهذا مصير « إلما » أيضاً أن تصبح ذكرى وحسب ؟ إن فى تلك المنطقة ستة آلاف من الرجال والنساء والأطفال من خيار الأمريكيين ، والثلثان منهم يملكون دورهم . فماذا عساهم يصنعون ؟

دعت الغرفة التجارية فى المدينة إلى اجتماع حضره كبار القوم فى المنطقة ، وقرر المجتمعون أن يلجأوا إلى مجلس تنظيم الولاية ، فهو إنما أنشئ لمثل هذا . فتبين المجلس فى حالة مدينة « إلما » فرصة لإقرار سابقة وتنفيذ خطة لإنعاش عدد من المدن تعتمد اعتماد « إلما » على الغابات التى أخذت تتضاءل .

أترى أهل « إلما » درسوا حاجات مدينتهم ، ومواردهم الطبيعية ، وعاداتهم الاقتصادية ، ومستوى معيشتهم ؟ أتراهم عرفوا أنواع تربة أرضهم وخير المحصولات التى تجود فيها ؟ أتراهم عرفوا حقيقة مصير الغابات على مرور الزمن ؟ وماذا تراهم يعلمون عن مواقع المعادن ، وموارد المياه ؟

وهل تصلح منطقتهم مكاناً للنزهة أو لصيد السمك أو للقنص ؟ وماذا أعدوا للمدارس، ومرافق الخدمة العامة، وأسباب العناية الطبية؟

كلا ، وقليل ما عرفوا عن مثل هذه الأشياء .

فتساءل المجلس : فلم إذن لا نستطلع حقيقة هذا كله ؟

وقال المجلس : إذا كان البحث يستحق شيئاً من العناية ، فيجب أن نلم بالقضية كلها لا بما يسرّ منها وحسب ، ويجب أن يتم الجزء الأكبر من العمل تطوعاً، وأن ينهض به أهل المدينة أنفسهم . فإنه إذا كان قد قدر لإلما أن تنقذ، فعلى أهلها أنفسهم أن ينقذوها .

وهكذا تألفت لجنة محلية من ٢١ عضواً توجّهها هيئة مؤلفة من ثلاثة أعضاء لتنفيذ مقترحات المجلس .

حقاً لقد أفزع الناس إقفال مصانع خشب « مالون » ، فما كادت اللجنة تطلب المساعدة حتى لباها الأهلون ، فأجاب ثمانون في المئة من الأسر عما حفلت به نشرة وزعت عليها ، فيها أسئلة مفصلة خاصة ، كشفوا بها أسرار دخلهم وممتلكاتهم .

ونجح المدرسون في تحريك عناية تلاميذهم . ويعد المجلس هذه اليقظة في نفوس النشء أعظم ما أنتجه العمل . إن هؤلاء التلاميذ الصغار أثاروا في حالات كثيرة عناية آبائهم القانطين .

ودرب فريق مؤلف من ١٢٠ من طلبة المدارس تدريباً خاصاً لتوزيع نشرات الأسئلة ، ولمساعدة الأهلين في الإجابة حين يحتاجون إلى المساعدة . فقد كان بعض الأسئلة دقيقاً كل الدقة ، وكان على هؤلاء التلاميذ أن يطوفوا بالناس ، بالسيارة أو بالدراجة أو على أقدامهم في منطقة مساحتها ٢٥٠ ميلا مربعاً ، وأن يسلموا النشرة ، وهي أربع صفحات ، إلى ١٦٠٠ أسرة . وجمعت الإجابات بلا توقيع في صناديق الانتخاب المختومة بالشمع .

ودرب فريق آخر من الطلاب على مسح الأرض لمعرفة ما تصلح له ، وكانت المعلومات التي يجمعونها تسجل على مصور جغرافي خاص . فغدت نشرات الأسئلة والمصور الجغرافي مرجعاً عظيماً خطير الشأن للدراسة المطلوبة . ولقد بدأ الصغار الذين اضطلعوا بهذا العمل يعرفون من مدينتهم ما لم يعرفه قط أي مرتاد أو والد أو موظف .

كان هناك ولا ريب كثير من المعلومات عن « إلما » في بطون المطبوعات ، ولكنها كانت مبعثرة في تقارير إحصاء السكان ، وفي أعمال مصلحة الغابات ، وفي سجلات الحكومة ، وفي ملفات عمال الإدارة في الجهات المختلفة ، ونشرات المطر ، وتقارير

فيضان الأنهار — كانت مبعثرة فى كل مكان فجمع المجلس هذه المعلومات ، ونسق الشذرات المتناثرة فى مجموعة مرتبة ، وبيّن ما كان ينقص هذه الدراسة . وفى هذا يقول المجلس : إنه هو العمل العظيم الثانى فى هذه الدراسة — أى جمع هذا المقدار من المعلومات المفيدة التى يمكن أن تستفيد منها أية مدينة فى البلاد ، إذا عنى أحد بتجميعها.

وقد أعادت حكومة الولايات دراسة طبقات أرض المنطقة . دراسة المعلومات الخاصة بمجارى الأنهار، وبسقوط الأمطار، وبمراقبة الفيضان . وقد وضعت مصلحة المحافظة على تربة الولايات المتحدة ، بمعونة أصحاب المزارع ، خريطة للتربة ، اتضح منها أن كثيرين من مزارعى « إلما » كانوا يحاولون زرع محصولات فى أرض جرداء ، على حين كانوا يهملون بعض أنواع التربة الجيدة الممتازة . وقد دلت دراسة منتجات الألبان من ماشية « إلما » أن حالتها سيئة ، وهكذا مضت الدراسة ، وقد ضمنت النتائج فى التقرير الخاص بها .

والفصل الخاص بالغابات فى التقرير هو أخطر فصوله شأناً فيما يخص « إلما »، وقد جاء فيه: « إن إلما ستبقى دائماً منطقة غابات ، فقد كانت أربعة أخماس مساحتها البالغة ٢٥٠ ميلا مربعاً قد أعدتها الطبيعة لإنبات الأشجار الباسقة ، فتربة المنطقة وأمطارها وشكل سطحها ، مهيأة جميعاً لهذه الأشجار وأما الأراضى التى تصلح تربتها للزراعة فمحدودة ، وأما نشوء الصناعات الكبرى الجديدة فبعيد الاحتمال . فلا بد إذن أن تحاط الغابات بالعناية إذا كان قد قدر « لإلما » أن تبقى محتفظة بعدد سكانها الراهن » .

وجاء فى التقرير : « إذا عولج الأمر بحكمة أعظم ، فمن الممكن أن تغل منطقة الغابات دخلا أكبر بكثير مما تغل ، وأن تغله إلى الأبد . إن صناعات « إلما » يجب أن تعنى أولا بإعداد الخشب . ففكرة « إد ستامبر » فى سنة ١٨٨٩ كانت الفكرة الصائبة — أى استعمال الشجرة كلها » .

ولا يصلح للزراعة من أرض المنطقة إلا خمسها ، ولكن المزارعين يستطيعون أن يسدوا يداً أعظم إلى رخاء المدينة ، بتحسين ما شيتهم ، وبالرى ، وباستنبات المحصولات المناسبة للتربة الطبيعية . وقد كانت طائفة كبيرة من الأسر تعد الزراعة عملا يستغرق بعض الوقت وحسب ، فأمام الفلاحين فرصة فائقة لكى يضاعفوا دخلهم، باستخدام أحدث الطرق الزراعية ، وببذل غاية جهدهم .

ولكن لابد لذلك من التعاون . خذ مثلا نبات الشليك ، وهو محصول تفخر به إلما : إن المزارع الصغير لا يستطيع أن

يفعل شيئاً كبيراً لو مضى وحده فى زراعته، ولكن إذا أنشئت جمعية تعاونية ووضعت نظاماً لنقل المحصول بالسيارات، وقررت له رتباً ، وأسست مصنعاً لتعبئته وحفظه فى علب من الصفيح ، وفتحت له سوقاً فى مدينتى «تاكوما» و «ستيل» المجاورتين ، وإذا بذلت المعاونه الفنية للمزارعين فى العناية بهذا النبات المتعب وتغذيته ، فربما صنعت الأعاجيب . وعسى أن تكون الجمعيات التعاونيـة مفيدة أيضاً فى إيجاد أسـواق للطيور ، وللحوم الأبقار ، ولشجيرات عيد الميـلاد ، ولقشور أشجار الـكاسكارا ، وأشياء كثيرة أخرى .

ومما أوصى به التقرير أن تجعل «إلما» مركزاً للترويح عن النفس ، لصيد السمك والقنص والملاحة بالزوارق والسباحة، والرحلات على الأقدام وبالسيارات، فمناظرها الطبيعية رائعة، وهى لا تبعد عن المحيط الهادى إلا بضعة أميال.

وماذا كشفت عنه نشرة الأسئلة من رغبات الناس ؟ لقد اتضح أن أكثر الذين يعيشون فى القرى التى بها مصانع الخشب كانوا يريدون أن يهاجروا منها ، وأن نصف الذين يعيشون فى مدينـة إلما كانوا يريدون أن يعيشوا فى المزارع ، أو فى بيوت تحيط بها الحدائق . وهذا اتجاه قومى عام نحو ما يسمى «مزرعة الغسق» وهى طراز من المزارع يعنى بها أصحابها عند الغسق بعد عودتهم من عملهم فى مدينة أو مصنع .

ولـكن التقرير يقول إنه إذا كان أهل إلما يريدون ذلك النسق من الحياة ، فلابد أن يعـدوا العدة له . يجب أن يعاونوا على أن تستمر مصانع الخشب فى عملها بتحسين استغلال الغابات من ناحية ، وضبط طرائقهم الزراعيـة من ناحية أخرى . ويجب أن يمتنعوا عن أن ينشروا مساكنهم فوق التلال البعيدة ، لما يقتضى ذلك من نفقات فادحة يتطلبها إنشاء الطرق والمدارس، ومد أنابيب المياه، وأسلاك القوة المحركة، وغيرها من المرافق . وخير لهم ، أن ينشئوا مدينة حدائق — «جاردن ستى» — أي مدينة مؤسسة للسكن ، لا لجنى الربح من المضاربة.

وقد جنت إلما فائدة حقيقية من التقرير ، فالأطفال بدأوا يتخذونه كتاباً يدرس، توطئة للتعمق فى دراسة تاريخ أمتهم ، وقارتهم ، وعالمهم وشئونها الاقتصادية والجغرافيـة ، ذلك أن الشباب هم الذين سينقذون « إلما » فأى إعداد خير من هذا الاعداد يمكن أن يهيئهم لذلك الواجب ؟

اشترت المدرسـة الثانوية غابة مساحتها ٢٥٠ فداناً جعلتها مدرسـة يدرب فيها التلاميذ تدريباً عملياً . وفى سـنة ١٩٤١ زرع هؤلاء التلاميذ ٥٠٠٠ شجرة ، بينها

٢٠٠٠ من أشجار الكاسكارا . وفى الوقت نفسه زرعت الحكومة المركزية ٢٥ مليوناً من النقائل (شتل الزرع) .

وأسست شركة خشب « ويرهاوزر » التعاونيـة ، مزرعة أشـجار مساحتها ١٢٠,٠٠٠ فدان ، وضعت نظاماً لحمايتها حتى يمكن أن تستغل أخشابها استغلالا مستديماً . وزرعت أراضى أخرى صالحة لأشجار الخشب على مثل هذا الأساس .

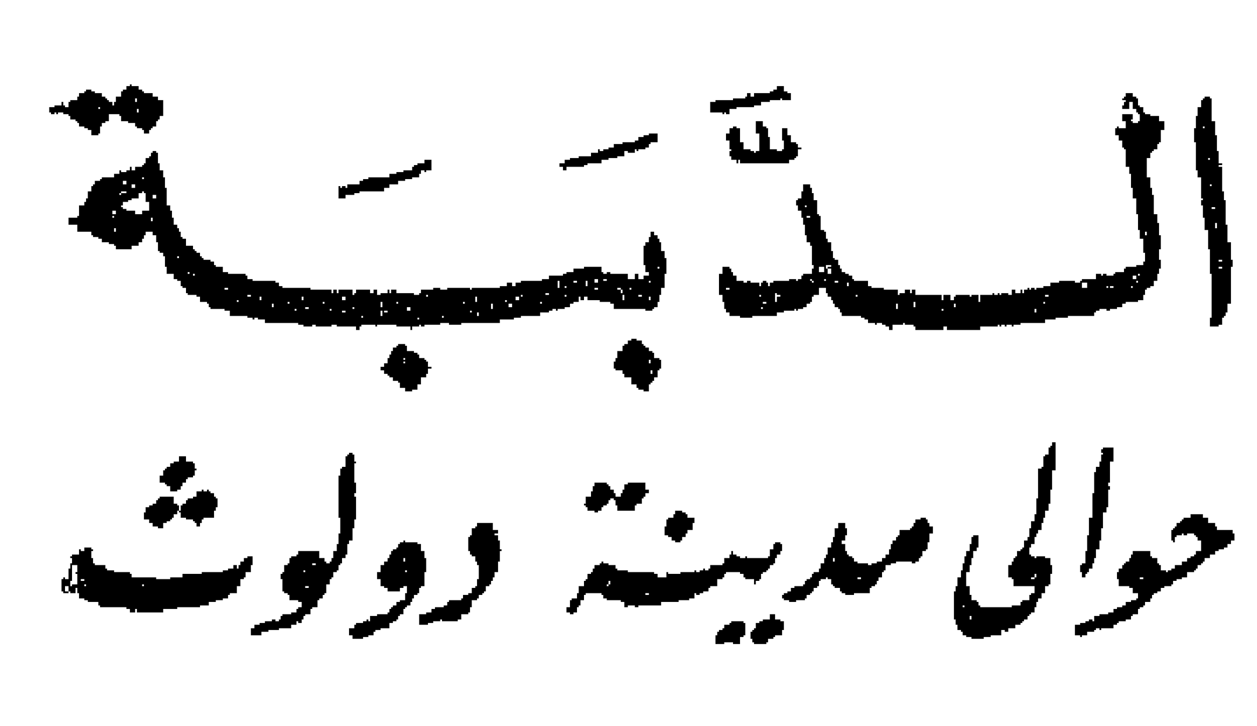
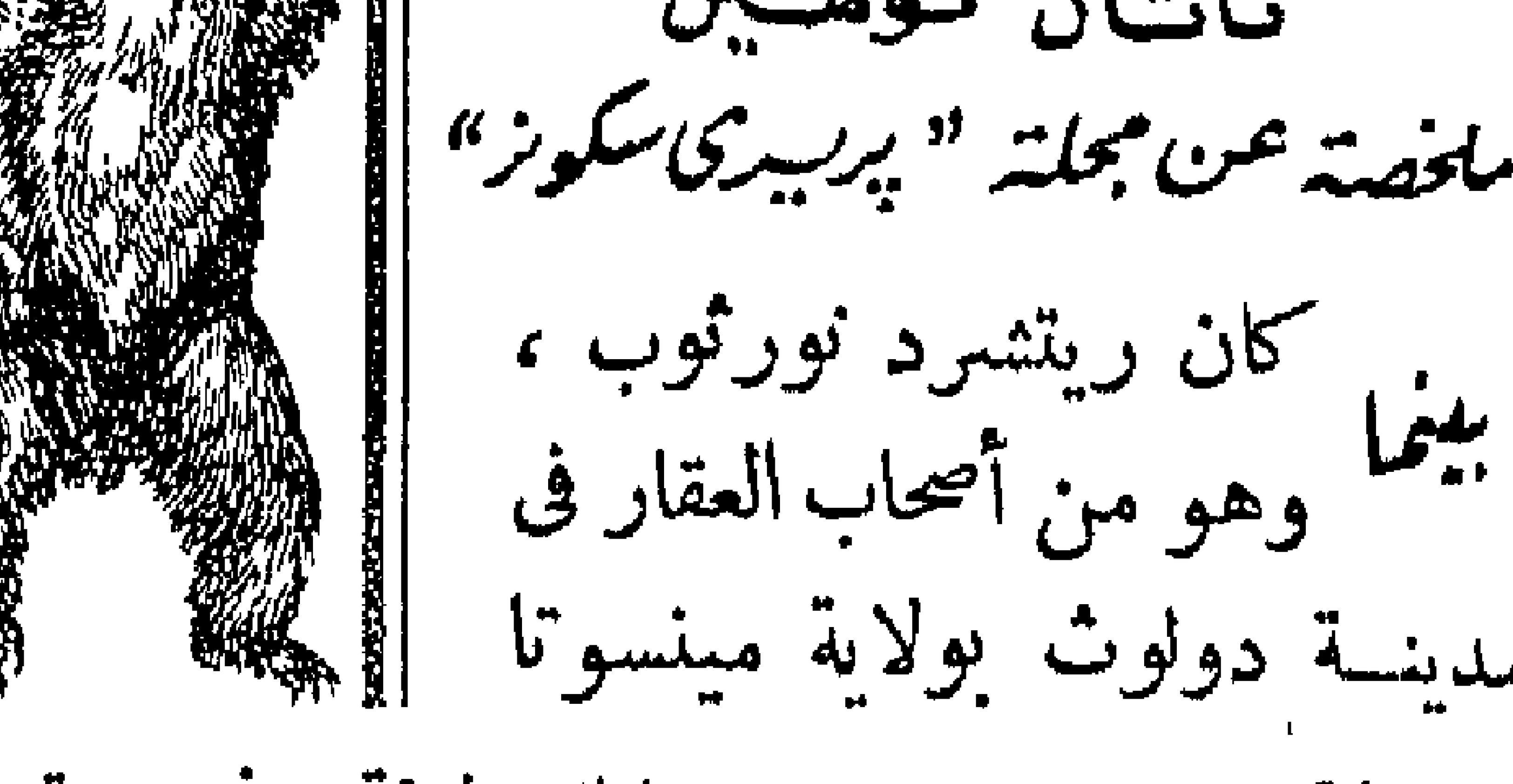
وقد ألف المزارعون وصغار الملاك جمعية تعاونية للبحث عن أسواق لمنتجاتهم الخشبية. واستأجروا خبيراً مدرباً فى زراعة الغابات ليعلمهم كيف يجعلون الأشجار رفيعة عالية ، وكيف يصنفون ضروب الأخشاب وقشورها ولبابها ، لكى يظفروا بأحسن الأسـعار فى السوق .

وأسفرت جهود جمعية تحسين قطعان المواشى فى هذه المنطقة ، عن ازدياد معدل ما يسـتخرج من القشدة من لبن البقرة الواحدة ٧٥ ٪ ، وأسست جمعية تعاونية أخرى لإعداد الأرض التى قطعت أشجارها للزراعة حيث قررت مصلحة المحافظة على التربة بالولايات المتحدة أن تلك الأرض صالحة لزراعة المحصولات . ولقـد نزحت حمأة « ونزل » ، فزيدت مساحة الأرض الجيدة الصالحة للزراعة . وأخذ القوم يجرون تجارب لتربية الماشية فى أراض قطعت أشجارها ، وتجارب أخرى لاستنبات السوسن ، ولرسم الصورات للطرق وللأماكن الصالحة لصيد الأسماك . ووضع مشروع جمعيـة تعاونية غرضها البحث عن أسواق للشليك البرى ، وإنشاء مصنع للأثاث يستخدم فيه ما ينبت فى المنطقة من خشب أشجار الحور الرومى .

ويقول « بن كيزر » رئيس المجلس : « هذه هى أول مرة يتحد فيها سكان « إلما » فى مشروع كبير واحد . فقد تعاونوا فى عمـل التقرير ، وعليهم الآن أن يقوموا بتنفيذ ما جاء فيه » .

أتراهم يفعلون ؟ لا أستطيع أن أجيب على هـذا السؤال ، ولكنى أستطيع أن أجيب على السؤال الآتى : ما هو خير سبيل وأصلحه يمكن أن يذود أشباح الفاقة عن أية مدينـة ؟ والجواب : خذ نسخة من تقرير « إلما » وادرسـه بعناية فائقة ثم اصنع ما صنع أهلها !

كان الرائد قديماً يجمع أسرته وموقده فى عربته ثم يرتحل ، يوم تخمد مظاهر الحياة فى الغابات أو المراعى أو التربة ، ولكن أهل « إلما » لا يريدون الرحيل . إنهم يريدون البقاء فى بيوتهم التى يحبونها . وهم لا يريدون أن يحملوا على الطبيعة حملة عدوان ، بل يريدون أن يصالحوها على التعاون فى العمل.

حقائق عن الدببة حوالى مدينة دولوث

ناثان كوهين
ملخصة عن مجلة "پريدى سكوبز"

بينما كان ريتشرد نورثوب ، وهو من أصحاب العقار فى مدينـة دولوث بولاية مينسوتا حيث أسكن ، يمضى فى بيته ليلة هادئة منذ أمد قريب ، سمع قرعاً شديداً على باب منزله الخلفى ، فيمم شطر الباب ، وإذا به يلقى دبـاً وجهاً لوجه .

ولا ريب فى أن ذلك الدب الأغبر الوديع ، كان يطوّف باحثاً خلسة عن عشاء عاجل ، فمضى يدبُّ ببلادة نحـو الباب ، كالمتطفل الذى يتودد إليك بمعسول اللفظ وقبعته فى يده ، حتى أن مستر نورثوب قد أسف فيما بعـد على ما فعل ، حينما ردَّ الباب فى خطمه . ولما أقبل رجال الشرطة بدأت لعبة المسّـة (الاستغماية) فى ضوء القمر . وفى النهاية حوصر الدب فى حظيرة سيارات وقتل بالرصاص ، عندما كان يحاول أن يولج بدنه الجسيم فى باب سيارة مقفلة . ولقد وزنت جثته فكانت ٣٠٢ رطل . وسجل جاويش الشرط تفاصيل الحادث فى تقريره الليلى ، وكذلك زادت حكاية إلى الحكايات التى كان يرويها أهل « دولوث » عن غرائب الدببة التى تزورهم .

ولم يبين أحد ما السبب الذى يحمل هـذه العجماوات على أن تهبط المدينة . ففى أواخر الصيف وأوائل الخريف ، قد يصادفها الغلمـان موزعو الصحف وهم يوزعون صحف الصباح ، وقد تراها سيدات المنازل ثائرات وهى تسرق الفطائر من حيث تركت للتبريد . كما قد يفزع بها راكبو الدراجات حين يرونها تسد عليهم الطريق ، وقد تشـاهد أثناء الليـل وهى تمد أنوفها فى سلال القمامة أو تقضم خضر الحـدائق . أما دببة النهار فعلى نقيض ذلك ، فهى عابرة سبيل تلقى على الناس نظرة خاطفة ، وهى على العموم هيّـابة تخاف .

بيد أنه قد يتفق أن يخاطر أحدها فيهبط المدينة ويحاور الشرط . وهى تجربة مميتة فى العادة .

وقد صار لأهل مدينـة « دولوث » نوع من العطف الممزوج بالحذر، على هؤلاء المتطفلين ، فتراهم يتبسطون فى تسلية الوافدين عليهم برواية مخاطراتهم . وقصـة

ذلك الدب الذى قتل فى فندق «دولوث» الفخم ، ووزنه ٣٥٠ رطـلا ، قد أصبحت من أهم حوادث التاريخ المحلى ، كحـادث مقدم السيد « دولهوث » ، مؤسس المدينة، أول ما قدم . وقد عمد مدير الفندق ببعد نظره، إلى جثة الدب فحشاها وحنطها، فنال بذلك شكر جميع رواة أقاصيص الدببة ، إذ زودهم بهذا الشاهد الملموس الذى ذلل لهم سبيل إقناع الغرباء الوافدين .

قامت فتاة من نُدُل الفندق بخدمة رجل وصف لها نفسه بأنه جائع «جوع الدب»، فلما رفعت رأسها تنظر صاحت : «ها هوذا دب جائع جوع إنسان ! » وأطلقت ساقيها للريح فى الرواق الطويل . وكان ذلك الدب الأغبر الذى رأته قد تبع عربة السمك إلى المدينة ، فلما مر بالفندق استهوته رائحة الطعام ، فاقتحم باب المقهى .

بادر صبيان الفندق فكدسوا الكراسى والموائد لتكون دريئة ، واستدعى أحدهم الشرطة فجاءت فرقة النجدة ، ومعها الغاز المسيل للدموع والبنادق والحبال ،وسرعان ما ركل الجاويش « إيلى له بو » البـاب ففتحه ، وألفى المجرم جالساً على مائدة مقلوبة يلحس طبق السكر مستلذاً . قال الجاويش مسدداً بندقيته : « هـذا شئ سأرويه لأحفادى » ، واخترق الرصاص جبهة الدب .

ومع أن الدببة لم تؤذ أحداً قط ، فإنها كانت سـبباً فى فزع كثير من الناس فى وضح النهـار . من ذلك أن صبياً من موزعى الصحف ظن أن كلباً يتبعه ، فلما التفت صائحاً : « هالو : سـبورت » ، فزع ، إذ تبين أنه ليس كلباً وديعاً ، وعدا مسرعاً إلى محطة بنزين وأعطى إشـارة الخطر . أما ما تبع ذلك من الطراد ، فما يسرّ به رجل يسجل مناظر سنمائية مسلية . فبينما كان الشرطة يصخبون مصعدين ثم هابطين فى الشوارع ، كان الدب يتخطى حواجز المنـازل الخلفية بخفـة وسرعة ، مارقا من بين صفوف الثيـاب المغسولة فى الصباح ، طـارداً ربات المنازل صائحـات مذعورات مسرعات إلى ملجأ يستترن فيه . ولما رأى المواطنون ذلك الطراد من نوافذهم ، اتصلوا بالتلفون برياسة الشرطة، فبادرت هـذه فأبلغت فرق النجدة . ولما بلغ منه الجهد تسلق الدب شجرة ، فانتهى الطراد ، فقـد خرّ بعدها صريعاً بقذيفة بندقية .

وذات يوم وقفت سـيدة تنتظر قدوم سيارة الركوب فى حى من الأحياء النائية ، وما إن ظهرت السـيارة حتى رأت عملاقاً من ذوات الأربع ينهب الطريق مقبـلا نحوها . وكانت السـيارة والدب على بعد

واحد منها ، وكانت مشكلة : أيهما يصل إلى حيث هي قبل صاحبه ؟ ومشت السيارة ببطء في الطريق ، ولكن الدب كان يلاحقها على بضع أقدام عند ما تابعت سيرها. وما إن وثبت السيدة إليها ووضعت الأجر في الصندوق ، حتى سقطت مغشياً عليها .

ومع هذا فإن كثيراً من أهل «دولوث» يظنون أن في الدببة فطنة وروية ، قال أحدهم : «إنك لن تغضب منها ، على ما يكون منها من بواعث الإزعاج» . وفي بيت « آل هارفي » وقف دبان في داخل فناء خاص ، فتجمهر الجيران في الحجرة العامة ، ينظرون إليهما وهما يتصارعان ويتلاكمان ويتمرغان ثلاثين دقيقة على أرض المرج ، كأنهما يمثلان تمثيلا جديراً بفرقة بهلوانية من المحترفين . وفي بيت « آل ولسون » جثم دب أغبر ذكر في رائعة النهار على شرفة بارزة من نافذة حجرة النوم ، ورفض أن يبرح مكانه حتى أغراه بالحلوى خبير بالقنص .

إنه أمر غير مقبول أن تهبط الدببة مدينة بها ١٠٢ ألف نسمة ، وقد جهدت مدينة « دولوث » أن تثني هذه الحيوانات عن زيارتها في الخريف . وقال الذين حاولوا وقاية المدينة : إن هذه الحيوانات إنما تهبط المدينة عند ما تشعر بالجوع في الفصول التي يندر فيها وجود ثمار التوت وصغار حيوان الصيد ، ولذلك عينت لجنة يكون عملها إطعام الدببة . ولما كانت نفايات الفنادق والمطاعم تلقى في العراء في بعض الحفر ، فهي تجذب الدببة ، فتمد أنوفها وتشم وتستكشف وتذوق — ومن ثم تأخذ طريقها إلى المدينة .

والآن يعد أهل « دولوث » هذه الهجرة السنوية أمراً لا محيص عنه . وما يقتل من الدببة الآن ، أقل مما كان يقتل قبل ، وكثيراً منها يطارد حتى ينتهي إلى الأدغال . والدببة تكره الضوضاء ، فإذا سمعت قرعاً قوياً على صَنْج من النحاس فزعت وولت الأدبار .

ولم يتفق لأحد أن يفعل بدب ما فعل قطاع الخشب « سام » . فإنه عندما أسرع هارباً من دب تعقبه ، تسلق شجرة صنوبر عظيمة — ناسياً أن الدب خبير بتسلق الشجر . فلما رأى الدب يجر بدنه مصعداً إلى أعلى ، خلع « سام » قميصه وأشعله بثقاب ، ورمى بالقميص المشتعل على متعقبه ، وكان آخر ما رأى من هذا الدب خطاً مشتعلا يغيب في جوف الغابة .

٥٥٥٥٥

كيف تختار زوجك

تشير عيادة الزواج على ثلاثة أرباع الذين يفكرون فى الزواج ، أن يتريثوا قليلا

كليفورد ر. آدمز ، دكتور فى الفلسفة
مدير إدارة إستشارات الزواج ، كلية ولاية بنسلفانيا
ملخصة عن " ذى أميريكان مجازين "

يلوح اليوم أن احتمال ظفر الشباب الأمريكي بالسعادة فى الزواج ، احتمال يسير حقا ، فارتفاع معدّل الطلاق فى الولايات المتحدة بلغ مبلغاً مخيفاً . ففى سنة ١٩٤٠ انتهى بالطلاق زواج واحد من كل خمسة أو ستة . وينتظر أن يزيد المعدّل إلى أن يبلغ ربع المتزوجين فى سنة ١٩٤٦ ، فإذا استمرّ هذا التيار بلغ معدّل الطلاق النصف منهم بعد خمسين سنة .

وهناك بواعث أعمق من قيام حالة الحرب ، تزيد معدّل الطلاق زيادة مستمرة ، فاطّراد التعقيد فى الحضارة يجعل عبء الزواج أفدح مما كان .

وقد عالجت كلية ولاية بنسلفانيا أصول هذه المشكلة بإنشاء إدارة لاستشارات الزواج يطلق عليها الطلبة اسم « عيادة الألفة » ، وأبوابها مفتوحة للطلبة والأساتذة وسكان البلد على السواء . وبعض الحوادث التى تعرض علينا ، هى حوادث أزواج مشرفين على الفراق ، فنمتحنهم ونحدّثهم، ونبين لهم المشكلات التى تعترضهم،

فإذا لم يكن ثمة هوة عميقة تمنع وجود الألفة بينهما ، فعليهما أن يحاولا أن يصلا إلى حل . وثمانون فى المئة من هذه الحوادث يصلح أمرها تمام الصلاح .

على أن عنايتنا متجهة أولا إلى الشباب قبل الزواج ، وقبل أن يقع الضرر . فنحن نشجع الفتيان والفتيات على أن يبدأوا التفكير تأهباً ليوم الزواج . وحين تتوثق الصلات بين فتى وفتاة ، ويعرض علينا الأمر نبحث نشأتهما ، ونحدد عناصر نفس كلّ منهما حيال نفس صاحبه ، ونصوّر لهما صورة عامة تبين مبلغ ما يحتمل لهما من سعادة فى زواجهما .

إن ربع هؤلاء الراغبين فى الزواج يظفرون منا بموافقة تامة ، وأربعون فى المئة منهم ننصحهم بالحذر لما بين الفتى والفتاة من فروق خطيرة أو نقائص نساعدهما على إصلاحها ، وأما من بقى فإننا ننذرهم إنذاراً صريحاً بالتريّث . ونحثّ الشباب ، فى الطائفتين الثانية والثالثة ، على أن يتريث ستة أشهر على الأقل . ففى مثل هذه المدة

يتفرق شمل الذين لا تتفق أهواؤهم لتعاظم الفروق بين الفتى والفتاة .

وقد تزوّج مئات ممن فحصناهم ، ويسرّنا أن كل حكم أصدرناه قبل زواجهم قد صدق على الأكثر ، أما الذين وافقنا على زواجهم وشجعناهم عليه ، فلم يقع بين زوجين منهم طلاق أو فراق .

إن معظم الشباب الذى يفد على عيادتنا إما مشبوب العاطفة وإما متيّم . وهم يقولون لى إنه «الحب بعد النظرة الأولى» ، فيحملنى هذا القول دائماً على الاحتياط ، لأن «الحب بعد النظرة الأولى» : إما أن يكون تجاذباً جنسياً وحسب ، وإما أن يكون اتفاق أوصاف كانت وهماً فى المخيلة . فقد يتخيل الفتى «فتاة أحلامه» شقراء الشعر زرقاء العينين ، ذلفاء الأنف (ارتفاع طرفه إلى أعلى) ، مغموزة الوجنتين دقيقة الخصر ، لا يزيد على ٢٤ بوصة . فيقع فى هوى أول فتاة يلقاها تطابق أوصافها ما يتخيل . وهذه أفسد طريقة فى اختيار الزوجة .

يتجه جلّ اهتمامنا فى عيادتنا إلى أن نعرف : أتوائم شخصية الفتى شخصية الفتاة ؟ فنمتحن فيهما إحدى عشرة صفة ، وهذه الصفات تتدرج بين هذه المتقابلات .

١ حسن العشرة — مترفع
٢ سهل الانقياد — عنيد
٣ سريع التهيج — رابط الجأش
٤ حيىّ — جرىء
٥ مشبوب العاطفة — فاتر القلب
٦ مثالى — مجار لمقتضى الضرورة
٧ متقلب — ثابت
٨ حليف همّ — لا يبالى
٩ يتقيد بالعرف — لا يتقيد بالعرف
١٠ لا يعتمد عليه — يعتمد عليه
١١ ألوف — نفور

فالفتى والفتاة إذا توافقا حصلا على درجة متقاربة فى معظم هذه الصفات ، وتكون صفاتهما أقرب إلى الوسط بين الطرفين .

والدرجات التى يظفر بها المرء فى هذه الصفات ، تجتمع منها صورة دقيقة «لنضجه العاطفى» . وخبراء الزواج متفقون على أن «النضج العاطفى» هو أهم العوامل فى الزواج الموفق . فالذين يتصفون بهذا النضج ، لا يعانون العقد النفسية والأمراض العصبية والأوهام . وأقول أيضاً إن ٥٠ فى المئة من السعادة فى الزواج يرجع إلى التوافق الجنسى بين الزوجين ، وهذا التوافق لا يتحقق إلا إذا كان الزوجان قد أدركا النضج الجنسى ، وهو أمر لا يدركه إلا الذين يتصفون بالنضج العاطفى .

نعم ، إن السعادة فى الزواج تتوقف على

أشياء غير التوافق فى إحدى عشرة صفة .
وإليك بعض ما نلقى إليه بالنا ، وأول ذلك نشأة الفتى والفتاة فى أسرتهما . إنه لذو شأن عظيم جـدا أن تعرف هل كان العريس والعروس سعيدين فى طفولتهما ؟ وهل كانت معاشرتهما لوالديهما معاشرة طيبة ؟ ومقدار ما كان من حسن العشرة بين آبائهما . فالسعادة فى الزواج تسرى فى الأسر ، فإذا نُشّئت فى بيت سعيد لا نزاع فيه ولا خلاف فأنت أدنى إلى أن تكون متصفاً بالنضج العاطفى ، منك إن نشأت فى وسط كله صخب ونزاع .

وجميع الآباء الذين تحرّوا الصراحة فى محادثة أولادهم عن سحر العاطفة الجنسية وأسرارها ، أسـدوا خدمة عظيمة إلى نضجهم العاطفى ، ثم إلى سـعادة أولادهم حين يتزوجون .

وثمة شىء آخر يهمنا أن نعرفه : ما أمل الفتى فى الرزق ؟ وكيف يرجو أن ينفق على زوجه ؟ فالأعمال التى تقع تحت رقابة المجتمع وتشـمل نظاماً روتينياً لسـاعات العمل ، ولا تقتضى الرحلة خارج البلدة ، هى خير الأعمـال من ناحية الزواج . وهى تشمل الأطباء والصيارفة والمعلمين والوعاظ ، أما البائع الجوال فيعد على الإجمال أسوأ من يتزوج .

وثالثاً نحب أن نعلم : أمذهب الزوجين الدينى واحد أم لا ؟ فإذا كانا ينتميان إلى مذهبين متباعدين ، فالغالب أن يفضى ذلك إلى نقار مستمر ، إلا إذا وقف كل منهما موقف الفهم والتسامح من مشكلة تربيـة الأولاد قبل أن يولدوا .

والفرق فى العمر ليس له من الأثر ما يظن عادة ، ما دام الرجل والمرأة ، فوق العشرين ودون الأربعين ، ولا يزيد الفرق بين عمرها على عشر سنوات .

وهناك ثلاثة أشياء نعدها عظيمة الشأن فى نجاح الزواج : « خطبة تدوم سـنة على الأقل ، ونظرة واسعة الإدراك لشئون الحياة تساعد الزوجين على تذليل العقبات ، ورغبة الزوجين فى الولد (فقـد دلت إحصـاءات إدارة الزواج فى كلية بنسلفانيا على أن ٩٢ فى المئة من الأزواج يرغبون فى الولد) .

فلننظر الآن فى حوادث معينة لأشخاص مقبلين على الزواج ، يجب أن يراعى الحذر الدقيق فى معالجة شئونهم . فثمة أولا مرضى الأعصاب ، ثم مدمنو الخمر . فالفتـاة التى تتزوج رجلا من هذا القبيل يحدوها أمل قوى فى أن تصلح من شأنه ، ستمنى يوماً ما بخيبة عظيمة ، فالزواج لا يصلح المدمن ، ولا المصاب بأى هوس آخر .

والمرء المصـاب بمرض مزمن لا يصلح عادة للزواج .

ولا يزال العقم والعُنّة منذ قديم الزمان باعثين على شقاء الأزواج، ولكن العلم قد تقدم تقدماً يبعث على الأمل فى علاجهما الموفق .

وثمة ضرب آخر من الناس نحذره أشد حذر وهو أليف الطلاق وأليفته ، وجميع الدلائل تدل على أن المطلقين إذا تزوجوا ، كان احتمال ظفرهم بالسعادة فى الزواج التالى أقل ممن لم يتزوج من قبل .

وأخيراً هناك الذى تستبد به الغيرة والريب، فهو فى الغالب هادم لبيته . ففى أربعين فى المئة من حوادث الخطبة والزواج التى انتهت إلى الفراق ، كانت الغيرة فيها عاملا قويا .

أأنت محب حقاً ؟

يعتمد الدكتور أدمز على الأسئلة التالية ، ليتبين من الأجوبة : أهو الحب حقا ما يجده المرء ، أم هو (أو هى) واقع تحت سحر الجمال والجاذب الجنسى .

١ — أثمة أعمال كثيرة ترغبان أن تعملاها معا ؟

٢ — أتحس بالزهو حين تقارن فتاتك (فتاك) بأى شخص آخر تعرفه ؟

٣ — أيستبد بك شعور القلق وعدم الاستقرار حين تفترقان ؟

٤ — أتشعر بمتعة الاجتماع حتى بعد نزاع ؟

٥ — أترغب رغبة شديدة فى إرضائها أو (إرضائه) ؟ وهل يسرك أن تسلم وتنزل عما يرضيك ؟

٦ — أتريد حقا أن تتزوج هذا الشخص ؟

٧ — أيتصف هو (أو هى) بالصفات التى ترغب أن يتصف بها أولادك ؟

٨ — هل يعجب أصدقاؤك وزملاؤك بهذا الشخص ويرون أنه كفء لك ؟

٩ — أيعتقد والداك أنك تحب ؟ (الآباء يصدق نظرهم فى هذا)

١٠ — هل بدأت تدبر — ولو كان التدبير فى الذهن وحسب — ما تكون عليه حفلة الزواج ، وكل ما يخص بيتك وأولادك ؟

فإذا أجبت صادقا بالإيجاب عن سبعة من هذه الأسئلة ، فالدكتور أدمز يرى أنك محب حقا .

وإنى حين أرسل هــذا التحذير من الناس الذين لا يصلحون للزواج ، أهمل أمراً خطيراً ، فمهما يكن احتمال الإخفاق ، ففى وسع معظم الأزواج أن يظفروا بالتوفيق إذا واجهوا الأخطار التى تحدق بهم بعيون مفتوحة ، وتناقشوا فيما يساورهم من مخاوف ومشكلات ، وما يقلقهم من حبوط آمالهم ، ثم إذا ســعوا إلى الظفر بحل معقول . ويطلقون على هذا وصفاً رناناً هو « العلاج النفسى المتبادل » ، وهو لون من العلاج يصنع العجائب أحياناً ،حتى فى أبعث الحالات على القنوط .

والمحتمل أن تكثر بعد الحرب حوادث الزواج السريع ، كزواج جندى عائد من الحرب بفتاة ما فتئت منتظرة . ولا يجوز لك أن تلوم فتى وفتاة افترقا طوال الحرب ، إذا عنّ لهما أن يتزوجا فى أول فرصة متاحة. ولـكن إذا حكما العقل ، استخرجا العبرة من فيض الطلاق المتزايد ، فإذا تريثا مدة تتفاوت من أربعة أشهر إلى ستة أشهر ، استطاعا أن يتبينا ما طرأ على كليهما من تغيير ، وأن يستوثقا أنهما ما زالا مقيمين على الحب ، وأن تتاح للرجل فرصة يعود فيها إلى الحياة المدنية التى تلائمه ويلائمها ، وليتيسر لهما كليهما أن يدبرا أمرهما للمستقبل. فإذا اقتنعا بأن اشتراكهما مدى الحياة لا يزال أمراً يرغبان فيه ، فلك أن تثق بأن زواجهما سيدوم .

☆☆☆☆☆☆☆☆

وراء حجاب الحياة

روى الرئيس أبراهام لنكولن لزوجه ولصديقه وارد هل لامون تفاصيل رؤيا تراءت له فى الحـلم . قال : طفت بغرف البيت الأبيض فلم أر بها حيًّا ، ولـكننى سمعت نشيج الباكين أثناء طوافى حتى دخلت الحجرة الشرقية ، فإذا أنا أمام نعش فيه جثمان ميت فى أكفانه ، وقد وقف حوله جنود يحرسونه ، وحشد من الناس بعضهم يحدق تحديق الحزين الواجم فى الجثمان الذى حجب وجهه ، وبعضهم يبكى . فسألت أحد الجنود : من الميت فى البيت الأبيض ؟ فأجابنى: الرئيس! فقد اغتاله مغتال . ثم صدرت عن الحشد صرخة حزن أليمة ، فأيقظتنى فلم أنم بعدئذ تلك الليلة ، وهو وإن كان حلماً وحسب ، إلا أننى اضطربت اضطراباً شديداً لما ينقطع .

[كلارا لوفاين فى كتابها « موت لنكولن »]

مئة وثلاثون من ذوى العاهات ، رجالا ونساء ، يديرون عملا موفقاً

فرصة تتاح لا إحسان يُبذل

وليم ف . مكدرموت • ملخصة عن مجلة " ذى بروجرسيف "

منذ تسع سنوات كان الشاب الكيميائى « جورج بار » يعمل فى إحدى شركات مدينة « سان پاول » بولاية مينسوتا ، فبترت إحدى ساقيه ثم ترك عمله . فلما لم يجد عملا آخر ، أسس لنفسه عملا ، وهو اليوم صاحب شركة كبيرة لصنع المواد الطبية بشيكاجو ، يبلغ ثمن ما تتجر به كل سنة خمسة ملايين ريال ، وعدد عمالها ١٤٧ بين رجال ونساء ، منهم ١٣٠ قد أصيبوا بعاهات خطيرة كان يظن أنها قضت عليهم أن يعيشوا كسالى عالة على الناس . أما اليوم فإنهم يكسبون أجوراً حسنة تضاف إليها المكافآت .

قال لى جورج بار : « إن المرء لتدهشه الأعمال الكثيرة التى يستطيع المُقعد أن ينجزها ، فإذا وضعته حيث يجيد عمله أنجز أكثر مما ينجز السليم . فالرجل الذى يسير على عكازة تقوى عضلات ساعديه وكتفيه فيستطيع تحريك الآلات الضخمة بأيسر مما يستطيع الرجل السليم . والأبكم الأصم يحسن إنجاز العمل الذى يتطلب استعمال الأنامل بمهارة . أما الأعمى الذى يقرأ الكتب المطبوعة بأحرف بارزة ، فهو خير من ينجز ما يتطلب دقة اللمس .

وإذا زرت مكتب جورج بار وشركاه ، نبهك جورج إلى أن تدع الإشفاق جانباً قبل أن تدخل ، ويقول لك مفتخراً : « هؤلاء الناس لا يريدون شفقتك ولا يحتاجون إليها » . وسرعان ما تدرك ذلك ، فوجوههم جميعاً تطفح بشراً .

وفى أحد خطوط التجميع ٢٥ أعمى من الرجال والنساء تجرى أناملهم بسرعة وثبات وهم يتمازحون ويتبادلون المُلَح والنوادر . وحول مائدة طويلة ثلاثون أبكم أصم تنطق أسارير وجوههم بشراً وهم « يتحادثون » . وهؤلاء ١٥ رجلا وامرأة ممن فقد ساقه أو ذراعه ، وعشرة من ضحايا شلل الأطفال وآخرون من العور ، وجميعهم يعملون فى خطوط الإنتاج أو يزنون أو يقيسون أو يرزمون المنتجات ويشحنونها ، ويقومون بأعمال المكاتب كأحسن ما يستطيعه الموظف السليم .

وكل ما فى المصنع يشف عن شخصية مديره الفياضة ، وهو فى الثانية والثلاثين من العمر ، وقد تخرّج فى جامعة ويسكونسين سنة ١٩٣٣ وكان متفوقاً . وبعد ثلاثة أشهر من حصوله على أول وظيفة صدمته سيارة فبترت ساقه . وقد اتخذ ساقاً من الخشب ، وتعود أن يمشى بها لا يعرج . وتراه يتنقل فى جوانب مصنعه كأنه إعصار .

ولم يستطع بار أن يجد عملا من جراء عاهته ، ولكنه أبى أن يقضى حياته بائع أقلام ، فاستنبط مادة جديدة لتمويج الشعر فكان يصنعها ليلا ويبيعها نهاراً لدور التجميل ومخازن الأدوية .

واستخدم رجلا أبكم أصم يسمى متشل إيشيكوفتز ، فلما راجت السلعة شعر الشريكان بحاجتهما إلى مساعد آخر . وكان متشل يعرف فتاة بكماء صماء لا عمل لها ، فاستدعيت وعُهد إليها بلصق البطاقات على الزجاجات . ولا تزال تعمل معهم ، وقد تزوّجها متشل .

ولم تنقض أربعة أعوام حتى كانت الشركة تصنع طائفة من العقاقير ومعجونات التطرية والتجميل ، وأصبح فيها ١٨ موظفاً كلهم صم بكم . وفى ذات يوم كان جورج يدير آلة لصق البطاقات فرأى أن الحاجة لا تقتضى غير ساق واحدة لتدوس على « البدال » . فاستأجر من فوره رجلا ذا ساق واحدة ، ومنذ ذلك اليوم لم يستخدم غير ذوى العاهات .

وأمام لوحة تلفون شركة بار تجد فتاة متوقدة باسمة لا يلوح أنها ذات عاهة ، ثم ترى فى زوايا الغرفة عكازتين . ومن العمال رجل مبتور الساقين يدير آلة لملء الأنابيب . وثمة عامل فى الخامسة والثلاثين قد فقد بصره منذ ثلاثة أعوام وهو يربح اليوم أكثر مما كان يربح حين كان مبصراً . وهذه امرأة فى الثانية والثلاثين من عمرها ولدت عمياء ، وقد دخلت المعمل منذ ثلاثة أشهر ، هو أول عمل زاولته فى حياتها ، وهى سعيدة به سعادة الطفل بدميته الجديدة .

وحين يسمع مستخدمو الشركة عن رجال من ذوى العاهات لا عمل لهم يبلغون جورج بار فيقول : « هاتوهم » ويبذل قصارى جهده حتى يوجد لهم عملا .

ومن السهل على بار أن يكفل لعماله رضاهم وحماستهم ، فإن ذوى العاهات من العمال تمتلىء قلوبهم ارتياحاً وثقة حين يقومون بعمل مجدٍ مثمر . . ثم إن وجودهم بين جماعة من أمثالهم يجعلهم يشعرون بطمأنينة وكفاية تعوزهم حين يعملون مع الأصحاء . ولهذا يشير « بار » على رجال الصناعة بأن يعهدوا إلى ذوى العاهات

التشابهة بأعمال متماثلة ، وأن يقسموهم طوائف طوائف .

ونسبة الذين تدعوا الحاجة إلى الاستعاضة عنهم بغيرهم أقل من واحد فى المئة ، ونسبة الغياب عن العمل لا تزيد على نصف فى المئة . وترى العمال جميعهم فى أماكنهم « فى الميعاد ، طول الوقت » . والإصابات بينهم قليلة نادرة ، فإن ذوى العاهات قد تعلموا بما أصابهم الرفق والحذر .

ومعظم إنتاج الشركة فى الوقت الحاضر من المواد الطبية المخصصة للجنود ، على أن الإنتاج الخاص بالمدنيين قد تضاعف فى ٣٥ صنفاً من منتجاته فى السنتين الماضيتين .

ويقول بار : « ستسنح فرص كثيرة للمصانع فى زمن السلم تتيح لكل ذى عاهة عملا يقيم أوده . إنهم سينالون أجورهم بحق ما عملوا ، وفضلا عن ذلك أن ذا العاهة إذا عاش خاملا بليداً أصبح عالة على أهله أو حكومته . ومصنعنا الصغير هذا قد استخدم ثلاثين أعمى كانوا عالة على حكومة ولاية إيلينوى ، فوفرنا بذلك لها عشرة آلاف ريال كل سنة . فضاعف هذا العدد بضعة آلاف من المرات تحصل على شىء يستحق التقدير » .

ولما فازت شركة بار بوسام الجيش والبحرية مكافأة على حسن الإنتاج ، كانت الحفلة إحدى العجائب . فالذى قدم الوسام كان جنديا يمشى على عكازة ، إذ فقد إحدى ساقيه فى معركة أنزيو . أما الذين نالوا الوسام نيابة عن الشركة ، فكانوا اثنين من الصم البكم وصغيراً أعمى وفتاة قطعاء (مقطوعة الذراع) وقد ألقى الصغير الأعمى كلمة يرحب فيها بقبول الوسام ، ونقلت كلمته إلى لغة الإشارات لكى يفهمها رفاقه الصم البكم .

ويعتقد موظفو شركة « بار » أن تجربتهم هذه تفتح طريق الكسب والسعادة لألوف من الجنود الذين سيخرجون من هذه الحرب بشتى العاهات . وهم يقولون إن المصانع إذا هيأت لذوى العاهات فرصا متاحة لا إحساناً مبذولا ، ففى وسعهم أن يثبتوا نفعهم فى المجتمع . ويلوح أن جورج بار ومستخدميه قد أثبتوا صدق هذه الحقيقة .



السعادة كالقبلة ، لا تظفر بها إلا بالمشاركة . [أوليفيو سانتورو]

ألغاز رائعة منسية — ٥

معجزة على المشنقة

جيروم بيتي

لغز منسي ولكنه حقيقة واقعة

حدثت هذه المعجزة فى كولومبيا بولاية المسيسبي فى فبراير سنة ١٨٩٤ ، حينما شنق ويل بيرفيس، وهو فلاح فى الحادية والعشرين من عمره . .

تألفت فى مقاطعة ماريون سنة ١٨٩٤ جماعة سرية لإرهاب المزارعين والسود ، وقد سموا أنفسهم «ذوى القبعات البيض» . وكانت آخر جرائمهم أنهم ضربوا بالسياط رجلا أسود هجر عزبة أرملة ليعمل عند جيم وويل باكلى ، بأجر أكبر من الذى كانت تطيق الأرملة أن تدفعه . وقد عرف الرجل الأسود بعض الذين عذبوه ، وأعلن آل باكلى أنهم سيبلغون أسماءهم إلى هيئة المحلفين الكبرى ، فهددهم ذوو القبعات البيض بالموت إذا هم فعلوا . غير أن جيم وويل كانا شجاعين أبيين ، فذهبا أعزلين بلا سلاح إلى المدينة ، وشهدا أمام هيئة المحلفين الكبرى .

وكمن لهما فى الطريق ذوو القبعات البيض فى عودتهما ، وسقط ويل عن حصانه وأصيب بضربة قاتلة ، وأما جيم فقد فر ونجا . وقد قال : إن رجلين كنا لهما فى دغل ، وأن الذى سدد الضربة هو ويل بيرفيس .

وكان ويل بيرفيس من أسرة عريقة سميت باسمها مدينة بيرفيس المجاورة . وقد شهد جاران وثلاثة من أقاربه أنه كان فى بيته وقت ارتكاب الجريمة ، وأن بندقيته لم تستعمل منذ عدة أشهر ، غير أن هيئة المحلفين ارتابت فى شهادة الأقارب والأصدقاء ، فأدانته وحكمت عليه بالشنق .

وفى اليوم المحدد للشنق احتشد ثلاثة آلاف نفس بين رجال ونساء وأطفال ليشهدوا المنظر فى فناء المحكمة . وقد فحص العمدة وأعوانه ، وهم ذوو خبرة فى عملهم ، الحبلَ والبابَ الذى يهوى منه المشنوق بأكياس من الرمل ، واستوثقوا من ربط الأنشوطة ربطاً محكما ، وصار كل شيء حاضراً .

وقيد ويل بيرفيس حتى صعد الدرج . ثم كبل مساعد العمدة يديه ووضعهما وراء ظهره ، ووضع القيود فى ساقيه ، وأمسك رجل بالقناع الأسود ، ثم سأله العمدة الذى

يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه ارتكب الجريمة : « هل تود أن تقول شيئاً ؟ » .

فصاح ويل بصوت واضح هادىء : « لم أرتكب هذه الجريمة . إن هناك رجالا إذا شاءوا أنقذونى » .

على مقربة من درج المحكمة كان يقف القس سيبلى ، راعى كنيسة بكولومبيا ، وكان قد زار بيرفيس فى سجنه وهداه إلى الإيمان ، ولم يكن بيرفيس ينتمى إلى أية كنيسة ، وكان القسيس يعتقد ــ هو وكثير من الناس ــ أن المتهم برىء .

وأثناء الأشهر التى كانت تعرض خلالها معارضات بيرفيس التى لم تجد على محكمة الاستئناف العليا ، كان مستر سيبلى ورعايا كنيسته يدعون له مساء أيام الأربعاء فى الكنيسة الصغيرة . وفى بادىء الأمر لم يكن يحضر الصلاة إلا عدد ضئيل ، غير أن هذا العدد أخذ يزداد إلى أن ضاقت الكنيسة بالحاضرين . وكان أملهم الوحيد أن تدركه عناية من الله . وفى ليلة اليوم المحدد لشنق بيرفيس ، دعا مستر سيبلى الناس إلى الصلاة تحت ضوء المشاعل فى ميدان المحكمة حيث ركع مئات من الناس .

وبعد هذه الصلاة توجه مستر سيبلى ليصلى مرة أخرى هو وويل . وكان ، وهو مقيد بالأغلال المثبتة فى الأرض ، رابط الجأش وقال له : « ليس فى قلبى أدنى خوف على مصير روحى » .

وفى اليوم التالى ، حين وضع القناع الأسود على رأس بيرفيس ، أخذ مستر سيبلى وأولئك الذين يرتابون فى ارتكابه الجريمة ، يصلون مرة أخرى ويرددون هذا الدعاء بصوت عالى : « اللهم اكفف يد الجلاد بحولك وقوتك » .

ووضع القناع الأسود على رأس بيرفيس ثم قال له العمدة : « كان الله فى عونك ياويل بيرفيس » ، ثم شد ذراع المشنقة ، وعلا بكاء المحتشدين حين هوى الجسم من الباب الذى فتح تحته ، واهتز الحبل اهتزازاً شديداً .

ثم ارتفع صياحهم . حين رأوا بيرفيس راقداً على الأرض تحت المقصلة ، ولم يزل القناع الأسود على رأسه ، والأغلال فى يديه وساقيه . لقد كان حياً ولا يزال الخناق يترجح فوق الباب المفتوح خالياً . فماذا حدث ؟ ما من أحد يستطيع أن يضع خناقاً ــ يعقد أنشوطته جلاد ــ حول رقبة إنسان بحيث تفلت منه حين يهوى الجسم ، فإن الأنشوطة إذا زلت عن مكانها ازداد الخناق ضيقاً . ولم تكن حيلة احتالها العمدة ، فهو يعتقد أن بيرفيس هو مرتكب الجريمة ومع ذلك هوى بيرفيس وقد خلص عنقه من الخناق .

وقد قال بعد ذلك : « سمعت صرير الباب ، ثم هوى جسمى ، واسودّ كل شىء فى عينى ، ولما ثاب إلىّ رشـدى سمعت شخصاً يقول : حسناً يا ويل لا بد لنا من أن نعيد الكرة » . ثم جره معاونا البوليس كأنه كيس بطاطس ، وصعدوا به الدرج ليشنق مرة أخرى .

فلما أمسكا بالحبل وثب مستر سيبلى إلى المشنقة وصاح فى الناس : « يا أهل ماريون إن عناية الله هى التى حلت الخناق. لقد سمع الله دعاءنا واستجاب، فما قولكم أيها الأصدقاء ؟ هل يشنق ويل بيرفيس مرة أخرى ؟ » .

فصاحوا : « كلا ! كلا ! » فقد أذهلت المعجزة عقولهم ، وأخذوا ينشدون الأغانى ويصيحون ويحمدون الله . ولا شك أنهم كانوا سينقذون بيرفيس لو همّ الجلادون بشنقه .

ولذلك اضطر العمدة الذاهل المذعور أن يعيد ويل إلى السجن ، ثم أصدر الحاكم الذى لا يؤمن بالمعجزات أمره بإجراء التحقيق . ولم يوجه المحققون إلى العمدة تهمة ما ، وقرروا أن الاستعداد للشنق كان تاماً . ولم يستطيعوا أن يفسروا سر إخفاقه .

ثم صدر الحكم على ويل بيرفيس بالشنق إلى أن يموت . وقد رفض الحاكم الذى كان يعتقد أنه مرتكب الجريمة ، أن يخفف الحكم ، غير أن المحامين عن بيرفيس احتجوا بأنه شنق مرة فلا يمكن أن يشنق مرة أخرى إلا إذا أدين بمحاكمة أخرى . وعلى الرغم من ذلك رفضت محكمة الاستئناف العليا ثلاث معارضات فى شنقه ، وحكم على ويل بالشنق فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٩٥ ، بعد سنتين من نجاته تقريباً . ومثل هذا العذاب الذى تتابع شهراً بعد شهر ليجعل معظم الرجال يضيعون صوابهم ، غير أن ويل بيرفيس الذى لم يفتر عن الدعاء ، كان على يقين من أن الله سينقذه مرة أخرى .

ولم يهتد أحد إلى دليل يثبت براءته ، ولكن الرأى العام تحول فصار معه ، إذ أن خيار الناس ممن يخشون ربهم آمنوا بأنها آية من عند الله أعلنت براءته ، ولذلك بدأت يد الإنسان تعمل . فخصه المسئولون بمقاطعة ماريون بمعروف صنعوه له ، فنقلوه من سجن كولومبيا الكبير إلى سجن بلدة بيرفيس الصغير « ليكون على مقربة من أصدقائه فى أيامه الأخيرة » . ولعل هؤلاء المسئولين لم يدهشوا حين تهجم بعض الناس على الحراس فى منتصف الليل وأخلوا سبيله قبيل تنفيذ الحكم عليه ببضعة أيام .

وقد قدم الحاكم الحانق مكافأة قدرها ٦٥٠ ريالا لمن يقبض على ويل ومكافأة

قدرها ٢٥٠ ريالا لمن يقدم البينة على الذين أخلوا سبيله . ولكن لم يطمع أحد فى هذه المكافآت ، مع أنه يكاد كل إنسان يعلم من الذى اقتحم السجن ، ويكاد يعلم أيضاً كل إنسان أن ويل يعيش مع أهله فى الغابات والتلال .

ثم انتخب حاكم جديد ، وكان هذا الحاكم قد اعترف فى أثناء دعايته للانتخاب بالمعجزة التى حدثت ، ووعد بتخفيف الحكم على بيرفيس ، فقدم ويل نفسه واستبدل السجن المؤبد بحكم الشنق .

وبعد سنتين صدر العفو عن ويل بعد التماس رفعه آلاف من الأهالى ، بينهم وكيل نيابة المنطقة الذى أقام الدعوى عليه . ولم يفرج عنه لعثور على دليل يثبت براءته ، بل لأن أغلبية سكان ولاية المسيسبى آمنوا بأن حكم الله نسخ حكم المحلفين . ثم رحل إلى قرية ، وتزوج بعد بضعة أشهر بابنة أحد القساوسة ، وقد رزق أحد عشر ولداً . وكان ويل يتوجه هو وزوجته صباح أيام الآحاد إلى الكنيسة ويحمد الله الذى أنقذ حياته .

ولما بلغ ويل السابعة والأربعين من عمره ، كتب الفصل الأخير فى قصته الغريبة ، فإن فلاحاً طاعناً فى السن يدعى جو بيرد اعترف وهو يجود بنفسه أنه هو الذى قتل باكلى هو وعضو آخر من ذوى القبعات البيض . وقد أثار النبأ سكان ولاية المسيسبى . وظل الذين كانوا يؤمنون ببراءة بيرفيس يطوفون بالذين لم يصدقوهم قائلين : « لقد قلنا ذلك » ودفع المجلس التشريعى ٥٠٠٠ ريال تعويضا له عن أخطاء الولاية .

وقد توفى ويل بيرفيس منذ عامين ، رجلا جليل الشأن بين أهالى منطقته . وارتبْ ما شئت فى أنه نجا بمعجزة ، وسمها صدفة تحدث مرة فى التاريخ ، إلا أن ويل بيرفيس قد شهد بقوله : « لقد استجاب الله دعاءنا وأنقذ حياتى ، لأننى كنت بريئاً » . فقد آمن ويل بيرفيس ، وكانت نجاته ثمرة إيمانه .

★ ★ ★ ★ ★ ★

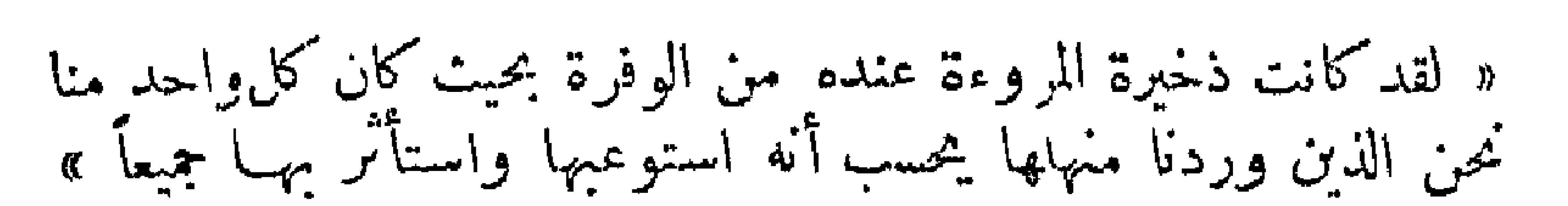
تجربة أديسون

فى المعركة التى دارت سنة ١٩٤٠ لانتخاب حاكم لولاية نيوجرسى ، كان أحد المرشحين تشارلز أديسون ابن توماس أديسون المخترع العظيم . فقدم نفسه للجمهور فى إحدى الحفلات بالكلمات التالية : « لا مفر للناس من أن يقرنوا اسمى باسم والدى ، ولكننى لا أرغب أن يظن أحد أنى أتجر باسم أديسون ، بل أفضل أن أوصف بأنى نتيجة إحدى التجارب الأولى التى جربها والدى » . [كارل جون بوستلمان]

الشخصيات التى لاتنسى

المعلم المحبوب

بقلم
هنرى جيمس
فورمان



« لقد كانت ذخيرة المروءة عنده من الوفرة بحيث كان كل واحد منا نحن الذين وردنا منهلها يحسب أنه استوعبها واستأثر بها جميعاً »

ما من أحد كان يعرف البارون رسل بريجز إلا حسبه كاتباً بسيطاً ، أو معلم صبيان خاب كل أمل فى ترقيته منذ زمن بعيد . ولقد بلغ من تواضعه أنك تخاله يحتال على خمول الذكر احتيال غيره على الشهرة . وكم طالب من طلابه عاد إلى موطنه ، وفى نفسه — إن لم يكن فيها من قبل — حرمة راسخة باقية للبساطة الديمقراطية ، وذلك أن العميد بريجز كان لا يكره شيئاً كرهه للزيف والادعاء والتعاظم .

وكان الناس يشبهونه أحياناً بالرئيس لنكولن وبالكاتب إمرسن ، على أنه لم يكن يشبه هذا ولا ذاك فى ملامحه وقامته ، فهو ربعة لا بالطويل ولا بالقصير ، مدمج وثيق التركيب ، وكان يسير دائماً مسرعاً متكفئاً كأنه منطلق فى مهمة خطيرة عاجلة . وكانت سراويله منتفخة عند ركبتيه ، وإلى جنبه جراب من قماش خشن أخضر مشدود إلى عاتقه ، فيه طائفة من الكتب ، وعلى رأسه قبعة منسحقة الوبر مبتذلة ، وقد كفأها إلى الوراء . وكان هذا كله ظاهر الدلالة على الإهمال ، ولكنك إذا نظرت فى وجهه الوديع الصريح الذى يفيض رحمة ورقة ، أدركت سر تشبيهه بهذين الرجلين العظيمين .

ومن النوادر الكثيرة التى يروونها عن العميد بريجز : أن شاباً فى بزة أنيقة كان يسوق ذات يوم مركبة ذات جواد واحد إلى دار الحكومة فى مدينة بوسطن ، فلما بلغ الدار ، قال لأحد المارة — وكان غريب الشكل ، ولكن وجهه يبعث على الثقة والطمأنينة — : « أيمكن أن تمسك لى الجواد عشر دقائق يا أخى ؟ » . فأجاب الرجل : « بلا ريب ، إنه جواد غاية فى اللطف » . ولم يلبث أن عاد الشاب ومد يده إلى الرجل بربع ريال ، فاعتذر الرجل بأدب ، فسأله الشاب عن اسمه وقد عجب لأمره ، فكان جوابه : « أنا بريجز . البارون بريجز » . فعرف الشاب أنه عميد معهد هارفرد . ومع ما يبدو على هذا الخبر من شبه بالحكايات المخترعة فإنه حقيقة واقعة .

وأول ما لقيت العميد بريجز فى مستهل

هذا القرن ، وكان فى الأربعين من عمره . وكنت قد جئت من أواسط غرب أمريكا إلى هارفرد على حساب هبة ضئيلة ، وليس معى سوى ثمانين ريالا . وقد ذهبت إلى لقائه والروع ينفض جوانحى ، فلو أنه علم بأن ما عندى لا يفى طويلا بحاجتى لردَّنى . ولكن العميد أحسن لقائى كأنه كان ينتظرنى زمناً طويلا . ثم قال لى فى صوت كصوت طبيب الأسرة فى لطفه ورقته : « كن صريحاً ، كم معك من المال ؟ » . فصدقته القول ، وانتظرت قراره لحظة معاق الأنفاس .

فقال : « هذا من حسن حظنا . لقد أخبرنى أمين مكتبة المعهد منذ هنيهة أن لديه عملا يقتضى مساعداً من الخارج ، يشتغل بعد الظهر ثلاثة أيام فى كل أسبوع . إن الأجر قليل ، ولكنه عمل مستمر طوال السنة الدراسية ، وسيكون فى استطاعتك أن تنصرف إلى الدرس والتحصيل بعض الوقت على الأقل . تعال إلىَّ كلما أشكل عليك أمر » .

وماجت بنفسى موجة من الثقة ، وارتفعت حياتى فى هذه الدقائق المعدودات إلى أفق جديد . لقد أصبح العميد بريجز صديقى وحليفى .

وقد سمعت بعد ذلك أخباراً من هذا القبيل كثيرة ، يتضاءل لها ما رويته من خبرى . من ذلك أن فتى رقيق الحال احتوته الطرقات بائساً متشرداً ، فاتصل به خبر هذا العميد العجيب ، فاعتسف طريقه إلى ناحية كمبردج وقابل العميد بريجز ، وحصل على المساعدة فى دخول معهد هارفرد ، حتى تيسر له أن يكون أستاذاً . وهنالك فتى آخر قدم من مدرسة ريفية صغيرة بنفقة استدانها ، وكان على وشك العودة ، إلا أن العميد بريجز رأى نجابته فاستبقاه . ومن يومئذ التمع نجم الفتى وصار مدرساً ومحاضراً وكاتباً .

فمن كان العميد بريجز وليَّه فقد تأتَّى له كل شىء تقريباً وهان كل مطلب ، فالرجل فاتح أبواب مغلقة . وكل غريب ناء عن أهله ، وخاصة إذا كان حديث عهد بكمبردج أو لاصديق له بها ، فهو فى حفظه ورعايته . وإذا وقعت عينه على طالب يجول متوحداً متوحشاً فى الفناء دعاه إلى داره ، وإلى مائدته ومجلس أهله . ويقول لزوجته وهو يدخل معرفاً بالقادم : « حسنا يا أماه ، لقد جئتك معى بضيف للغداء » . وكانت مسز بريجز ترحب بنا دائماً فى لطف فياض ، ولا غرو فقد تعوّدت الزوجة هذا من زوجها منذ زمن طويل ووطنت عليه نفسها .

وقد يصادف العميد طالباً يظهر عليه أنه لا يصيب من الطعام إلا قليلا ، فيصحبه إلى

مطعم ، لا للطعام فحسب ، بل ليجاذبه أيضاً أطراف حديث شهى . فإذا جاءت ساعة الافتراق ، قال وهو يغمغم على استحياء : « يا مستر جونز ! لقد وضع بعضهم رهن يدى مبلغاً صغيراً من المال لمثل هذه. فأكون شاكراً لك لو أخذت هذه الريالات العشرة لتبلغ بها آخر الشهر » . ثم يسر إليه : « أنت تعلم ولا ريب أن مما يؤذى العينين أن تقرأ وأنت خالى الجوف » .

وكان كل طالب جزءاً من حساب حياته وتدبيره . وإذا كان إمرسن يؤمن بأن النفوس لا يمكن استنقاذها جملة ، فإن العميد يؤمن بأن كل فرد مظنة خير لا حصر له .

والعميد فى المعاهد الأمريكية هو عادة من رجال النظام والتأديب . ولقد كان العمداء من قبله عامة من ذوى الهيبة ، إن لم نقل إنهم ممن يقذفون الرعب فى القلوب ، ولكن العميد بريجز أبدع للعمادة ضرباً من العصر الذهبى ، وأدخل على الوظيفة إنسانية ورحمة مستحدثة . وكان من مبادئه : « من عمل العميد أن يخالف القوانين ، فإن أى كاتب يستطيع أن يتبعها » . وكان يقول : « إنه لأحب إلىّ أن أخدَع عشر مرات من أن أظلم أحداً مرة واحدة » . ومع ذلك فقلما كان يخدع .

أما نحن الذين كنا نشتغل لنكسب ما يفى بنفقة دراستنا ، فلم يكن يتسع وقتنا لمخالفة قوانين المعهد . وأما أقراننا من الأغنياء فكثيراً ما وصفوا لنا العميد وشقوته وتململه فى كرسيه وقلقه الأليم ، إذا استوجب الأمر منه أن يوقع عقوبة ، حتى لكانوا فى أكثر الأحيان يألمون لألمه أكثر مما يألمون للعقوبة . وكان يتحرى الظروف المخففة ويستقريها فى لهفة ظاهرة ، ولكنه كان عادلا كل العدل دائماً ، حتى لم يخطر ببال مذنب قط أن يراجعه فى حكمه .

وكان لطرد طالب من المعهد فى نفس العميد بريجز مضض أشد مما فى نفس الطالب . فهو متألم للطالب ، ثم هو أشد تألماً لوالديه . وهو يقول للفتى الجانى : « ينبغى أن أخبر أنا أباك ، ولكن من حقه عليك أن تخبره أنت أولا . فأرجوك أن تخبره ، وخير ما تصنعه له أن تذهب إليه . ولا إساءة أبلغ من اجتنابه فى هذه اللحظة وتركه » .

وكان مع اشتغاله هذا كله بشئون الطلبة يلقى بعض الدروس ، وكان من أقدر المدرسين فى هذه البلاد . ولقد مارس التعليم اثنتين وأربعين سنة ، وكان صاحب فضل فى إحداث انقلاب فى تعليم الإنشاء فى الولايات المتحدة .

وقد ألح بريجز بالاشتراك مع الأستاذ «آدمز شرمان هيل» فى وجوب جعل درس الكتابة إجباريا فى السنة الأولى من الجامعة، كما أنه عمل بالاشتراك مع « باريت وندل» على التوسع فى فكرة «الموضوع اليومى». وقد زاد ذلك عمل المدرسين زيادة كبيرة، ولكن السبيل إلى تعلم الكتابة هو أن تكتب، وأن يكون ذلك تمريناً يومياً فى موضوعات مختلفة.

ولقد نجحت الفكرة حتى أصبح نظام « الإنشاء والموضوع اليومى » أساساً مقرراً فى معظم مناهج الدراسة فى الكليات. وقد أصبح البعض من تلامذة بريجز معلمين وأساتذة، فأذاعوا الطريقة فى جميع أنحاء البلاد.

والنهج الذى جرى عليه العميد بريجز مع الطلاب فى فن الكتابة هو أوفى ماقدمته جامعة من الناحية التعليمية الفنية. ومازلت كلما لقيت أحداً من طلابه الأقدمين، وهم يعدون بالمئات، التمعت عيونهم، ولم يتمالكوا، وقد أصبحوا اليوم مؤلفين وناشرين ومدرسين، إلا أن يذكروا ذلك العهد فى تأثر بالغ لا يبتعثه فى النفوس إلا المعلم العظيم المحبوب.

ولقد بقيت بعض تعليقاته محفوظة مأثورة، منها:

(هذه جيدة فى طبقة الكثير مما ينشر فى المجلات السيارة، ولكنها ليست جيدة جداً).

(موضع الملاحظة على كلمة « متنطس » هو أنى أجدنى فى كل مرة مضطراً إلى مراجعة المعجم للتحقق من عدم الخطأ فى استعمالها).

(هى حكاية لطيفة، إلا أن المدخل أكبر مما ينبغى للبيت).

وبين يدىّ الآن ربطة من الموضوعات التى قدمها إلى العميد بريجز منذ ثلاثين عاماً أحد تلاميذه، وهو اليوم أحد أعلام الفكاهة الذائعى الصيت. وتستطيع أن تتبين من هذه الأوراق كيف كان المعلم يتعهد ما عند تلميذه الفتى من استعداد فطرى للفكاهة، وكيف كان تقريظه لهذه الكلمة، وتنبيهه إلى هذه السقطة فى أسلوب الكلام، وأحياناً إلى خطأ فى التهجئة، ثم تعقيبه على الموضوع فى جملته بأنه: « هو قطعاً موضوع فكه »، وهو لا ينسى مع ذلك التحذير من التكلف واستكراه الفكاهة.

فإذا لم يجد فى الموضوع المكتوب غير عبارة حسنة واحدة نوه بها. ولقد يستوقف الناس فى فناء الجامعة أو فى الشارع — وقد يدعوهم فى التلفون — ليعرب لهم عن مبلغ استحسانه لشىء كتبوه. ولقد أهما

ذات يوم أستاذين من الأعلام فى فنهما ، ليذكر لى بخير مقالةصغيرة كتبتُها فى بعض المطبوعات التى ينشرها تلاميذ المعهد . وذلك أن العميد كان لا يستطيع أن يحبس الثناء عمن يراه مستحقاً له .

والذى يرجع إلى سجلات أسماء تلاميذه يجدها عامرة بأسماء الكثيرين من مشاهير الكتاب والناشرين فى عهدنا الراهن .

ومازلت حتى اليوم ألقى أناساً فى مختلف مناحى الحياة يبسمون حين يذكر لهم اسم بريجز ، ويقولون مثل هذا القول أو ما فى معناه : « تسألنى هل أعرف العميد ؟ إنى أعرفه معرفة لم تتح لأحد قط . نعم إن بيننا رابطة خاصة تربطنا » . وما ذاك إلا لأن ذخيرة المروءة فى نفسه كانت من الوفرة بحيث كان كل من ورد منهلها يحسب أنه استوعبها واستأثر بها . فنحن جميعاً تربطنا به رابطة خاصة .

وفى ذات يوم سقطت علينا سقوط القنبلة ترقية العميد بريجز إلى عميـد للكلية ، وهى وظيفة يكون عمله فيها أهون عليه وأيسر . ولا أزال أذكر الشعور الذى أصابنى ساعتئذ ، كأنها ضربة وقعت على رأسى . فالعميد بريجز لن يكون عميدى أنا بعد اليوم .

وسرعان ما تبين أن شعور أكثرنا كان مثل شعورى ، فقد تم لنا استقدامه بحيلة من الحيل إلى مكتب المعهد فى غبش المساء ، وكان نحو ثلاثة آلاف تلميذ قد اختبأوا خلف الجانب الآخر من المبنى ، فاحتشدوا أمام المكتب وصفقوا يهتفون فى طلب العميد بريجز .

دهش الرجل ، وأطل من نافذة مكتبه فإذا الفناء سواد واحد من الزحام ، فخرج إلى السلم ، بطلعته المعهودة المحبوبة . أيكون هذا آخر عهدنا به ؟ وحاول الكلام . فاختلج صوته ، ولكنه غلب عليه وامتلكه وذكر العميد الجديد ببضع كلمات ، ثم قال : « إن طلاب معهد هارفرد يستطيعون المضى على أحسن حال بدونى ، ولكننى أنا الذى لا أستطيع المضى بدونهم » .

وكانت هذه الكلمة تنطوى على سره وعلى أمله معاً . فالرجل يحتاج إلى الناس ليمارس فيهم مقدرته على الحنان والعطف . وربما كان يأمل أن يجد وسيلة تفضى إلى دوام صلته بنا . وتعالى هتاف جهورىّ عميق من هـذا الحشد من الطلبة ، وقد اختنق صوت بعضنا بالبكاء وهم يحاولون الهتاف .

ولقد وجد بريجز سبيلا لمعاونتنا ، فقد ظل مدة يوالى العميد الجديد بالمشورة ، وظل على اتصال بما يعرض من مشكلاتنا ،

ولم نزل نحن أيضاً نختلف إلى داره مساءً فى بعض الأيام .

ودارت المقادير دورتها ، فإذا بريجز تزداد مشاغله . وذلك أن معهد رادكليف الذى يُعدّ اليوم من أكبر معاهد النساء ، كان وقتئذ ناشئاً وفى دور التكوين . وكان يحتاج إلى يد ذات خبرة تدير دفته ، فانتخب العميد بريجز ليقضي بعض وقته فى الإشراف عليه . وقد اضطلع بذلك عشرين عاما ، وهو اليوم جزء من تاريخ هـذا المعهد ، ولقد سميت إحدى منشآته باسمه .

ولم أر العميد بعد تخرجى فى الجامعة إلا مرات قلائل نادرة ، ولكنها نفيسة غالية . وإنى لأذكر بعد عشرين سنة تحيتى له فى فناء المعهد ، وكان العميد على علم بما كنت أزاوله من عمل ، وكان واقفاً على تفاصيل حياتى فى صناعتى . وكنت قد لقيته قبل ذلك فى نيويورك عند عودتى من فرنسا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان قد صدر قرار وقتئذ بندبه — على سبيل التبادل — أستاذاً فى السوربون ، وكان فى طريقه إلى باريس فسألنى : « قل لى يا مستر فورمان ! أمن الصواب أن آخذ معى قمصاناً بيضاً إلى باريس ؟ فقد خطر لى أنه إذا لم يكن لدى القوم بعد هـذه الحرب الطويلة وسائل للغسل فربما كانت مدعاة ارتباك لهم » .

ولقـد قضى العميد بريجز نحبـه منذ عشر سـنوات ، ولـكنه ليس منا ، نحن الذين عرفناه ، من ينسـاه . والسبب فى حبنا له كل هذا الحب وإعجابنا به ، هو أننا لم نكن عنده « تلاميذ معهد » أو « جماعة طلبـة » وحسب ، أو ما شـابه ذلك ، بل كنا عنده أناسىّ لنا مشاكلنا وشـئوننا الخاصة ، كنا عقولا ينبغى أن تتثقف ، ونفوساً ينبغى أن تهذب . فهو على نقيض مذهب الفاشـيّة فى التربية وفى الحيـاة . ولقد أحسن العبارة عن ذلك « إليوت » مدير جامعة هارفرد فى طلبه منح درجة « دكتور فى القـانون » للعميـد بريجز إذ قال : إنه يطلب هذه الدرجة للعميد لأنه كان « مؤمناً بغلبة الخير فى عالم الطلبة » .

ولقد كان من حرارة الإيمان واتقاده بحيث كان يقدح الشـعور فى أشد القلوب قسوة وصلابة . ولقد أصبح تلاميذه اليوم ، بعـد هذه السـنين الطوال ، شيوخاً ، ولـكن أصحاب هـذه الرءوس التى جللها الشيب أو بدت فيها خيوطه ، لا يذكرون عميدهم حتى اليوم إلا غلبهم التأثر .

شجيرات مداد للزينة نقلت من اليابان فأحدثت حدثاً في أمريكا

كودزو

أعجوبة زراعية أخرى

رسل لورد

ملخصة عن مجلة «كنتري بوكلت»

كانت مزرعة جبلية بولاية ألباما ، وإذا كانت هناك مزرعة قد تجلت عليها سكرات الموت ، فهي هذه ، فقد جرفت تربة سطح الأرض إلى الخلجان والبحر ، وأصبح الحقل الذي وقفنا عليه الساعة كثير الأخاديد ، حتى لا تجد بداً من متابعة القفز وأنت تعبره . وكانت الأرض مواتاً عارية ، وكان المنزل المقوض السقف خاوياً ، ولكنك لو أنعمت النظر هنا وهناك في تلك الأخاديد ، لرأيت نباتاً مداداً كالحبال ، يزحف على الأرض محتضناً سطحها ، فبدأ ينبسط فوقها كالشبكة . تلك كانت زراعة كودزو الأولى التي رأيتها ، أول ما رأيت ، وكودزو هو هذا النبات الواقي الجديد .

حدثني رفيقي ر . ى . بايلي ، قال : « لقد شنق رجل نفسه في ذلك المنزل ، فاستولى المصرف على الأرض . ولكن الحقل سيسترد خصبه قريباً ، فيغدو مرعى خصباً ، وسيخضر في الربيع القادم » .

وقد أطلق القوم على رفيقي اسم « كودزو بايلي » ، وكان ذلك في ديسمبر ١٩٣٦ . وكان الذين يشاركونه ثقته بأن يكون هذا المداد الياباني نباتاً نافعاً للحقل قلة ، أما الذين ساورهم الخوف أن يصبح هذا النبات آفة أشد خطراً من حشيش « سلطان الجبل » فيعم المنطقة كلها ، فلم يكونوا قلة .

كان جواب بايلي ، وبعض الذين آمنوا كإيمانه ، أنه إذا كان ثمة نبات ينمو نمو حشيش « سلطان الجبل » ، ولكنه يغذي تغذية البرسيم أو البرسيم الحجازي ، ويحتوي تقريباً على ما يحتويان عليه من البروتين والكاروتين ، فليس هناك ما يدعو إلى الحذر . وقد بينوا أن الكودزو لا ينسج حصراً تقي سطح الأرض وحسب ، بل يفعل فعل البقول ، فيستخرج النتروجين الطليق من الهواء ويختزنه لحاجة النبات في التربة . وكذلك انتشرت زراعة الكودزو لإصلاح الأراضي المشطبة والأخاديد الكبيرة .

قضيت في شهر يونيو الماضي ، عطلة الأسبوع ، في مزرعة بولاية جورجيا

يملكها تشانج كوب ، وهو أحد زراع الكودزو المقتدرين . وقد قال كوب إن الكودزو نقل من اليابان نباتاً مدّاداً للزينة ، فزرعه أولا فى حقله سنة ١٩٢٧ حين اشترى أرضاً مواتاً مساحتها ٧٠٠ فدان قرب كوفنجتون ، وعلى ٣٠ ميلا من اتلانتا . فدعيت مزرعة النهر الأصفر ، لأن النهر الذى ينصرف ماؤها فيه كان أصفر اللون لاختلاط مائه بتربة سطحها .

أما اليوم فالمكان كله يُرَى مَرْجاً أخضر وسط منطقة غبراء طرح فيها القطن . وقد قال تشانج ووجهه يطفح بشراً : « قد ثلّ عرش القطن فى هذا المكان . ورفع عرش الكودزو » فالمواشى تتكاثر فى المروج ، والتربة تثبت فى الأرض ، والمزرعة تدر المال .

وقفنا فى ذلك اليوم القائظ على حافة حقل عجيب يغطيه النبات المداد ، فقد نما الكودزو نموًّا بلغ ارتفاعه إلى أعلى الورك وكان يغطى الأكمة كلها . قال تشانج : « انحن ومد يدك » . كانت الأرض ندية باردة كأنها أرض فى غابة كثيفة وارفة الظلال . ثم قال : « لقد قاسوا درجة الحرارة فى يوم مثل هذا فى محطة التجارب فإذا الحرارة على سطح الأرض العارية ٦٠ درجة بميزان سنتيجراد ولكنها كانت ٣١٫٦ درجة على سطح الأرض التى يغطيها الكودزو .

وهذا أمر جدير بالتدبر ، ففريق كبير من رجال الزراعة يسألون : أترى الحر الشديد يضر الأرض المحروثة ويعوق ترطيبها ؟

« ألق نظرة على ورق كودزو المتساقط » وأخذ بيده حفنة . إن هذه الأوراق الكبيرة الرقيقة التى سقطت من نبات العام الماضى تكسو الأرض رقائق متحللة ثم تتحلل فى التربة مادة عضوية فتخفف من شدة فقرها إلى الغذاء ، إن هذه الطبقة المنتشرة فوق الأرض لتبدو تحت قدميك كالبساط الكثيف .

إن الكودزو يقاوم الجفاف مقاومة عظيمة ، فجذور بعضه تذهب ١٢ قدماً فى الأرض ، ويكوّن التاج الواحد ، من مدّاد إلى أربعة ، ثم تنشأ التيجان الجديدة عند المفاصل والعقد . وتكفى ٥٠٠ تاج لزرع فدان واحد ، أى ما يعدل تاجاً واحداً فى كل ٨٥ قدماً مربعة ، فإذ كانت التربة جيدة بلغ معدل النمو فى اليوم قدماً ، حين يكون النمو على أشده . وليس غريباً أن يبلغ نموها فى عام مئة قدم . ومحصول السنة الأولى قد يكون كبيراً ، ولكنه فى العادة يستغرق ثلاث سنوات لتنبسط فروعه على المساحة كلها . وقد ترعى المواشى نبات الكودزو ، أو قد يقطع ويؤخذ دريسه . قال كوب : « هذه الأرض التى مساحتها ٣٥ فداناً تغل ٣½ طن من الدريس

ســواء أنزل الجفاف بالأرض أم لم ينزل .

ولست أظن أنى رأيت قبل فى مكان ما تربة أدنى إلى التآكل من تربة هذه المزرعة، فهى تذوب كالسكر . وحسب عجلة مركبة، أن تمر فى الأرض المعشبة منها لتترك أثراً يتحول إلى أخـدود . ولـكن متى ثبت الـكودزو فى الأرض انتهت جميع هـذه المتاعب . فهذه الحصيرة القوية تمسك التربة.

ومنذ عهـد قريب قال هيو ﻫ . بنيت رئيس قسم المحافظـة على التربة فى الولايات المتحدة : « بماذا تسمى هـذا النبات إن لم تسمه معجزة ؟ . فقـــد حملنا نبات الـكودزو على أن نعيد النظر فى حكمنا على أراض كثيرة أصابها التآكل الشديد، فقلنا إنها لا تصلح بعد للزراعة فى المستقبل. وهو ليس محصولا يصلح للأرض المخددة وحسب، بل هو نبات ممتاز للأرض الجيدة كذلك ، فهو يغطى فى عام واحد حقلا من حقول الذرة ، ثم يحرث ويدفن فى الأرض فى الربيع التالى أو أوائل الصيف ، فتزرع الذرة . وبعد آخر زراعة من الذرة ، ينبسط الـكودزو ثانية على وجـه الحقل ، مانعاً تآكل التربة ، خازناً فيها قدراً جديداً من النتروجين ، ثم إذا حل فصل الصقيع سقط ورقه على الأرض فغطاها كالبساط ، وهو يضارع الورق المتساقط من شـجر الغابة . إنه يفعل كل هذا فى سنة واحدة ! »

وقد بدأ زراع الولايات الأمريكية الشمالية يحسدون زراع الولايات الجنوبية على هذه المعجزة . وعلماء الوراثة يبذلون الجهد الآن لاستنباط سلالات أصـمل (أشد احتمالا للبرد) حتى يمتد نطاق زراعة كودزو إلى الشمال .

والـكودزو حياة وأمل وشـوق ، فى مناطق استنزفت الزراعة بالطريقة القديمة خصبها ، حتى كادت تموت . ويقول كوب : « تساور قلوب الزراع فى الجنوب نشوة عجيبة ويلهجون بالثناء عنـد ما يجتمعون فيمتدحون الـكودزو . وفى اجتماع فى نادى الـكودزو بأتلانتا فى الربيع الماضى ، ذكر رجل كيف استطاع أن ينتج البيض مقابل ٧ مليمات لـكل ١٢ بيضة من دجاج يرعى الـكودزو ، كما شهد آخرون بزيادة غـلة الذرة من ٤ أحمال إلى ٧ حيث زرع الـكودزو من قبل. وتحدث رجل عن نجاحه فى تجفيفه ليستعمل غذاء للماشية والإنسان، وقال : من الممكن أن يصنع منه فطور شهى» .

وقرر نادى الـكودزو أن يكون هدفه زراعة مليون فدان فى جورجيا سنة ١٩٥٠ ، وثمانية ملايين فى الولايات الجنوبية عامة ، ويقول تشانسج كوب : « ليس ذلك بكثير فى سبيل ما نحتاج إليه من تعزيز نتاج الماشية، ولـكي نساعد على استقرار شئون زراعتنا» .

من "معجم الشيطان" تأليف " أمبروز بيرس "

تعريفات لاذعة

* **السخف :** هو صفة كل قول أو عقيدة يرى المرء أنهما يناقضان رأيه .

* **المعرفة :** فلان من معارفي ، وهو كل امرىء تبلغ معرفتك به أن تقترض منه ، ولا تبلغ بك أن تقرضه شيئاً . وهي منزلة من منازل الصداقة تعدّها ضئيلة حين يكون الرجل فقيراً أو خامل الذكر ، وتعدّها صداقة متينة حين يكون الرجل غنياً أو بعيد الصيت .

* **النصيحة :** أرخص نقد متداول .

* **الثقيل الممل :** هو من يتكلم وأنت تريده أن يصغى .

* **الكرنب :** نبات معروف أشبه شيء برأس الإنسان في ضخامته وحكمته .

* **النكبة :** تذكرة صريحة بأن لا سلطان لنا على تدبير شيء من شئون هذه الحياة . **والنكبة ضربان :** النائبة التي تنزل بنا ، والنعمة التي تدرك سوانا من الناس .

* **المشورة :** هي أن تسأل أخاك أن يوافقك على أمر قد قطعت فيه برأى .

* **الجبان :** هو من إذا نزل بساحته خطر داهم ، كان عقله في رجليه .

* **الواجب :** هو ما يسوقنا سوقاً يفضى بنا إلى المنفعة في عنان الهوى .

* **التربية :** هي ما يكشف للعاقل ويخفى عن الجاهل قلة إدراكه .

* **الأناني :** هو كل امرىء فاسد الذوق ، اهتمامه بنفسه أكثر من اهتمامه بي أنا .

* **الموضة (الشهرة) :** طاغية يسخر منه العقلاء ويطيعونه .

* **المأتم :** حفل يراد به أن ندلّ على احترامنا للميت بأن نزيد ثروة الحانوتي ، وأن نزيد أحزاننا بما ننفقه ، فيضعف أنيننا ودموعنا .

* **الضيافة :** فضيلة تغرينا بأن نطعم ونؤوى من الناس من ليس محتاجاً إلى طعام أو مأوى .

* **الضوضاء :** قذى في السمع ، موسيقى متوحشة . هو ثمرة الحضارة وأصدق دلائلها .

* **التجلد :** ضرب من اليأس متنكر في ثياب فضيلة .

* **السلام :** هو في الشئون الدولية فترة من الخداع بين حربين .

* **المجاملة :** أحب ضروب الرياء إلى الناس .

* **الثورة :** في السياسة انقلاب مفاجيء يحدث تغيراً في ظاهر الحكم الفاسد .

آخر ما أذاعه الألمـان وهم يغادرون بروكسل — شعور البلجيكيين الذين سمعوا تلك العبارة بقلم أحدهم

" سوف نعود إليكم "

ملخصة عن صحيفة « أخبار من البلجيك »
جان ألبير جوريس

تفيض قلوب ثمانية ملايين ونصف مليون بلجيكي بالشكر لأنهم قد استعادوا حريتهم ، ولكنهم وهم فى نشوة الفرح يفكرون فى المستقبل، وحُقّ لهم أن يفكروا، فقد وجه إليهم النازيون وهم يغادرون بروكسل إنذاراً خطيراً . قالوا لهم فى أول سبتمبر أربعة أشياء جديرة بالاعتبار :

« لن نسلبكم شيئاً . لن ننهبكم . لا تحقدوا علينا . سوف نعود إليكم فإلى اللقاء » .

إن هذه الكلمات تشف عن العقلية الألمانية ، وتدل دلالة جديدة على أن قضية ألمانيا أدنى إلى الحمق منها إلى الرشاد .

إن الذين يعرفون الألمان — ومعظم الأميركيين لا يعرفونهم أما الأوربيون فيعرفونهم — كانوا يعلمون منذ زمن أنه متى غلب الألمان على أمرهم ، فسيبدأون حملة جديدة قوامها أنين الاستعطاف ، لأن الألمان يعرفون شعور الأنجلو سكسون نحو المغلوب . ولما غلبوا فى الحرب الماضية أخذوا يئنون أنين الاستعطاف، فأسفر أنينهم عن نتائج لا بأس بها ، وقد عادوا يفعلون كرة أخرى . وستمر سنوات ونحن نسمع أنغامهم المحزنة . ومن المحتمل أن تلين لهم بعض الأمم مرة أخرى .

أما البلجيكيون فلن يلينوا . ولماذا ؟ لأن الألمان يقولون لهم بوقار يضحك: « لن نسلبكم شيئاً » . فيجيبهم البلجيكيون : « وهل تركتم شيئاً يسلب ؟ » إنهم استنزفوا بلجيكا فأخذوا ٨٥ فى المئة من منتجاتها ، وفرضوا على عشرات من المدن البلجيكية ملايين الفرنكات من الغرامات ، ونهبوا البيوت ، وصادروا ممتلكات البلجيكيين المبعدين ، وسرقوا التحف الفنية وخزائن العلماء، وأقاموا أربع سنوات ينهبون، وفى الليلة التى طردوا فيها قالوا لضحاياهم : « لن نسلبكم شيئاً » !

لقد أقاموا أربع سنوات يلتهمون خيرات البلاد ويتركون أولاد البلجيكيين يتضورون جوعاً ، ويشحنون ما ينتجه البلجيكيون من مواد الطعام إلى الريخ . ولقد أخذوا معدات السكك الحديدية والآلات الكهربائية وفحم المناجم البلجيكية ، وكل ما وصلت إليه

أيديهم . وبعد أن جردوا البلاد من كل شيء قالوا : « لن ننهبكم » .

وأغرب من ذلك كله قولهم — وهو أمنية الجلاد : « لا تحقدوا علينا » .

هذه كلمات أولئك الذين جعلوها ملهاة أن يقتلوا في سنة ١٩٤٠ عشرة آلاف طفل وامرأة، في طرق البلجيك، بالمدافع السريعة، وأولئك الذين سجنوا أكثر من اثني عشر ألفاً من البلجيكيين الوطنيين ، والذين عذبوا وقتلوا مئات من الرهائن الأبرياء واختطفوا خمسمئة ألف من الرجال والنساء واستعبدوهم ليعملوا في المصانع الألمانية ، هؤلاء يقولون في ساعة فرارهم للبلجيكيين : « لا تحقدوا علينا ! » .

أجل . لا تحقدوا على الذين حاولوا هدم معاهدكم، وحاولوا القضاء على الحرية التي حاربتم في سبيلها قروناً عدة ، وعلى كل ما يجعل للحياة قيمة .

على أن العبارة الأخيرة التي أذاعها الألمان في فرارهم هي إنذار شديد جدير بأعظم اهتمام .

هذه هي المرة الثانية في ربع قرن يحتل فيها الألمان البلجيك ، أربع سنوات . وقد غلبوا الآن . فهل أدركوا أخيراً أن العالم يأبى أن يستعبد ؟ لا . إنهم لا يزالون يقولون : « سوف نعود إليكم » ، سوف نعود بطائفة جديدة من الجستابو وحجرات الغازات السامة، وضروب التعالي والقسوة .

وإذا كان ثمة شيء يذكره البلجيكيون للألمان بالشكر فهو هذا التحذير : « إلى الملتقى ! نرجو أن نراكم قريباً ! » .

والحقيقة المخيفة هي أننا إذا عاملناهم كما عاملناهم في سنة ١٩١٨، وإذا عددناهم كسائر الناس. فسيصدق كلامهم كل الصدق إن هنالك شعاراً واحداً يجب ترديده وهو : إن ألمانيا يجب أن تدمَّر . ولنحذر أن نقف أمام أولادنا يوماً ما، فنقول وقد نكَّس هاماتنا الخزي والندم : « إنهم أنذرونا أنهم سوف يعودون إلينا ، وقد نفذوا وعيدهم من جراء جهلنا وضعفنا وتمسكنا بمبادئ الإنصاف » .

الحقيقة الرهائنة

روى لنرد ليونز في مقاله الذي ينشر في صحيفة نيويورك بوست أن طبيباً نفسيًّا في كاليفورنيا سئل : « أأنت نابليون ؟ » فقال : « لا » . فدلَّ جهاز كشف الكذب على أنه كاذب في ردّه . [مجلة « تايم »]

عبقرية

جلبت له الشهرة هوايته، ولكن منزلته في عالم الفن لم تزل ترتفع

صموئيل مورس

كرت ستيل • ملخصة عن مجلة "إسكواير"

حين أعلنت الولايات المتحدة الحرب على إنجلترا سنة ١٨١٢ لم يكن للكونجرس الأمريكى حيلة يعرف بها أن البرلمان البريطانى كان منذ يومين قد خطا إلى المسالمة خطوات يحتمل أن تمنع الحرب. وكان فى لندن حينئذ مصور أمريكى فى الحادية والعشرين، وقد نزل بها منذ عهد قريب، فتركت هذه المأساة فى نفسه أثراً عظيما. فكتب إلى أسرته فى بوسطن متحسراً على استحالة نقل الأنباء «فوراً» فوق المحيط الأطلسى. وقد كان نقل الأنباء بسرعة الفكر، حلم الناس منذ قرون، فلم يتح لأحد أن يخطو خطوة ناجحة فى سبيل تحقيقه، قبل هذا الشاب الأمريكى، صموئيل فنلى بريس مورس.

وقد حجبت مآثر مورس العجيبة، أن يعرفه الناس فناناً قبل كل شيء — فناناً مجيداً. وكان هو نفسه يعد التصوير عمل حياته، وكان على حق فى ذلك، فقد ظفر بشهرة عالمية فيه، وهو فى الثانية والعشرين، حين انتخبت صورة صنعها فجعلت فى الصور التسع الممتازة بين ألفى صورة معروضة فى الأكاديمية الملكية فى لندن. ثم كان أحد مؤسسى الأكاديمية القومية الأمريكية للرسم، وشغل منصب الرئيس فيها قرابة عشرين سنة. وفى سنة ١٩٣٢، حين انقضت ستون سنة على وفاته، مجّد ذكره متحف متروبوليتان للفن فى نيويورك بإقامة معرض خاص لصوره.

ولد مورس سنة ١٧٩١، وقد كان والده القس «جديدية مورس» صديقاً للرئيسين وشنطون وأدمز، وقد ألف كتاباً فى الجغرافية، ومعجماً فى الحقائق العامة. وقد طار ذكر الأسرة بهذين الكتابين، وجنى منهما المؤلف مالاً مكنه من تعليم صموئيل وأخويه الآخرين تعليما عاليا. وحين طلب مورس العلم فى جامعة ييل كتب إلى والديه يقول إنه يستمتع بدروسه «ولا سيما محاضرات مستر داى فى الكهرباء»، ثم قال إنه ينفق معظم فراغه يصور صوراً مصغرة لأصدقائه على العاج، ويقتضى منهم

خمسة ريالات عن كل صورة . وقد كانت دراسة الكهرباء خير ما يهواه ، وكان دائم البحث عن العلماء الذين يجربون التجارب بهذا « السيال » الجديد .

عارضه والداه أولا فى أن يتخذ التصوير صناعة ، ولكنهما عدلا حين ظفر صموئيل ، وهو فى التاسعة عشرة ، بثناء من جلبرت ستيوارت المشهور ، فأذنا له أن يسافر إلى إنجلترا ، ليدرس أصول الفن . وبعد عودته إلى أمريكا فى سنة ١٨١٥ ظل فترة يجنى مالا غير قليل من تصوير صور الأشخاص ، وأفضل صورة صورها هى صورة صديقه لافاييت ، وتجدها معلقة الآن فى دار المجلس البلدى فى مدينة نيويورك . ولكن الإقبال على صوره كاد ينقطع بعد سنوات حين حلت بأمريكا ضائقة اقتصادية .

فى شهر أكتوبر من سنة ١٨٣٢ كان مورس عائداً إلى وطنه بعد أن زار أوربا زيارة ثانية . وذات ليلة دار الحديث بين ركاب السفينة على الكهرباء ، فكان من بواعث التسلية بين سائر الركاب ما قاله مورس ، وكأنه يخاطب نفسه بصوت عال : « ما يمنع أن تنتقل الأنباء بالكهرباء على الفور إلى أى مكان ». وأخذته الفكرة ، كما تأخذ الحمى المريض ، خلال ما بقى من أيام الرحلة ، وإذا كل ما تعلمه فى دراسة الموضوع الذى مال إليه هواه ، يؤتى ثماره فجأة . فلما نزل إلى البر فى نيويورك كان كتاب مذكراته ، يحتوى على رسوم جهاز ودورة كهربائية ، وعلى رغم الزمن وتقدم العلم لم يطرأ تغيير أساسى على قواعدها ، وما زالت بساطتهما تثير إعجاب العلماء والمهندسين .

ولكن مورس لم يزل فناناً ، وكانت جامعة نيويورك الجديدة قد عينته منذ أشهر أستاذاً للنحت والتصوير ، فكان هذا أول منصب أستاذ للفنون الجميلة أنشئ فى أمريكا . وكان ينفق ليله فى عمل النموذج الذى صنعه لـ « تلغرافه » ، ويمضى نهاره فى غرفة رسمه مكباً على إنجاز لوحة كبيرة كان قد بدأها فى فرنسا . وفى هذه الصورة تجلى طموحه العظيم ، لأنها تمثل ردهة العرض فى متحف اللوفر ، وقد علقت على جدرانها سبع وثلاثون صورة لأئمة المصورين من مثل موريلو ، وفاندايك ، وكورجيو ، وغيرهم . وكان خلق مورس موسوماً بالسمة الأمريكية من نشاط ورغبة فى إصلاح الجماعة ، وحماسة فى الإعلان ، فقرر أن يعرض هذه الصور فى أكبر المدن الأمريكية لكى يصلح شيئاً من ذوق قومه . ولكن الإقبال كان ضعيفاً ، فلم يطل به الزمن حتى اضطر إلى أن يبيع الصورة وهو على شفا الإفلاس .

وأصيب بخيبة أخرى زعزعت إيمانه بالفن وجرحت نفسه جرحاً بالغاً. ففي الردهة المستديرة بالكابيتول ، دار الكونجرس في وشنطن ، رسمت جميع الصور على الجدران ما عدا أربعاً ، فتقدم طلباً بأن يؤذن له في رسم إحداها ، فمر أولو الأمر باسمه مرَّ الكرام ، فنالت منه خيبة الأمل وانصرف عن الفن ، ووجه نشاطه المتدفق إلى تحسين تلغرافه .

ولكنه كان حينئذ يقطن غرفة في جامعة نيويورك ، فقد كان أفقر من أن يطيق دفع أجر حجرة ، وكان يطبخ طعامه بيديه ليوفر مالاً ينفقه في تجاربه . وقد صنع بيديه كل جزء من أجزاء الجهاز : البطاريات والمغنطيسات ، وحتى السلك المعزول اللازم للدورة الكهربائية . وقد استعمل في صنع الجهاز المستقبل إطار صورة ، وأجزاء من ساعة قديمة لكي تجر شريطاً من الورق تحت رقاص ، قد ركب في طرفه رأس قلم من الرصاص . وكان رأس القلم يسجل ، وفقاً لحركة الرقاص، خطاً متموجاً ، كأنما هو مؤلف من « نقط » و « شرط » .

فلم يبق أمام مورس إلا أن يخطو خطوتين ليتم صنع التلغراف كما هو معروف اليوم ، وكانت عبقرية مورس كفؤاً للخطوتين جميعاً . ففي سنة ١٨٣٦ أصاب فكرة « تعزيز التيار » ، فاستعمل إشارة منقولة بدورة كهربائية واحدة ، لتفتح وتقفل دورة أخرى ، فيقوى هذا طاقة الرسالة دورة بعد دورة ، فتعبر القارات حول الأرض . وكانت « رموز مورس » هي خطوته الأخيرة ، وقد عاونه في إتقانها شريكه « ألفرد فيل » .

وفي ٢٤ يناير من سنة ١٨٣٨ عرض مورس في غرفة رسمه بالجامعة، عرضه الأول في إرسال الرسائل برموز مورس ، وجعل يتأهب ليعرض عمله على الكونجرس ، عسى أن يظفر بتأييد الحكومة . ولكنه كان قد ضم إليه ثلاثة شركاء ، فوجد نفسه ، وقد أخذ النجاح ينقاد إليه ، في شقاق لا ينتهي من النزاع والقضايا مع المدعين الحساد . فكتب ملتاعاً : « إن حالة المخترع ايست ، ولاريب ، مما يحسد عليه » .

وقد انقضت خمس سنوات حافلة بالخيبة قبل أن يقر الكونجرس المال اللازم لإنشاء خط تلغرافي على سبيل التجربة . فانصرف مورس إلى بحث جديد ، هو التصوير الضوئي (الفوتوغرافي) . فحين كان في باريس توثقت صلة الصداقة بينه وبين داجير ، وفي إبريل من سنة ١٨٣٩ وصف عمل داجير للجمهور الأمريكي . والغالب أن مورس صنع أول آلة تصوير في أمريكا،

وبمعاونته تمكن الأستاذ جون داريبر من أن يصنع أول صورة بالمصورة الضوئية ، على سطح غرفة رسم مورس فى جامعة نيويورك ، وكان ذلك فى ديسمبر سنة ١٨٣٩ ، فما جاءت سنة ١٨٤١ حتى كان مورس وداريبر قد خفضا مدة تعريض المصوِّرة للضوء ، من خمس دقائق إلى بضع ثوان ، وجعل مورس يلقى دروساً على المتحمسين فى أصول هذا الفن الجديد .

وأخيراً أقر الكونجرس فى سنة ١٨٤٣ صرف ثلاثين ألف ريال لإنشاء الخط التلغرافى الأول ، ولكن بعض الشارعين ظنوا مشروع القانون سخيفاً فحاولوا أن يضيفوا إليه تعديلا ، بتحويل جانب من المال إلى تأييد التنويم المغناطيسى . وعين مورس مفتشاً لتلغرافات الولايات المتحدة ، فشرع فى مد خط طوله أربعون ميلا من وشنطن إلى بلتيمور . وكان الرأى الأول أن يمد السلك تحت الأرض فى أنبوب من رصاص ، واخترع له إزرا كورنيل — مؤسس جامعة كورنيل فيما بعد — محراثاً بارعاً يستطيع أن يحفر الأرض ويلقى الأنبوب ثم يغطيه بالتراب ، فى عمل ميكانيكى واحد . فلما أنفق مورس ٢٣ ألف ريال ، تبين أن عزل الأسلاك عزلا تاماً تحت الأرض مستحيل . فاستدعى كورنيل على عجل ليجتمع به ، فقررا وقف مد الأسلاك تحت الأرض ، ولكن إذا علم الجمهور بالحقيقة قبل أن تحل المشكلة ، ذاعت بين الناس وساوس الفضيحة . ولكن براعة كورنيل جازت هذه الأزمة ، فقد عاد إلى المحراث ، وألهب بسوطه الثيران التى تجره — ثم دفعه إلى صخر فتحطم عليه . فكانت هذه « الحادثة » عذر مورس فى أن يمد الأسلاك على أعمدة .

وقد تم إنشاء الخط الأول فى مارس من سنة ١٨٤٤ ، فأرسلت به الرسالة المشهورة : « ما أعظم ما صنعته يا رب » ، إلى قيل فى بلتيمور أثناء حفلة فى حجرات المحكمة العليا . وقد استعمل هذا الجهاز الأمريكى أول ما استعمل ، لينقل إلى وشنطن حوادث مؤتمر الحزب الديمقراطى المجتمع فى بلتيمور ، فلما وقف الأعضاء وصاحوا : « تحية لجيمز ك. پولك ، وتحية للتلغراف » رسخت شهرة الجهاز الجديد فى الأمة .

كان مورس يبغى أن تتخذ الحكومة هذا الاختراع الجديد وتستعمله ، ولكن الكونجرس أبى ، فألقيت مهمة تحسين التلغراف واستغلاله إلى الهيئات الخاصة . فلما كانت سنة ١٨٤٦ كان فى وسع صحفى فى نيويورك أن يكتب مباهياً : « فى الحين الذى أنشأت فيه إنجلترا ، بمعونة حكومتها

وبعد مشقة عظيمة، خطوطاً تلغرافية طولها ١٧٥ ميلا ، استطاعت الولايات المتحدة بجهود الأفراد أن تنشىء خطوطاً طولها ١٢٦٩ ميلا » .

كان مورس قد تصور فى سنة ١٨٤٢ أو قبلها الخط التلغرافى الممتد فى مياه المحيط الأطلسى . والواقع أن الخط الأول الذى أنشأه على سبيل التجربة كان خطاً ممدوداً تحت الماء ، لأنه مده بين موقعين على جانبى خليج نيويورك . وقد مده بنفسه من زورق تجديف ، وكان يتوقع الاحتفاء بافتتاحه ، فلما طلع الفجر ذهب مورس إلى الخليج ليستوثق من أن كل شىء على ما يرام ، وإذا هو يرى فجأة صاحب سفينة صيد ، يرفع الحبل الممدود على مرساته ، ويهزه مغضباً ، ثم يقطعه ويلقى طرفيه فى الماء ، فتحولت الحفلة المعـدة إلى اجتماع ساخر . وظلّ المشروع محـل الهزء والاستنكار عدة سنوات . على أن سيروس فيلد نظم أخيراً جماعـة من رجال المال اكتتب أعضاؤها بالمال اللازم لتنفيذ المشروع الطموح ، مشروع مد خط المحيط الأطلسى ، وبعد أن خاب العمل ثلاثاً ، تم مد الخط سنة ١٨٦٦ ، وقد ظل مورس مدة ما ، مساهماً فى مشروع فيلد .

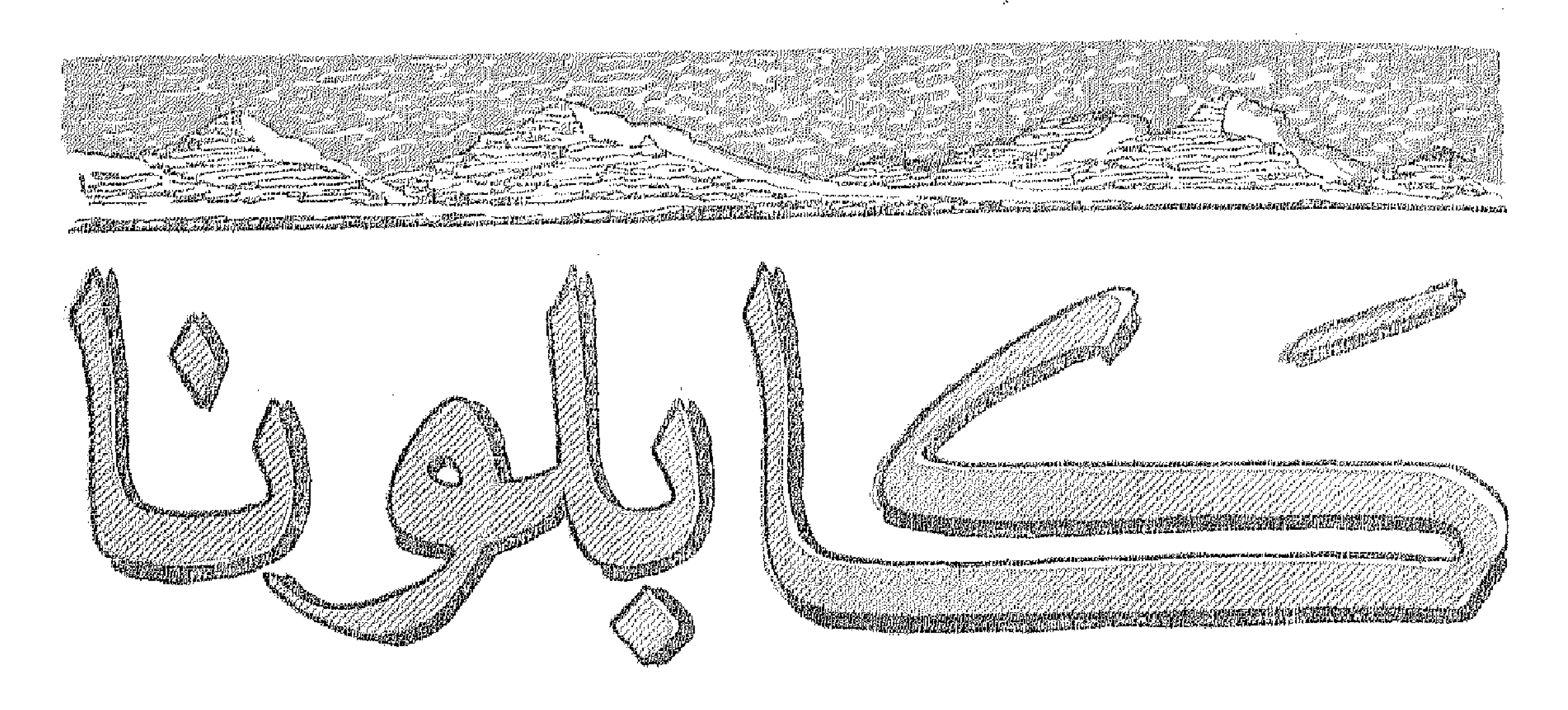
وقد دفع به نشاطه الفياض إلى ميدان السياسة ، فاشترك اشـتراكا قوياً فى كل معركة سياسـية قومية ، وكان فى الغالب فى الفريق الخـاسر . وقد قاوم الحرب الأهلية مقاومة عنيدة ، وشن ، وهو فى الثالثة والسبعين ، حملة شعواء ضد تجديد انتخاب الرئيس لنكن .

وقد مات مورس سـنة ١٨٧٢ ، قبل يوم ميلاده الحادى والثمانين ببضعة أيام ، وهو شديد الأسى على أنه لن يظفر بالتقدير لعبقريته كمصور . أما المخترعات التى دفعت أوربا وأمريكا إلى أن تغدقا عليه التكريم والثراء ، فقد حلت محلها مخترعات جديدة ، ولـكن قيمة صوره تزداد سنة بعد سنة . وهو يعد الآن بين عظماء مصورى الأشخاص فى العالم . ولو علم هـذا لـكان خليقاً أن يكون أعظم بواعث سروره ورضاه .

دعاء

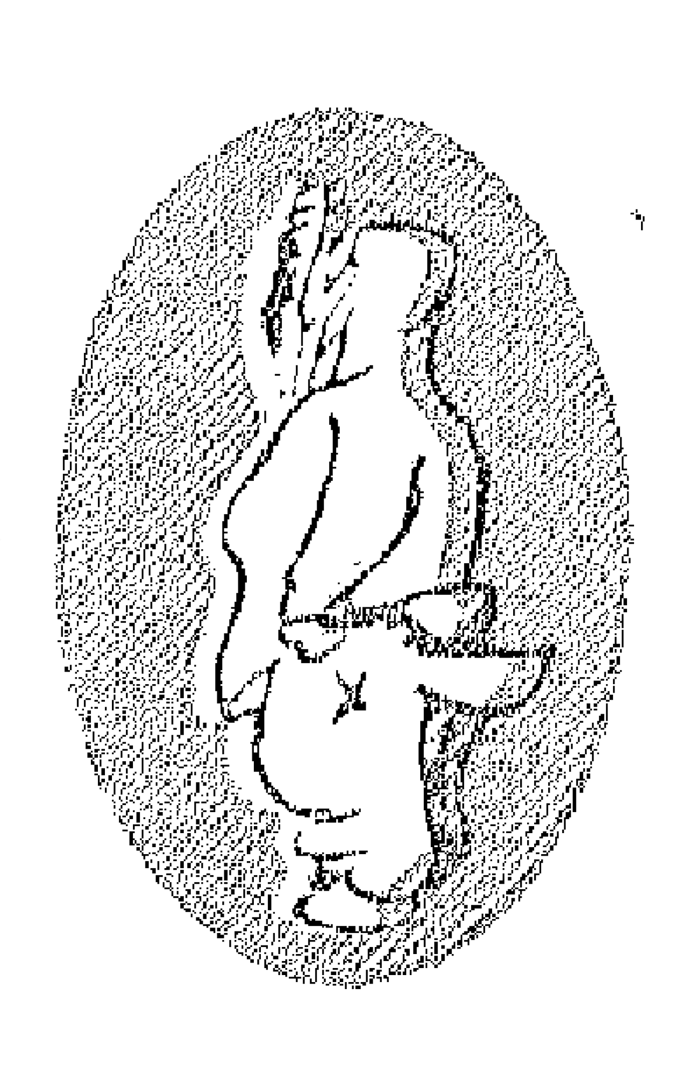
اللهمَّ ارزقنا القوة حتى نقبل بنفوس مطمئنة كلَّ ما لا يمكن تغييره ، وارزقنا الشجاعة حتى نجرؤ على تغيير كل ما يمكن تغييره ويجب أن يغـيَّر ، وارزقنا الحـكمة حتى نميِّز بينهما .

[مسندة إلى الأميرال هارت]



ملخصة عن كتاب

جونتران دى پونسان



يقول جونتران دى بونسان : « إن من أندر الأشياء فى العالم أن تقع على رجل متحضِّر مطمئن النفس » . بيد أنه حين كان فى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وعاشر الإسكيمو « غير المتحضرين » الذين لم تفسد فطرتهم ، وحين شاطرهم متاعبهم الفادحة المروعة ، ولذاتهم الفطرية ، ونشواتهم التى تكاد تكون وحشية ، وجد من سكينة النفس ما لم يجده فى أى مكان آخر .

وقد لقى كتابه « كابلونا » الذى يروى فيه تلك المغامرات المادية والنفسية ثناءً عاما من جمهور الناقدين .

كابلونا

لست أذكر ، أكانت صورة شمسية معروضة فى دكان أو ملاحظة عابرة وقعت فى سمعى ، هى التى حفزتنى إلى ما فعلت ؟ ولكن كل ما أعرفه ، قبل ذلك الربيع وأنا فى باريس ، أن كلمة «إسكيمو» كانت تدوى فى أعماق نفسى ، وجعلت تتردد كأنها رنين ناقوس . واستولت على شيئاً فشيئاً رغبة ملحة فى النزوح إلى المنطقة المتجمدة الشمالية ، وأن أعيش بين قوم لايزالون على الفطرة .

وكان أول أثر لهذه الرغبة فى نفسى هو شعورى بالقلق لا بالعزم والاستقرار ، فقد أخذت دنياى تضيق بى ، وجعلت أضيق بها ، وبدا لى أن أصدقائى لا ينطقون إلا هراء ، وأنهم يحيون حياة لاطعم لها ولا معنى . وأخيراً تأتى لحظة ، فتفيق فى جوف الليل وتظل بلا حراك ، ، وعيناك مفتوحتان فى الظلام ، وتشعر أن شيئاً يوشك أن يكون ثم يكون فعلا : لقد أجمعتَ رأيك .

ووقفت أدق الجرس بباب الآباء الكاثوليك ، وأخص أعمالهم أن ينشروا المسيحية بين شعوب الأرض البعيدة التى حرمت هداية الله ، ومن هذه الدار لم يزل يخرج القساوسة المسيحيون منذ أجيال مضت إلى أواسط إفريقية وغابات البرازيل والمنطقة المتجمدة .

وبغير تمهيد أفضيت بغرضى من الزيارة إلى القس الذى فتح لى الباب : إنى أريد أن أعيش بين الإسكيمو ، لا إسكيمو جرينلندة الذين أشرفت الحكومة على تحضيرهم ، ولا إسكيمو ألاسكا الذين ينحتون التذكارات للسائحين ، بل إسكيمو كندا الذين يسكنون تلك الأصقاع المتجمدة الوسطى ، وقدنأت بلادهم فهم لا يزالون يعيشون على الفطرة كل الفطرة . وكانت الجزر التى يعيشون فيها تابعة لأسقف له طائرته الخاصة . ولقد أملت أن يطير بى إلى تلك البقاع ، فهل أجد مُعيناً من الآباء ؟

وأشاروا علىّ بأن أكتب إلى الأسقف ، فكتبت إليه فى إبريل وعنونت كتابى إلى

«فورت سمث» . وفى آخر مايو تلقيت رده أنه يسرّه أن يطير بى، ورغب إلى أن أقابله فى ماك مرى بألبرتا الشمالية فى أوائل يوليو.

وكانت هذه الرسالة الغالية ووثائق جمعية باريس الجغرافية التى تدل على أنى من الباحثين فى عادات الأجناس البشرية ، هى كل ما حملته ، ولم يكن معى من المال إلا القليل ، ولم تكن لى خطط موضوعة . فقد وجدت من أمد بعيد — فى الهند والصين وفى بحار الجنوب — أن الحياة تمقت ما نضع من خطط ، وأن لها خططاً تفوق كل ما نتصور .

وغادرت باريس فى ١١ يونيو ١٩٣٨، وفى ٩ يوليو ، وكنت قد بلغت أقصى ما تصل إليها القطارات فى شمال كندا ، ركبت الطائرة مع الأسقف بريئات من فورت ماك مرى . وبعد خمسة أيام ، وقد طرنا ١٥٠٠ ميل ، أنزلنا طيار الأسقف فى كوبرماين على المحيط المتجمد. فقابلنا الأب ديلالاند وقادنا إلى دار بعثته . وفى اليوم التالى عاد الأسقف العجوز بعد أن قام بما استطاع من أجلى، حيث أنزلنى فى أبعد منزل من منازل المدينة .

ففى كوبرماين ينتهى عالم الرجل الأبيض، حيث يظل فى وسع المرء أن يتعامل بالنقود وإن كانت قليلة ، وحيث آخر محطة للراديو فى أقصى الشمال ، وهى محطة حكومية تذيع أحياناً بعد ظهر أيام الآحاد ، وترسل رسائل خاصة إلى رجال الدين ورجال البوليس ومديرى البريد فى خليج هدسن، وحيث يزورهم طبيب الأسنان مرة فى السنة يصحبه غلام من الإسكيمو يحمل ثاقبته التى تدار بالقدم .

على أن كوبرماين التى بلغتها بعد سفر ٧٠٠٠ ميل كانت لم تزل تبعد من الأصقاع التى يسكنها إسكيمو المنطقة المتجمدة الشمالية. وكان آخر وجهتى مقر شركة « هدسن باى » فى جوا هافن فى الجزيرة المعروفة بأرض الملك ولیم ، وتقع على مسافة ٧٠٠ ميل شمالا شرقيا ، وكان علىّ قبل بلوغها أن أقطع ٢١٠٠ ميل — وهكذا الترحال فى الأصقاع المتجمدة .

ولم أستطع الرحيل من كوبرماين إلا بعد انقضاء أسبوعين أقمت خلالهما مع الأب ديلالاند . وقد لاحظت أن البيض أمثال الأب وزائريه ينقلبون فيعيشون معيشة الإسكيمو ، ولا ينقلب الإسكيمو فيعيشون مثل معيشتهم . فقد كان كل همهم كهمّ الإسكيمو — الجمد ، وتكسر الثلج ، ومركبات الجليد ، وأمراض الكلاب . وأسعار الفراء . وكان يهمهم أمر دليل الكلاب إذا مرض ، أكثر مما يهمهم سلام

أوروبا بأسرها ، فإن دليـل الـكلاب فى البـلاد الشمالية هو كل شىء . وقد قال لى الأب ديلالاند : إنه أمضى ست سنين فى هذه الأصقاع قبل أن يتيسر له أن يقع على دليل قادر ، وهو الآن لا ينفك يتحدث عنـه وعن براعته وجرأته .

وكنا إذا تجاذبنا أطراف الحديث لا يفتأ الأب ديلالاند يميـل ببصره إلى النافذة ، ثم يخرج ولما يتم حديثه ليتبينها أهى فقمة فى الماء ؟ فإن الفقمة فى تلك الأصقاع هى الغذاء ، والغذاء أهم من الحديث . والأكل والدفء هما حياة الناس فى الشمال .

على أننى بدأت أرى أن هؤلاء القناصة والصائدين ورجال الدين من البيض فى بلاد الشمال ، إنما يأخذون بطرائق معيشة الإسكيمو إلى حد محدود ، فيسافرون على عربات الثلج ، ويصطادون السمك من منفرج الجمد ، ويتدثرون بالفراء ، وقد يلجأون أحياناً قليـلة إلى بناء أكواخ من الجمـد كما يفعل الإسكيمو ، ولكنهم لا ينفذون البتة إلى «عالم» الإسكيمو ، إلى أسلوب تفكيرهم فى الحياة . ولقد قصدت هذه البلاد لكى أنفذ إلى هـذا « العالم » الذى لم يعيروه مهم .

وكانت الملابس الصالحة للمنطقة المتجمدة لم تزل تعوزنى ، فأشار على الأب ديلالاند أن أشترى ما أحتاج إليـه من جلود فى كوبرماين . وأنفذ فى طلب كريلامك وهى خير خياطة فى القرية ، وذكر لها حاجتى .

وسارت إلى جانبى عجوز الإسكيمو وهى تطلع تدخن سيجارة فى أثر سيجارة ، حتى انتهينا إلى الدكان . وليس ثمة مشهد يستولى على الإنسان كمشهد صانع يزاول صناعته ، وكان مشهد كريلامك وهى منهمكة فى اختيار الجلود يبعث على الثقة ، فقد نبذت نصف الجلود بنظرة واحدة، وفحصت المخزون جلداً جلداً وهى تعرك الجلد وتزنه بين أصابعها . وبعـد ساعتين فرزت كومة من الجلود عددها ١٧ جلداً كاملا وثلاثة بيضاً من جلد البطون و ٣٠ من جلد القوائم ، وكلها من جلد الوعول، ثم جلد فقمة كبيرة للأحذية وجلد أيـل كبير وجلد ذئب لزركشة الملابس.

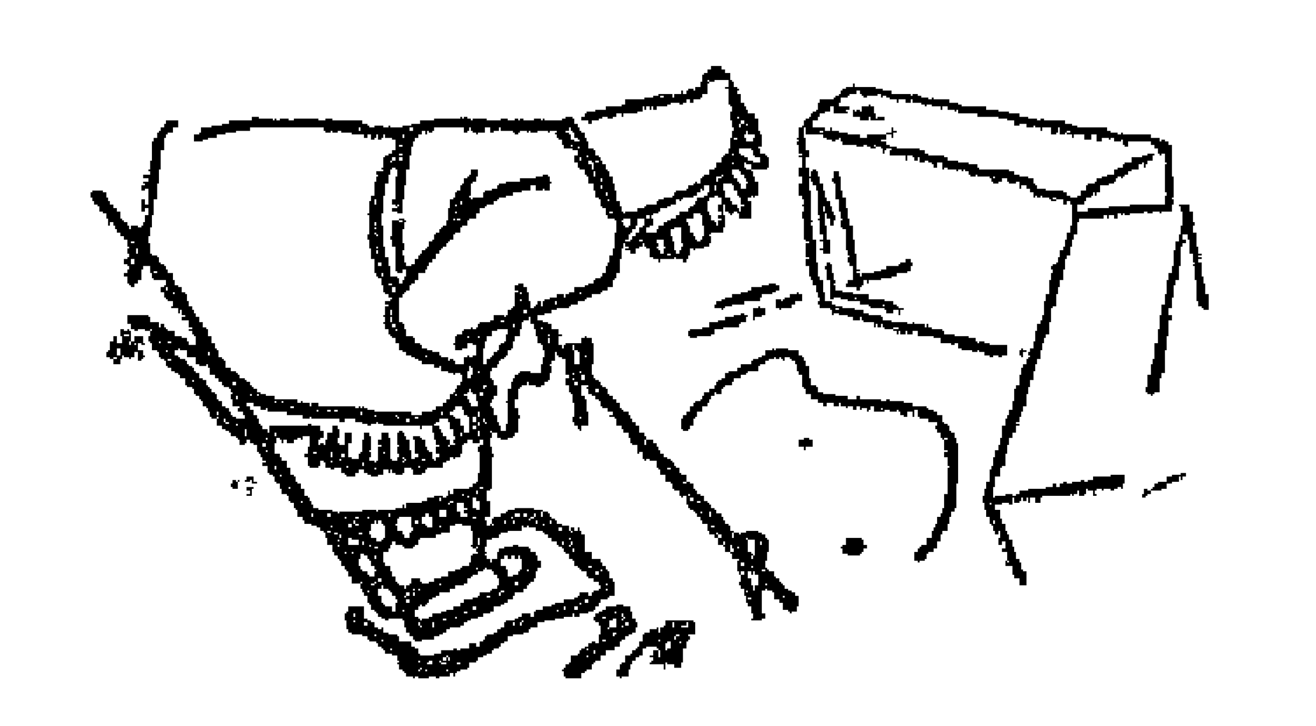


واشـترينا كذلك لفافة من عضل الوعول جعلت كريلامك تستخرج الأعصاب منها واحداً واحداً وتفتلها بأسنانها ، فتصنع منها خيطاً غاية فى المتانة .

وحملت كل هذا إلى خيمتها وبدأت تخيطها دون أن تنبس بكلمة عن المقاييس ، ومع ذلك

فقــد جاءت الملابس على قدّى تماماً .

وعلمت بعــــد إقامتى ١٢ يوما فى كوبرماين ، أن



فى وسعى أن أبلغ نهر برى على مسافة ٢٥٠ ميــلا من أرض كنج وليم بالسفينة أودرى ب ، ولكن خط سيرها كان يتعرج غرباً إلى مصب نهر ما كنزى قبل أن تبحر شرقاً إلى نهر برى — وهى رحلة طولها ١٩٠٠ ميل لبلوغ مكان لا يبعد إلا ٥٠٠ ميل ! وأخــيراً أرسينا فى نهر برى بإزاء مقر شركة « هدسن باى » . وفى اليوم التالى أقلعت السفينة ، وانفصمت بذلك آخر حلقة تربطنى بسائر العالم .

وبعــد أسبوع صحبنى إسكيمىّ على شىء من الحضارة ، اسمه أنجولا لك ، فى زورق بخارى قطع بنا ٢٥٠ ميلا تفصلنا عن أرض كنج وليم . وفى ٩ سبتمبر دخل الزورق خليج جواهافن الهادىء الفخم . ولاح لى من ورائه سهل فسيح لا لون له ، سهل صخرى لا نبض فيه ولا حياة ، ولا ينفسح أمام الناظر إليــه من الآمال سوى أمل الوحدة والعزلة .

وفى جواهافن نزلت ضيفاً على بادى جبسون ، الرجل الأبيض الوحيد فى مقر الشركة ، وكان مساعده الذى يشاطره كوخه الأدكن الصغير قد ارتحل بالزورق الذى جئت فيه .

ووقفت أنا وبادى على حافة المــاء ، وقد انساب الزورق فى الخليج ، وعجبت لبادى كيف لم ينبس بكلمة أو بيد إشارة وداع ، لا : إن الاشارات تصلح للناس على أرصفة السكك الحــديدية يلوحون بها لمسافرين لا يرتابون فى أوبتهم يوما ما ، ولــكنها هنا نافلة لا ضرورة لها .

وما إن عدنا إلى مقر الشركة حتى أكبّ بادى على البريد الجديد القادم ، ولم يكن لهُ ما يفعله غــير ذلك خلال يومين ، فــكان يبدأ كتاباً ويقرأ منه صفحة أو صفحتين ثم يلقى به جانباً ويفضّ غلافَ آخر . إن فى قلبه لشوقاً شديداً أن يتصل بالناس ، شوق لا تشوبه رغبة فى معرفة الأخبــار . ممن هذا الــكتاب ؟ وذلك أيضاً ؟

وفجأة التقط جبسون غلافاً وندّت عنه زفرة ، وجعــل يقرأ ذلك الــكتاب بإنعام إلى آخره . فقــد كان من أبيه ، ولــكن أباه كان قد مات فى إرلندة منذ ستة شهور وسمع نبأ وفاته فى الراديو . وظــل بادى ساكناً بلا حراك . فحوّلت نظرى عنــه ،

وجال برأسي أن هنا ركناً من العالم لا يزال الحيّ يتلقى فيه من الميت رسائله . وألحّ عليّ هذا الخاطر ، وفي المساء حين أوى كل منا إلى مضجعه تخيلت جبسون وهو في فراشه، على الجانب الآخر من الحاجز ، يفتح ذلك الكتاب ثانية ويقرأ :

« ولدي العزيز . . . »

غداة وصولي وقفت في نافذة وحدقت في باز يطير مع الريح ثم ينقلب عائداً مع العاصفة التي تجتاح تلك المفازة الفسيحة من الجليد . وكان يصيد طير الثلج ، وهو قوام معاشه .

كل شيء في هذا المكان حلقة في سلسلة الفناء ، فالإنسان يجيء هنا ليصيد الثعلب الأبيض ، والثعلب الأبيض خلق هنا ليصيد جُرَذ الجليد ، وجرذ الجليد في إثر فريسة أصغر منه . والحال في الداخل على هذا المنوال أيضاً : فالذئب يقتفي أثر الوَعِل ، ومن ورائه الثعلب يأكل ما خلفه الذئب ، وفي أثره الذُّؤَيب ليأتي على ما نبذه الثعلب. وعلى أطراف الجليد يصيد الدب القطبي الفقمة ، ويسير الثعلب الماكر في أثر الدب، لأن الدب — ساكن الثلج النهم الذوّاقة — لا يأكل من الفقمة إلا شحمها ويترك ما عداه . ويأتي الإنسان من خلف الثعلب الماكر ينصب له الفخاخ .

لقد تقلصت دنياي هنا تقلصاً شديداً . ففي هذا الفصل لا تستطيع العين أن ترى أبعد من ثلاثة أرباع الميل ، وحيثما ألقيت بصري تبينت لي حدود كل شيء ونهايته. وهي حال أشبه بحال السجين في المعتقل على ما خيل إليّ ، فقد كان المكان كئيباً ممحلا مخوفاً لا حياة فيه .

كانت جميع هذه الخواطر — ذلك الباز الحائم، وسلسلة الموت، والإحساس بالعزلة — كل أولئك، كما عرفت الآن ، كانت هي بَرَم الغريب عن تلك الأصقاع ، وليس في المنطقة المتجمدة من يدعها تفسد عليه حياته . ولقد خبرت ذلك في نفسي ، فما هو إلا أن زالت ، وسرعان ما انقلب كل كئيب غريب أليفاً مألوناً ، فيصبح الجمد ملاذي ، والعاصفة الثلجية عدوًّا يجب أن أتعلم كيف أغالبه ، ويصبح خاطر الموت نفسه مألوفاً .

بيد أنني لم أبلغ بعد هذه المنزلة ، فالشتاء لم يحل بعد ، وكنا في الخريف : ذلك الفصل المخوف ، فصل الزوابع والأمطار ورعدة الأبدان ، (وهو الفصل الوحيد الذي يرتجف فيه الناس برداً في الشمال) حيث يتبع الإسكيميّ في خيمته يبتهل إلى الله أن يعجل مجيء الشتاء كما نتوق نحن إلى مجيء الربيع ، والثلج عند الإسكيمو هو هبة الله الموموقة ، والعنصر السحري الذي يتيح له

السفر والترحال ، والترس الذى يقيه غائلة الريح، حين يقضى الساعات الطوال فى البحر المتجمد مترقباً ظهور الفقمة،وهو بعد، تلك المادة الجميلة التى يصوغها قطعاً لبناء بيته ، ويخفى الإسكيمى تحت أكوام من الحجر مركبة الثلج وحرابه وسروج كلابه وجميع أمتعتـه شهور الشـتاء الرائعة المهيبـة .

والإسكيمىّ يظل ، حتى يتساقط الثلج فى أكتوبر ، مخلوقاً شقيًّا ، وأفاقاً فى أسمال بالية،فإذا جاء الشتاء هجر تلك الخيمة الرثة، وأقام كوخ الجمد الأبيض ، وخاط الجـلود والفراء ملابس جميلة ، وينقلب ذلك الأفاق الرث السقيم صائداً ، ويصبح ذلك الفقـير المسكين الذى كان يلوذ بجدار مقر الشركة « رجلا تام الرجولة » .

وفى أوائل أكتوبر شـاهدت البحر يجمد لأول مرة ، رأيت المياه الدافقة تجمد وتتحجر أمواجاً وتتجمـــد فى الجحور والأخاديد .

وكان ما شهدته — وقد نشأت فى بقعة فلما نزلت فيها درجـة الحرارة إلى ٥ تحت الصفر — مشهداً سحرياً عجباً . ولم يكن تجمد البحر فى نظر الإسكيمى بأقل شأناً منه فى نظرى ، لأن البحر فى تلك الأصقاع هو الطريق الملوكى فى الشتاء . وهو مرتع الصيد الذى يمنح قوتاً وفيراً يدّخر للأشهر العجاف المقبلة ، وهو موطنه و « أرضه » حيث يؤثر أن يبنى عليه كوخ الجمد ، فإن الجمد على الماء أدفأ من الأرض الدائمة الجمد .

ولا ينقلب البحر جمداً فى ليلة واحدة ، فقد شاهدت يوماً إثر يوم تلك المرآة المحببة من سطح الجمد تتشقق وتتكسر وتنساب فيها المياه طليقة غير ممنوعة ، ثم يبدأ كفاح الجمد من جديد . ويستكره البحر شـيئاً فشيئاً على الإذعان والتسليم ، وتتبلور مياهه المتاخمة للساحل الذى جمـد . ويجىء يوم فلا يبقى من تلك المياه غير بركة وسط الخليج خضراء دكناء حتى تكاد تخالها سـوداء وفى اليوم التالى تختفى هذه أيضاً ، ويسير الإسكيمو من الساحل إلى وسـط الخليج يتحسسون الجمد بأقدامهم فى براعة وحذر إيذاناً بحلول أعظم الفصول .

وكان جبسون فى خلال ذلك يعد العدة للشتاء ، كان عليه بادئ ذى بدء أن ينقل الفحم من كومة بجوار السـاحل ويخزنه ، ثم كان عليه أن يستر الباقى بعناية ويقيه البرد ، فإن ثمن الطن من الفحم عندالتسليم يبلغ ١٧٠ ريالا ، وإذا جمد لا يحـترق . وكذلك تجب العنـاية بكل شىء يمكن أن يضرّ به البرد الشـديد ، فالبطـاريات الكهربائيـة مثلا تفقد نصف قوتها إذا جمدت ، والأوانى الزجاجية التى تحفظ فيها

الطماطم والمخللات قد تنفجر ، والبطاطس التي تجمد لساعتها يمكن أن يذاب جمدها وتبقى صالحة للأكل ، ولكنها إذا جمدت على مهل فسدت وعطبت .

ولم يمض طويل وقت حتى خرجت أول مركبة من مركبات الثلج في أول رحلة في الشتاء ، وتجمع الناس يرقبون رحيلها ، ولم يكن ذلك لأن الثلج كان قد تكاثر يومئذ ، بل لم يزل رقعاً متناثرة . وكان السفر يحتاج إلى التعرج الطويل من كثيب إلى كثيب ، فيسيرون ٦٠ ميلا ليصلوا إلى نقطة تبعد ٣٥ ميلا . بيد أن الإسكيمو لا حاجة بهم إلى أن يقيموا للوقت وزناً ، وبذل الجهد عندهم هو قوام الحياة . ولقد دبرت أمر رحلتي بأن يصحبني يوتاك الإسكيمي ، نظير ثعلب أبيض ، إلى مخيم قريب للاسكيمو . وكان علىَّ أن أدبر طعامي والهدايا الصغيرة المعتادة لأهل المخيم . ولما تهيأنا للمسير كان الثلج قد تراكم حول مقر الشركة كثباناً يبلغ ارتفاعها عشر أقدام .

وساعدني بادي في حزم أمتعتي ومؤونتي وقال لي : « ألا أنبئك بما تفعل : جهز لنفسك حساء ثخيناً من اللحم المملح والأرز والفاصوليا ، وانشره على لوح من الخشب في صحن الدار فيجمد لوقته . ثم خذ مطرقة واكسره قطعاً واتركه معرضاً حيث يبقى على حاله متجمداً ، وفي الطريق سخن إحدى هذه « الحجارة » . فهذا هو غذاؤك ! » .

ولقد تزودت بهذه المؤونة الضئيلة ، وببضع كلمات دارجة من لغة الإسكيمو لكي أخوض غمار عالمهم.

وتختلف مركبة الثلج في طولها من ١٢ قدماً إلى ١٨ ، ويبلغ ارتفاعها عن الأرض من ست بوصات إلى ثمان ، أما عوارض الانزلاق فهي من الصلب ، بيد أن الصلب وحده لا يصلح ، فإن الثلج يعلق به ويعوق سيرها السهل الحثيث . ومن أجل ذلك يعمد الإسكيمو إلى الطين الذي يستخرجونه من قعور البحيرات في الصيف ويغلونه ، ويدهنون به تلك العوارض وهو لا يزال يغلي ، فيجمد عليها ، ثم يصقلونه بمبرد من حديد ، وبعد ذلك يرشون قطعاً مربعة من جلد الدب ببعض الماء ويمسحونه بها مسرعين — ويصير هذا طلاءً مستوياً من الجمد ، فإن الماء يجمد لساعته ، وبهذا تستطيع أن تجعل مركبة الثلج تنزلق على الجليد بلمسة من بنصرك .

فإذا انتهى تجميد عوارض المركبة ، حملت

بالمؤن وربطت إليها الكلاب ، وهى شديدة الحرص على مواضعها من العنان ، فإذا بُدّلت مواضعها فإما أن يقوم بينها صراع عنيف ، وإما أن تأبى أن تتحرك .

ولما تهيأ كل شىء ، على ما بدا لى ، اكتشف يوتاك فجاءة أن سكين الثلج لم تزل فى الكوخ ، فعاد إليه وأحضر تلك الأداة التى لا يستغنى عنها ، والتى تستخدم فى الأكل ، وبناء أكواخ الجمد ، وفى مهاجمة الدب القطبى . ثم وجدنا أننا نسينا حربة صيد الفقمة فجعلناها بين أمتعتنا ، وألقى يوتاك نظرة فاحصة على المركبة وأبدى ارتياحه . ولكن مهلاً ، أين إبريق الشاى ؟ كيف نسيناه !

واستغرق تحميل المركبة ساعة ، وقفت خلالها برماً بطول الاستعداد ، وإذا بالمركبة تسير فجاءة وألفيت نفسى أجرى خلفها أتعثر فى الثلج ، أجهد أن ألحق يوتاك وهو يجرى إلى جانب المركبة يلهب الكلاب بسوطه . ولما تقطعت أنفاسى كفّ الكلابَ وابتسم حين لحقته وأنا ألهث ، وقد سره أن يرى الرجل الأبيض فى حال مضحكة . وكنا على مسافة ٢٠٠ ياردة فقط من مقر الشركة ، ولكن خيل إلىّ مع ذلك أننى قد انتقلت إلى عالم آخر .

ولم يقع شىء فى الطريق ، نعم ! ومع ذلك فقد كنا لا نكف عن العمل ، فهذا حزام قد استرخى ، عليك أن تشده وإلا انزلقت نصف أمتعتك . ارقب ذلك الكلب ! إنه يوشك أن يقعى ، فإذا فعل فألهبه بالسوط . اتق ذلك الحجر ! فلو اصطدم بعوارض الانزلاق لتكسر طلاء الجمد . إن سوق مركبة الثلج كتسيير الزورق ، فإنه لا شىء يحدث فى البحر والجو صافٍ ، ولكن البحّار لا ينقطع عن العمل .

ولقد بذلت ما وسعنى حتى أكون جزءاً لا يتجزأ من هذه المركبة وتلك البيئة . وكان أعجب العجب عدم اللون ، فقد وجدت أن الثلج ليس بأبيض ، فما أرى إلا عالماً أشهب لا معالم له ولا حدود . ولم أر قط أفقاً يفصل بين الأرض والسماء : فإنهما كانا من أديم واحد . لم يكن ثمة ما تتبين به الأبعاد أو المرئيات ، فلم تكن العين تقع إلا على آلاف من زغب الثلج الأدخن ينساب على الأرض تسوقه الريح .

وإذا نحن نضل الطريق فى هذا القطن الأشهب المندوف . كان الرذاذ المتطاير ملء الهواء ، وكنا نرى الكلاب ونحن فى المركبة كأنها أشباح ، فأطبقت عينى وشددت على أجفانى — كأنى أريد أن يلتحما ، فقد كانت الريح تقطع وجهى إربا إربا . وجعلت

وجنتاى وذقنى تلهب كأن حديداً محمًّى قد مسَّها ، وأحسست بلحمى يجمد فجأة .

واهتزت نفسى وكنت أزمع الاستسلام، إن الطبيعة هنا أقوى من أن تقاوم . والتفت بوتاك نحوى وحسبت أنه على وشك أن يحدثنى بما يدور بخلدى — أن يعترف بأننا هلكنا . كلا ! بل كل ما قاله : « وددت لو أعطيتنى غليونك » ونفث نفثتين وأعاده إلىّ، ولم يزد على أن قال باسماً : « جميل جدا » .

كان ينبغى أن أعرف أن هذا لا يزعجه ، فهو إسكيمى . وإذا « ضل » الإسكيمى فإنه يبنى كوخاً من الجمد — كوخاً من هذه الآلاف — ويسلم نفسه إلى سنة من النوم الهادىء حتى تمر العاصفة .

وتقدمنا بوتاك فى الطريق فاختفى ، ثم ظهر فجأة وهو يصــوب بصره محدقاً إلى الأرض، وجعل يسير من اليمين إلى اليسار بسرعة فائقة . كان يبحث عن أثر مركبات الثلج فى الزوبعــة . تصور آثاراً عرضها بوصتان تفرق بينها ١٨ بوصة ، غائرة فى ضريب أبيض مترامى الأطراف ! ولـكن العجب أن بوتاك يتحسس الثلج الجـديد بقدمه فوجد الآثار، وما لبث أن عاد يسير وهو يتطلع باحثاً عن المعالم التى يعرفها كما يعرف الزراع فى بلادنا « الغصن المكسور » أو « شجرة البلوط التى حرقتها الصاعقة » .

فما أرخى الليـل سدوله حتى شق تلك الغياهب بصيص ثلاثة أنوار خافتة . تلك هى أكواخ الجمـد ! حيث يرى من خلال جـدرانها الشفافة الثلجية بصيص مصابيح الزيت التى تنم على وجود الإنسان . ولقد زحفت على أربع ، فى نفق ملتو متعرج ، لأدخل أحد هذه الأكواخ .

ولـكن أهـذا هو كوخ الجمد ؟ ذلك الـكهف المعتم الذى يتصبب بللا من فعل حرارة مصباح الزيت وأجسام البشر ! وفى ضوء ذلك المصباح الخافت رأيت أشباحاً ، رجالا ونساء ، يتحركون . وكانت الرائحة تفوق التصور ، فلقـد حسبت نفسى فى وِجار دبّ أومغارة أحدسكان الـكهوف .

وكنت حديث عهد بهذا العالم ، فلن ترى عيناى فى الـكوخ إلا قذارة : أكواماً من اللحم المتجمد مكدسة على الأرض ، وبقعاً من دم الفقمة ، ورءوس السمك المقضومة متناثرة فى كل مكان . وكان مما يزيد الهول أن أحـد هؤلاء الإسكيمو كان يلقى بنفسه بين الفينة والفينة فى النفق المؤدى إلى الـكوخ ليطرد الـكلاب ، ويتردد فى أرجاء المـكان عواء كأنه صوت قتيل فى حجرة تحت الأرض .

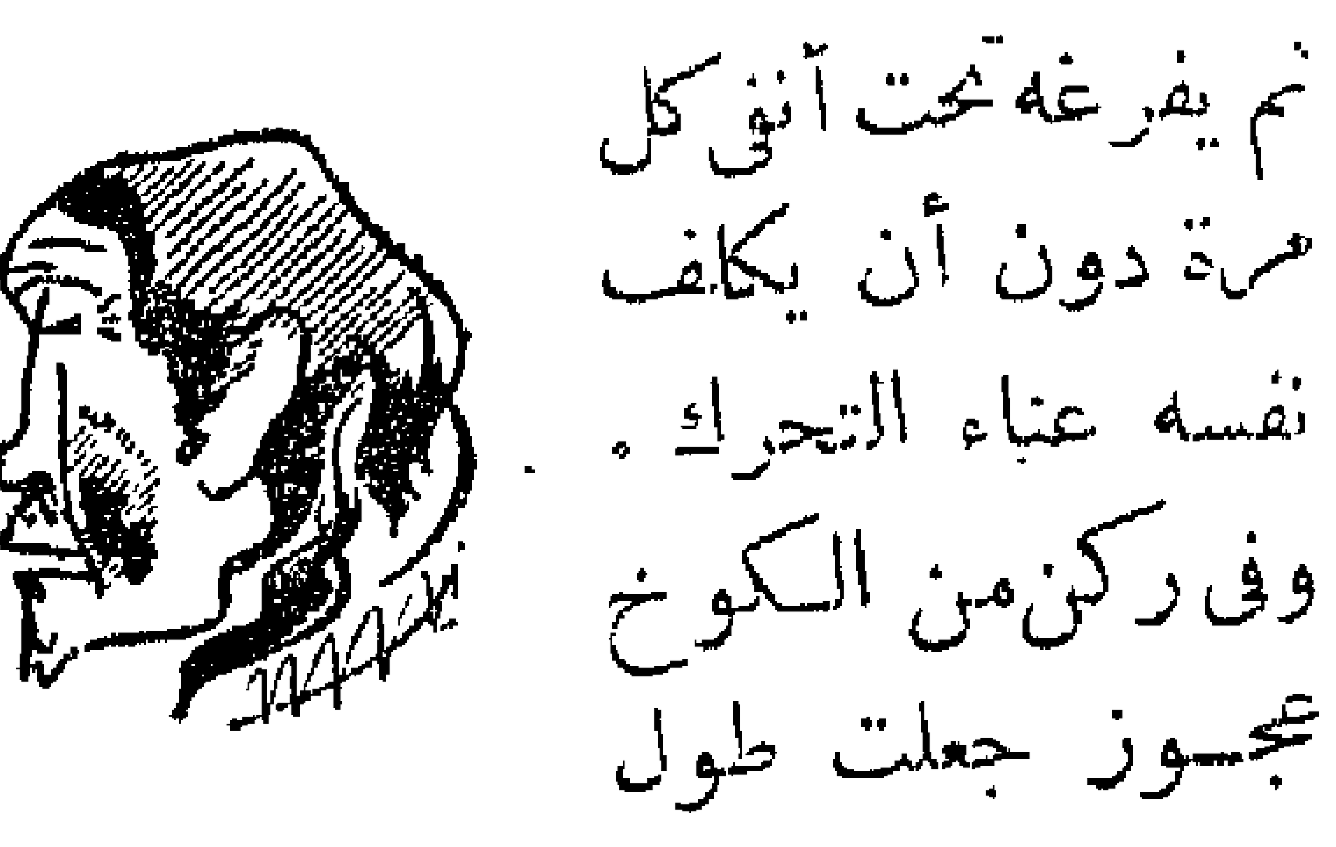
ولم يزل من العسير علىّ حتى اليوم أن أفسر كيف استطعت فى خلال شهر أن أعتاد

هذه الحيـاة حتى أرى وصفاً كهذا شيئاً سخيفاً ، وأنه سرد للتوافه ، وإغفال لكل ما هو عظيم فى حياة الإسكيمو .

وكنت لحسن الحظ لا أستطيع التفكير لما لحق بى من كلال ، كانت التوافه تؤذى عينى ولكنها لم تكن لتبلغ فكرى . وكانوا قد حملوا صندوقى إلى الكوخ ولكننى من الإعياء لم أستطع أن أعثر على طعام يصلح للرجل الأبيض . ماذا آكل ؟ ذلك السمك الكرية المجمد المغطى بالثلج الذى أسمع جرشه بين أسنانهم وهم يمضغونه ؟ .

وحملق أهل الدار فىّ حين رأوا أن « الكابلونا » — أو الرجل الأبيض فى لغة الإسكيمو — لن يقدم إليهم شيئاً من الهدايا الطيبة . لم ينبسوا ، ولكن سخطهم كان بادياً لا تخطئه العين . وهكذا انسللت مكتئباً حزيناً إلى كيس نومى لم أذق طعاماً .

ونمنا ستة فى صف فى كوخ بنى لثلاثة . ولم أخلع ملابسى ولكن الإسكيمو ناموا عراة فى أكياس نومهم . كنت كمن نام فى قفص مع وحوش ، وكان يؤذينى طول الليل تساقط الماء على وجهى من السقف . ولم يكن فى وسعى أن أتجنبه . فقد كنا محشورين حشراً فى ذلك الكوخ . وكان جارى ، وهو أخو يوتاك ، لا يكف طول الليل عن تقريب إناء من صفيح يستعمل كمبولة ، ثم يفرغه تحت أنفى كل مرة دون أن يكلف نفسه عناء التحرك .



وفى ركن من الكوخ عجوز جعلت طول الليل تبصق . بهذا الشعور القاتم الكئيب استسلمت أخيراً للنعاس .

وفى اليوم التالى بنى لى يوتاك كوخاً متصلا بكوخه . وكوخ الجمد غاية فى الحسن حين يكون جديداً ، وتكون أريكة الثلج المسطحة قد صقلت فهى ناصعة البياض نقية صافية حتى ليخشى الإنسان أن يتحرك مخافة أن يفسدها . فما كاد كوخى يصبح مريحاً كالبيوت ، حتى أغار عليه الإسكيمو كالفاتحين واقتعدوا أريكتى الثلجية يتجشأون ويتضاحكون ويأكلون السمك ويلفظون الشوك ، ويلوثون ويدنسون كل شىء .

ورأيتنى عاجزاً ، وفى حالة لا رجاء فيها . وزاد الطين بلة أن يدى جمدتا بعد ذلك بيومين ، فلقد خرجت لصيد السمك مع يوتاك ، وعلى مسافة نصف ميل من الساحل حفر يوتاك حفرة من الثلج وبنى حاجزاً من ثلاث قطع من الثلج يقينا الريح ، ثم جثا على قطعة من جلد الأيل ، وأدلى فى الماء بطعم كذب يجتذب الأسماك . فلما هرعت إلى الطعم رماها بحربة ذات ثلاث شعب .

وما كان أعجب صبره وتشوّفه وهو يرقب تلك الحفرة . كانت أصغر سمكة تمر تستثير بضع كلمات خافتة منه وتحمله على الاضطراب . كان منهمكا انهماك العـالم فى . . . . فيم ؟ فى فن ملء بطنه .

ولولا تباريح البرد لكنت أسعد ما أكون وأنا أرقبه ، ولكن أصابعى كانت تحترق وهى فى قفازىّ ، وأصبح الألم لا يحتمل بعد أن قضينا بضع ساعات . وأخيراً وقفنا وخلعت قفازى ، فألفيت أصابعى قد صارت كالشمع . وظلت ثلاثة أيام ولا نفع لى منها ، وهى كالخشب صلابة ، وبلغ منى الألم فلم أكن أطيق أن ألف سجارة ، وظللت رهين الكوخ أياماً .

وجعلت من أريكة الثلج أرقب حياة النساء من الثغرة التى بين كوخينا . كانت أونارناك ، زوج يوتاك ، تشتغل بصيدة القمل ، وهى عظمة طويلة من عظام الأيّل ملصق فى طرفها خصلة من شعر الدب القطبى . ويظهر أن هذا الشعر يجتذب القمل اجتذاباً شديداً . وكانت متعة حقا — ولو أنها متعة من نوع خاص — أن ترى أونارناك تستخرج القمل من الشعر وتقضمه بأسنانها .

وكانت نياكو جنالوك أم يوتاك ، وهى عجوز شمطاء تجلس طيلة اليوم تحتّ الجلود ، وهى مهمة لا تنقطع عند الإسكيمىّ ، فإن الثلج والماء لا يزالان يبللان ملابسه والجلود التى يرقد عليها ، ويقسّيها .

كانت مكبة على الجلود وقد ثنت قدميها تحتها تعمل بيديها المشوهتين ، وهى لا تنفك تحتّ وتتمتم بلا انقطاع . فإذا فرغت من جلد ألقته بملل جانباً ، وترنحت إلى كومة الجلود وأخذت جلداً آخر .

وكان لها محتّتان أو ثلاث مختلفة تعمل بها ، ولكن التطرية الحقيقية كانت تقوم بها بأسنانها ، وكان الجلد الذى تفرغ منه نياكوجنالوك يرتدّ أبيض رَخْصاً كالقفاز .

فلما وثقت أن أصابعى لن تسقط من البرد ، عزمت على أن أطلب إلى يوتاك أن يصحبنى إلى صيد الفقمة مع الآخرين بدلا من أن نعود إلى مقر الشركة . وكان ثمة سببٌ خطير يقتضيه الخروج إلى صيد الفقمة ، فإنه مع خروجه كل يوم لاصطياد السمك ، كان السمك صغير الحجم لا يكفينا جميعاً .

والإسكيمو ، قبل كل شىء ، رحّال وصائد بحرى تسوقه الحاجة إلى إطعام أسرته فى دائرة غير منتظمة . فإنه إذا انتهى موسم صيد السلمون فى النهر ، قصد البحيرات لصيد السمك خلال الثلج وقنص الثعلب الأبيض . فإذا تقدم به الشتاء وتراكم الثلج كثيفاً حتى يتعذر صيد السمك من خلاله ،

ضطر إلى الرحيل ، فإن أسرته وكلابه تستهلك نحو ٥٠ رطلا من الطعام فى اليوم ، وهو متوسط تصعب المحافظة عليه . والمرحلة التالية فى دائرة حياته هو صيد الفقمة وصيد الدب القطبى على البحر المتجمد . فإذا حل الربيع جاءت الأيايل فى طريقها نحو الشمال ويبدأ موسم السياحة العظيم . وفى الخريف يعود سمك النهر إلى الظهور .

ولست أعرف فى العالم مكاناً آخر تفرض فيه الفصول ، على هذا النحو من الدقة ، ما ينبغى أن يفعله الإنسان لكى يعيش . على أن الإسكيمو لا يعدّون بلادهم بلاداً تقسو فيها الحياة ، فإنها بلادهم وملكهم الذى لا ينازعهم فيه منازع ، إن جميع الأيايل التى تسرح فى تلك السهول هى ملك أيديهم ، كذلك جميع السمك فى البحيرات ، وجميع الفقمات فى البحر ، لا ينازعهم فى رزقهم أحد ، ولا يقتحم بيوتهم ناهب يبغى سرقة متاعهم اليسير أو يستعبد عيالهم ، ولا تغير عليهم الجيوش لتحرمهم سلطانهم على الثلوج . والسرقة غير معروفة فى تلك الأصقاع ، فإن فى وسعهم أن يختزنوا فى أكواخ الجمد ما لا يحتاجون إليه فى صيد الفقمة ، ويغرسون أدوات صيدهم معتدلة مستقيمة على بيوتهم الثلجية لتكون معلماً ، وينطلقون فى الطريق دون أن يلتفتوا إليها التفاتة واحدة ليستيقنوا أنْ لا خوف عليها .

ولقد خطر لى وأنا أنظر إليهم وهم يحملون مركباتهم فأرى كيف يجد أحدهم العون من سائرهم ، وكيف يتعاونون جميعاً على العمل دون أى أثر للأنانية ، وكيف يجرون من مركبة إلى مركبة ، وكيف يتبسمون ويتضاحكون وهم يتحدثون ويشربون آخر قدح من الشاى قبل أن يؤذن بالمسير وتصفر السياط فى الهواء ، لقد خطر لى أن هذه هى حقا حياة الجماعة ، فكانت أول مرة بدأت أرى فى الإسكيمو شيئاً جميلا أخاذاً ، وأرى فى حياته شيئاً يصح أن يحسده عليه الإنسان المتحضر .

كان الرحيل نفسه مشهداً عجيباً — مركبات محملة أحمالا عالية ، وكلاب تنبح وتكاد تختنق إذ تشد إلى الأحمال الثقيلة ، وزوجات يصحن ويشرن بأيديهن فى مقدمة الركب ، وعجائز ربطن إلى أعالى الأحمال يتأوهن كلما اهتزت المركبة وارتجت عظامهن البالية .

كان أول منزل لنا على مقربة من مخيم للسمك حيث لكل رجل مخبأ مطمور ، فأزيلت عنه الصخور وظهر المخبأ . واقتطعوا بفأس قطعة كبيرة من لحم السمك المجمد ، وكان ثمة مئات من الأعمال : أنزل هذه

العجوز فإن عضلاتها تؤلمها ، وأرضع ذلك الطفل ، وحلّ مقاود الكلاب التي اشتبك بعضها ببعض ، وأعدّ الشاي ، وكان الرجال يقفون بعد شربه جانباً يدخنون غلايينهم ويتحدثون عن أمورهم . وقلّ أن يحار الإسكيمي في اختلاق عذر للتلكؤ في الطريق ، فإن الحياة القاسية التي يحياها تجعل وقت فراغه ثميناً ، وليس ثمة في عالمنا المتحضر مثل هذه المتعة يقتنصها الإنسان في ساعة من ساعات الفراغ ، اللهم إلا بين الزراع والعمال .

ويعمل الإسكيمو دائماً بوحي خاطرهم ، فالوقوف في مهبّ عاصفة ليس شيئاً إذا صح عزمهم فجأة على تناول قدح من الشاي . وقد يؤدي هذا التأخير إلى قضاء ليلة أخرى في الطريق — ولكن هذا لا يهم ، وتقف المركبة ، ويوضع صندوق فارغ على أحد جوانبه ، ويوقد موقد البريموس في داخله ويغلى عليه الشاي . وقد تكون الريح شديدة تقطعك إرباً إرْباً ، ولكن ماذا يهم؟ إنها لم تمنع أونارناك وحماتها من الاستمتاع بحديث هادئ ، ولم تمنع يوتاك من التسلي بتدوير ابنه على مركبة ثلج صغيرة والطفل يصرخ فرحاً . وقد ترى خنازير البحر في البحر الهائج تلعب وتمرح ، وتعجب أنت كيف بها لا تبالي . فالإسكيمو مثل هذه الخنازير .

• وفي اليوم الرابع وقعنا على مخيم صيد الفقمة ، وهو مخيم صغير من أربعة أكواخ أو خمسة ، ولم يبق لدى طعام كثير ، ولم يكد كوخي يتم حتى اجتاحه أهل المخيم وطاحت نصف مؤونتي في ساعتين ، وأشرف يوتاك بنفسه على توزيع الأسلاب ، ووزع جميع ما وقعت عليه يداه من طعامي وطعامه أيضاً ، فإن أهم شيء هو الكرم ، والملكية لا قيمة لها.

ولقد أدخل السرور على نفسي طريقة سلوكهم التي لا كلفة فيها ، فقد كانوا يلكزونني بغير مبالاة ويقولون لي : إن الصغير في حاجة إلى شيء من المربّى فأين تخبئه ؟ أو « أوَهذا كل ما لديك من الطباق ؟ ليس لديك منه ما ينبغي لرجل أبيض » .

وينتشر الإسكيمو في مكان صيد الفقمة على شكل مروحة ، ومع كل منهم كلبان مدربان تدريباً خاصاً مشدودان إلى مقاود طولها ٣٠ قدماً . وتتشمم الكلاب ككلاب الصيد وأنفها إلى الثلج . وفجأة يقف أحد الكلاب مرتجفاً متشمماً ، لقد وجد الثغرة التي تتنفس من خلالها الفقمة .

ولكل فقمة عدد من هذه الثغرات ، فبينما يتراكم الثلج إلى ارتفاع ست أقدام أو ثمان في كل مكان ، تجد الفقمة تطل في أوقات متقاربة لتتنفس ، حتى إن جمد الثغرة يظل رقيقاً بين فترات إطلالها من

الثغرات ، فمن اليسير عليها أن تنفذ بجسمها إلى السطح .

فإذا ما عثر الكلاب على الثغرة المغطاة بالثلج ، شد الإسكيمو رأس حربة من الصلب إلى طرف حربته ، ويعقد الحبل المشدود إلى رأس الحربة حول يده ويقف متأهباً لصيد الفريسة .

ولكن الفريسة قد تتأخر ، فإن الفقمة ولها عدة ثغرات ، قد تستغرق ساعات حتى تظهر عند تلك الثغرة ، أو لربما لم تأت أبداً .

وقد لقيت مرة صائداً قضى ثلاثة أيام بغير حراك في ذلك الوضع الغريب الذي يتخذونه : الرأس إلى أسفل والعجيزة إلى أعلى ، إذ يضطرهم سمع الفقمة المرهف إلى التزام الصمت المطلق — وكل ذلك بلا جدوى .

حدث مرة أن عاد أنجوس جافن إلى نهر برى صفر اليدين من صيد الفقمة . فسأله إسكيمى : « كم لبثت عند الثغرة ؟ » .

فأجابه جافن محنقاً مغيظاً : « أربع ساعات جُمُداً » .

فنظر إليه الإسكيمى في رزانة وقال : « بل أربعة أيام ليست بالوقت الطويل » .

وبعد القنص يعد الطعام . وحدث مرة في رحلة صيد أن شاطرت ثلاثة من الإسكيمو كوخهم ، وذات ليلة بعد صيد موفق تناولنا الشاى المعتاد ، ثم — ولا أدري كم كانت الساعة ، صحوت وكنت قد استسلمت لسنة من النوم ، ووقع ناظرى على الإسكيمو الثلاثة — خيالات ثلاثة — يضيئها من الخلف نور الشمعة المرتجف ، وقد ألقى على الجدار ظلالا غريبة مكبرة . كان الرجال الثلاثة جاثين على ركبهم وجذوعهم مائلة إلي الأمام لا يبدون حركة إلا من أيديهم النهمة . وكان أمامهم طست هائل ملؤه قطع كبيرة من لحم الفقمة . اجتمعوا عليه كأنهم في وليمة ، وكان كل منهم يمسك بيديه وفمه قطعة هائلة من اللحم ، وقبل أن يتموا التهامها تسرع أيديهم إلى الطست تتحسس ما فيه . وكانت الرائحة التى تشيع في جو الكوخ رائحة الفقمة . ورائحة المتوحشين في الحر وقد جلسوا يلتهمون طعامهم . ولقد بدت لى وجوههم ، من حيث كنت راقداً ، تلمع بالشحم والدم المتدفق . وأوحى إلىّ مشهد جماجمهم المفرطحة ، وجباهم يحجبها الشعر ، وأشداقهم الهائلة — بصورة لا تحول من العصر الحجرى .

لقد رأيت عجائب مدهشة في بلاد قاصية ، بيد أن ما شهدته في ذلك الكوخ يفوق كل ما شهدته من قبل . أحسب أن كان

ثمة ٥٠ رطلا من اللحم هاجمها الرجال الثلاثة بدمدمة الحيوان وزمجرته ، وكانت أشداقهم تفعقع وهم يأكلون ، وكانوا يتجشأون ويلعقون أيديهم المخضبة بالدم ويمصون أصابعهم . ولا يزالون يأكلون ، ولا يزالون يمدون أذرعاً كأذرع القرود إلى الطست ويقلبون بأيديهم القطع التى نبذوها فى بدء الطعام ، فأصبحت الآن أطايب تلتهم فى شراهة ونهم . ولقد كفوا منذ وقت عن قطع اللحم بأيديهم ، فأسنانهم تغنى ، وكانت عظام الفقمة تقعقع وتتناثر شظىً فى وجوههم . ولقد خبرت من قبل ما تستطيعه تلك الأسنان ، فإنه إذا تعذر رفع غطاء خابية البنزين بالأصابع أخذه الإسكيمو بين أسنانه ونزعه بسهولة . وكانت أسنانهم ، وقد تآكلت ، حتى اللثة تبدو جذوراً من عظام غائرة لا تتكسر . وإن أخوف ما أخافه ، إذا قدّر على أن أخاصم رجلا من الإسكيمو ، أن يحطم جمجمتى بتلك الأسنان .

وبعد عودتى من رحلة الصيد إلى جواهافن بأيام قليلة علمت أن الأب هنرى ، وهو قس من سواطنى ، يدير بعثة دينية بين الإسكيمو فى خليج بلى ، فعقدت النية على زيارته ، واتفقت مع أحد الأهالى على أن يصحبنى فى مقابل ثمن ثعلبين .

والإسكيمو إذا أخذت تفاوضه أبدى اعتزازاً شديداً وثقة تثير الإعجاب ، تسأله عن كلابه فيقول : إن لديه خير دليل منها أنجبته تلك الأصقاع ، وسل من بَدا لك . وتسأله عن الطريق فيجيبك : هل أنت جاد فيما تقول ؟ ليس فى الدنيا من يعرف هذا الطريق خيراً من معرفتى .

وتسأله كم تستغرق الرحلة إلى خليج بلى فيعد على أصابعه . كوخين ، ثلاثة أكواخ ، أربعة أكواخ . . . والكوخ فى حسابهم يعدل ليلة فى الطريق . وهو حين يعد يرقب وجهك ويفكر : كم أعد من الأكواخ قبل أن يدرك الخوف الرجل الأبيض ؟ ثمان ليال وتسعة أيام ، بيد أننا استغرقنا فى رحلتنا ١٧ يوماً .

وأخيراً سافرت مع دليلى شونجيلى ، وسرنا على نهر متجمد نجر المركبة وندفعها على الثلج . ووقفنا حين أرخى الليل سدوله وجعلت أنظر إلى الرجل نظرة فاحصة . كان واقفاً كالقرد ميت العقل مقوس الكتفين قد أرخى ذراعيه إلى جانبيه ، وشارباه الطويلان قد تهدّلا على فمه ، وكان يضحك كأنه بنت ، ولا يكف عن لعق أصابعه . وكلما أدرت ظهرى لأجرى أمام الكلاب علا المركبة فإذا نظرت خلفى ترجل عنها . وكان ثقيل الفهم بطىء الحركة بغيضاً

إلى الغاية. ولكن الحياة فى الأصقاع المتجمدة دروس متواصلة لا تنقطع ، والجو بشدته الهائلة هو الذى يلقى عليك أول هذه الدروس . كنت ممتعضاً كل الامتعاض من شونجيلى ، وهبت يوماً عاصفة عاتية حملتنى من فورى على أن أنسى نفسى وأن أذكر أننا رجلان يقاتلان فى سبيل هدف واحد .

بدأت العاصفة حول منتصف الساعة الثالثة ، وعلى حين فجأة أخذت الريح تهب بسرعة ٥٠ ميل فى الساعة واكتنفتنا سدود من الثلج ، ولم تمض دقيقة حتى لفّ الضباب الكلاب كلها إلا ما كان قريباً منا ، وصدمت عصفة من الريح مركبة الثلج وجعلت تتقاذفها كأنها عود من القش . وكان عواء الكلاب الإسكيمية التى حجبها الضباب ينبعث فى العاصفة مروعاً مخيفاً .

فوقفنا وبنينا كوخاً على خير ما وسعنا ، وعندئذ أراد شونجيلى أن يرينى معنى الرجولة الحقة ، واستحال هذا المخلوق البليد الثقيل الفهم فناناً ، وجعل يعمل كمن ألهم إلهاماً ، وأشعل غليونه فى رصانة وهدوء وجعل ينخس الأرض بحربته بحثاً عن الثلج الصالح للبناء .

وبدا لى أن بناء هذا الكوخ استغرق قروناً ، واقتطع شونجيلى بعناية صفاً من كتل الثلج ورتبها فى دائرة ، وهرعت الكلاب إليها تلتمس الوقاية فركلها بشدة ، ووقف داخل هذا الجدار وقد عقد العزم على أن لا يخرج منه حتى يتم عمله . وكان يقتطع كتل الثلج اللازمة للصفوف العليا من تحت أقدامه . ويحتاج الأمر إلى مهارة خاصة فى استعمال الثلج الهش ، وفى قطع السطوح الداخلية بالميل المناسب ، وإنقاص مساحة الكوخ أثناء العمل ، إذ يضطرك اشتداد العاصفة إلى الإسراع . كل ذلك كان يسيراً على شونجيلى .

واستمر يعمل هادئاً ثابت الجأش ، فإن ما كنت أعده نكبة نكباء كان لديه شيئاً من الحياة اليومية . ولما أشرف الكوخ على التمام زحفت إلى داخله ولبدت إلى الجدار ، ووضع شونجيلى آخر كتلة من الثلج فى البناء ثم خرج ليبحث عن الكلاب ويطعمها ويدفن أمتعتنا فى الثلج . وأخيراً عاد وهو ينفض ملابسه ، وجلس وخلع حذاءيه ، ثم اضطجع ونظر إلىّ ، فقد أثبت أنه أقوى من العاصفة . وكان مثله مثل البحّار فى اليمّ يلقى العاصفة هادئاً ، وتمضى عنه ولم تزعزعه . إنها لم تغير من سيرته شيئاً . وهذا التأنى البطىء الذى كان منذ ساعة مضت يملؤنى غيظاً ممضّاً ، أصبح يبدو لى الآن نوعاً من العظمة .

إن فلاح المنطقة المتجمدة هذا قد وهبنى

بقلة اكتراثه فى تلك الزعازع الجائحة ، شيئاً من سكينة النفس .

وبعد أيام فى الطريق انتهينا أخيراً إلى مستعمرة الإسكيمو فى خليج بلى ، وقادنا أحدهم إلى الأب هنرى الذى قصدته . فلما أشرفنا على مقصدنا أسرع دليلنا خطاه ليحمل إليه النبأ العظيم نبأ وصول كابلونا « الرجل الأبيض » . فهذه أرض لم يرها إلا ثلاثة من البيض فى قرن من الزمان .

وجاوزنا أكمة ورأينا رجلا طويلا نحيلا معروق العظام مقبلا علينا ليلقانا — كلا لم يكن نحيفاً وحسب ، بل كان صافياً شفافاً ، فقد كان الأب هنرى كجميع من على شاكلته من النساك ، يوحى إلى النفس شعور الصفاء الذى لا يخفيه ماتسربل به من ملابس الإسكيمو ، وقد برقت تحت فرو قلنسوته عينان صافيتان زرقاوان فيهما روحانيــة وطفولة ، وكانت له لحية صهباء كلحى رجال الدين تتهدل على صدره .

وقادنى الأب هنرى إلى باب خشبى فى سفح الأكمة وساقنى إلى صومعته ، وكانت الأرض هنا متجمدة إلى عمق مائة قدم ، وكانت درجة الحرارة ٥٥ تحت الصفر . ولن يرضى إسكيمى أن يعيش فيها ، فإن كوخ الجمـد أكثر منها دفئاً . وكان فى المغارة مصباحان يرسلان ضوءاً خابياً فى الظلام . وعلى رف إلى اليمين مصباح بترول ومدية إسكيمية مقوسة ، وخرقة ، وعلبة طباق خاوية ،وصندوق للملح . وكان فى نهاية المغارة قبالة الباب أريكة بينها وبينه أربع أقدام ونصف .

كانت الأريكة مصنوعة من ألواح رقيقة من الخشب بسط عليها جلدان من جلود الأيايل ، وعلى هذا السطح المائل كان يرقد الأب هنرى ، وكان ثمة فتحة فى الأرض إلى اليمين حجب صندوق أمتعتى جزءاً منها .

وقال لى الأب هنرى : « سيكون هذا الصندوق سريرك ، فإذا استطعت أن تتجنب هذه الفتحة فستصيب كل الراحة » .

كان الأب هنرى يعوزه كل الأدوات التى يعرفها البيض المتحضرون ، وقد أصبح كل ما كان يملكه منها عند قدومه إلى هذه الأصقاع نسياً منسيا . وقال لى : « إن هذه الأشياء لا معنى لها هنا » فما فائدة صحفة أو سكين أو شوكة ، ووجبة طعامه الوحيدة قطعة من السمك المجمد يأكلها عند ما يصحو من نومه فى الصباح ؟ وما القلم هنا حيث يجمد المداد ؟ وما المنشفة التى تيبس وتصير كلوح الخشب فى هذا البرد ، وما من شىء يستطيع الإنسان أن يفعله سوى أن يلعق أصابعه ، وقد أصبحت هذه الحركة عادة حاكمة .

ولما أخرجت إليه هداياه وقف وهز رأسه . إنه لم يعد يطيق أن يأكل طعام الرجل الأبيض : حتى الأرز شيء لا يهضمه ، أما السمك المجمد فليس ثمة خير منه كما يقول لتدفئة الأحشاء . ولقد ظل ست سنين لا يأكل غيره ، إنه غض يدفئك ويرد جوعك ويجعلك تشعر بالعافية .

على أنني مع هذا التثبيط لم أنقطع عن إخراج الهدايا . ذلك الجبن سآكله أنا ، وتلك السيجارات : إن ثمة قساً بلجيكيا في خليج ريبلس يحب السيجار فعزلتها له جانباً ، وذلك الغليون ! مسكين الأب هنري ! كان تدخين الغليون بين الفينة والفينة هو متعته الوحيدة ، بيد أن الأسقف طلب إلى جميع المرسلين أن يقدموا تضحية فضحى الأب هنري بغليونه . وأما بقية الهدايا فقد تناولها ووضعها جانباً وهو يقول لشارد اللب : « هذا كرم عظيم ، هذا كرم عظيم » . كان شكره اعترافاً بجميل القصد ، أما الهدايا نفسها فلم يكن لها معنى لديه .

كانت الساعة السادسة حين استيقظت في اليوم التالي ، وقد نبا مضجعي على صندوقي ، إذ لم أستطع أن أمد رجلي . وكان الأب هنري قد صحا منذ وقت طويل وجلس على سريره ساكناً مخافة أن يوقظني وهو يتمتم ببعض الدعوات . أما وقد صحوت ، فقد قام يعد محرابه ، فدفع مصباح البترول وصندوق الطباق الخاوي جانباً وبدأ يصلي .

كنت طول ذلك اليوم أشعر بالضجر والبرد الشديد ، فجعلت نفسي في كيس النوم وجعلت أشرب الشاي . وكان الأب هنري يبادلني الحديث ونحن نتناوله ، وحدثني عن سرب كلابه العظيم الذي كان يفخر به بأسلوبه الذي لا كبر فيه .

وكان يقول : « كلما زدت في معاشرة الكلاب ازددت معرفة بالناس ، فعيوبها عيوبهم ومحاسنها محاسنهم . وما أشد اختلافها عن كلاب بلادنا ! وكم ذا يسرها أن تغرر بك وتلعب عليك الألاعيب ، وتنظر إليك كل مرة تلك النظرة الساخرة ! ومع ذلك فقد رأيتها تظل أسبوعاً بغير طعام ، وهي لا تكف عن العدو ، لا يند عنها ضُغاء من الشكوى . فإذا جن الليل رقدت لتنام على غير طعام ، كأنها لا تنتظر خيرا » .

وأبديت أسفي لأني لن أجيد معرفة لسان الإسكيمو وبذلك لن تتيسر لي معرفة أهله . فقال لي الأب هنري : « إن من جمال لسانهم البيان المفضي إلى غرضه ، بيد أنهم عندما يتكلمون يتركون لأنفسهم مخرجاً للخلاص[1] . وإليك المثال : يعود الإسكيمو من صيده فيجد في الكوخ عدداً من الزائرين ، فيأخذ منفضة الثلج وينفض

الثلج عن ملابسه ثم يخلعها وهو لم ينبس بكلمة ، ولما كان يعلم أن الآخرين ينتظرون حديثه يقول : « هذه الثعالب ! لا سبيل إلى صيدها » . ثم يصمت : « هذا ولست بعد قادراً على بذل جهد كبير ، وقد تقدمت بي السن » . ثم يصمت ثانيـة . وأخيراً يقول وهو كمن يحدث نفسه : « ولكنى اصطدت اليوم ثلاثة » .

وحـدثت الأب هنرى عما لقيت من متاعب فى الوصول إلى خليج بلى على كثرة ما توسلت إلى دليلى أن يجدّ فى السير .

فضحك الأب هـنرى وقال : « إنك لسعيد الحظ أنْ وصلت إلى هـذا المكان بهذه الطريقة ، فإنى إذا أردت أن أبعث مركبة فى رحلة مستعجلة أدعو الإسكيمى وأقول له : أريدك أن تذهب إلى خليج ريلس ، وسيقتضيك ذلك وقتاً طويلا ، وأنت صغير السن وربما كنت لا تعرف الطريق كل المعرفة ، ولا أحسب كلابك قوية قادرة ، ومع ذلك فليس ثمة غيرك ، فسر فى طريقك » .

وينقضى وقت ويعود الإسكيمى من رحلته .

فيقول الأب هنرى : « خيراً ؟ » .

ويقف الرجل ذليلا ناكس الرأس ، لقد ساءت الأمور : كان الجو أسوأ مما توقع ، ثم مرض أحد الكلاب ، وكانت مشقات جمة أخرى يعددها له واحدة واحدة ، ولكنه مع ذلك ذهب وعاد فى ١٢ يوماً ، فهو يعلم أن الأب هنرى يعرف أن هذا سير سريع .

وحدثنى الأب هنرى عن رجل من الإسكيمو زاره يوماً ، وبعد ما جرت به العادة من شرب الشاى والصمت ، قال فجأة :

« لقد خرجت اليوم بالعجوز إلى البحر المتجمد » .

والعجوز هى أمه ساقها إلى البحر لتجمد حتى تموت ، زعم أنه كان يحبها حبا جما ، وكان يشفق عليها ، بيد أنها كانت كفيفة البصر بلغت من السن عِتِيًّا فلم تعد تصلح لشىء ما . وقد اقتادها بموافقة الأسرة جميعاً إلى البحر المتجمد وخلّفها هنالك وحدها فى العراء لكى تموت .

وقال لى الأب هـنرى : « إنى لأرجو بعون الله أن أغير هـذه الأحوال على مر الزمن ، وأن أرقّق بعض عاداتهم ، على أن ذلك أمر عسير ، فإنهم يعيشون عيشة قاسية ، عيشة مادية . وسيقولون لك ، إذا هم عرفوا تعبيرنا ، إن عليهم أن يواجهوا الحقائق : إنّ هـذا الرجل كان ولداً باراً حقا . إنهم يعنون بالشيوخ منهم على الطريق ، ويعودون إلى المركبات مراراً ليروا أنهم

فى دفء وشبع لا تعوزهم قطعة من السمك .
ولكن يأتى يوم بعد سنين طويلة لم يتخللها
ضجر أو تذمر ، ويومئذ يرى صغار السن
أن ذلك أصبح متعذراً ، ويتركون العجوز
على الجمد . ويذعن الشيوخ لهذا فى هدوء ،
بل إنهم يكونون أحياناً أول من يقترح
تلك النهاية لأنفسهم .

وقد قطعت إقامتى عند الأب هنرى
لزيارة مخيمات صيد الفقمة التى كانت متناثرة
على الجليد على طول خليج بلى . ولما انتقلنا
من مخيم إلى مخيم أثار دهشتى سعة الأكواخ
وفخامتها . ولقد رأيت طرازاً من مساكن
الجماعات — ثلاثة أكواخ بنيت بحيث تفتح
على ردهة وسطى ، وقطر كل كوخ ١٢ قدماً
أعد لأسرتين ، ينيره مصباحان من مصابيح
زيت الفقمة . أما رخاء هذه الجماعات
الثرية فيدل عليه وفرة لحم الفقمة .

كانت كل صغيرة من أمور الحياة هنا
أمراً جللا : تسوية المصابيح عند القيام
من النوم ، وإطعام الأطفال والرجال
والكلاب ، وجلبة الخروج إلى الصيد ،
وثرثرة النساء وضجيجهن فى تدبير بيوتهن ،
والعودة من الصيد عند المساء تحت عواء
الكلاب وصخب الرجال وجر الفقمات إلى
الأكواخ ، وأخيراً تناول الشاى والرجال
ينفخون ويمزحون ويقتطعون قطعاً كبيرة
من اللحم وهم ينتظرون أقداح الشاى أن
تبرد ، وقد شعروا بأنهم رجال حقا . وقليل
من الناس من رأى ما رأيت . وهى مشاهد
لا ترى فى غير هاتيك البقاع — حياة الجماعة
كما كانت عليه فى قديم الزمان ، ورخاء
ورفاهية يختلفان اختلافاً بينا عن حياة
الإسكيمو الغربيين وتحضرهم الكاذب ،
وعن حياة قبائل أرض كنج وليم البائسة
وفقرهم المدقع .

وكان ما أعجبنى من كرمهم مثل ما أعجبنى
من جمال حياتهم ، كنت لا أكاد أدخل
الكوخ حتى أجدهم يخلعون عنى ملابسى
وحذائى وجوربى ، ثم تعلق لتجف ، حتى
كأن محضرى كان يشرف الكوخ .
وبعد حين تناولنى بنت صغيرة ملابسى على
استحياء فاتن ، وقد جفت وحُتّ عنها الثلج
وأصبحت لينة .

حدث ، ولما يمض على غير خمس دقائق
فى مخيم كنت أزوره لأول مرة ، أن سمعت
هأهأة مرحة فى الكوخ المجاور ، فانحنيت
ورأيت شخصاً على صورتى . كانت زوج
إكشيڤاليتاك تقلد حركاتى ، وهأنذا أرى
نفسى على ما أنا عليه بحركاتى الثائرة وكلامى
الجازم : « أريد هذا وأريد ذاك » لا كما
كان ينبغى أن أقول « أودّ » . إن مشهد

رجل أبيض أوحد فى بلادهم، يأخذ على نفسه أن يصدر إليهم أوامر بقوله « أريد ... » وحيرته بين « أريد » و « أودّ » . كان مما يثير ضحكهم .

وكان تقليد المرأة لى حتى فى نبرات صوتى متقناً إتقاناً أذهلنى . ومن عجيب أمر هؤلاء الناس أنهم يلمون لساعتهم بالصفات المميزة للشخص : ذلك الهياج وذلك الملل ، وتلك الكبرياء الخرقاء التى يبديها الرجل الأبيض الذى يظن أنه السيد الآمر حيثما ذهب . فلا عجب إذا انفجرت ضاحكا أنا أيضاً .

لا تحتاج العودة إلى حياة الفطرة إلى طويل وقت ، فلقد كففت عن الشعور بحاجتى إلى مرافق المدنيـة ، وذهبت من خاطرى فكرة تغيير ملابسى كل يوم ، وأصبحت أحبُّ مذاق السمك المجمد وخاصة إذا كان قد جمد لساعته ، وبذلك يحتفظ بنكهته الطبيعية . ولا أذكر أنى استسغت طعاماً فى فرنسا كما استسغت هذا السمك .

نعم ، إن الأب هنرى كان مصيباً حين قال : إن طعام الرجل الأبيض لا يصلح أبداً لهذه الحياة ، فالأرز المسلوق يدفئك وأنت تأكله ، ولكن حرارته تزول من فورها تقريباً . أما السمك المجمد فتأثيره عكس ذلك ، فأنت لا تشعر لساعتك بما يشيعه من الحرارة ، ولكنه يبدأ بعد عشرين دقيقة يبعث الحرارة فى جسمك ويحفظها عليك ساعات . أما اللحم النئ بذخائره الثمينة من الفيتامين ، فإنه إذا أكل مجمداً امتص الجسم منه مقادير وفيرة ، فإذا قضيت يوماً شاقاً فى الطريق ، فلا تكاد تعرف نهاية لما تأكل ، ويأتى يوم تستسيغ فيه حتى الطعام العفن ولو أن الأمر لم يبلغ بى أن أعدَّه من الأطايب . وقال لى الأب هنرى : « لقد كنت مثلك ، بيد أنى وقعت يوماً على قطعة من الـ « تى بى » أو اللحم الزَّهِم المتغير ، فتذوقتها وقلت لنفسى : آه ، لا بأس به ، ومنذ ذلك الوقت صرت أجد اللحم الغض لا طعم له » .

وقد أحبنى الأب هنرى وأحببته منذ أول لقاء ، فلما ائتلفت قلوبنا صار حديثنا خالياً من تحفظ المجتمع ، فسألته يوماً : ألم تجد فى حياة الوحدة مشقة وعنتاً ؟

فأجابنى : « كلا ، وأنا سعيد جداً هنا ، ولدى كل ما أحتاج إليه » . (ولم يكن لديه شىء البتة !) « وما يجثم على صدرى بين الحين والحين إلا مصيرى إذا أدركنى الكبر ؟ » .

كان كمن يعترف بضعف خفى فى نفسه . فقلت له محاولا أن أرفه عنه : « إذا كبرت فستعود يوماً إلى بعض الإرساليات

بين البيض » . فاعترض قائلا : « لا ، لا ، لا ، ليس هــذا » .

ماذا كان يسعنى أن أقول ؟ لم يكن لى أن ألح عليه فى السؤال ، غير أنى وددت من أعماق نفسى عندئذ أن يرى كل رجل له بيت ينعم فيه بالدفء وقدضمن الراحة فى الكبر- هذا القس المتوحد فى تلك الأصقاع المتجمدة .

إن هذا الرجل تحييه قوة غير قوة الطبيعة . لقد غادرته الحيــاة كما نفهمها ، وحل محلها شىء أكثر لطفاً وغموضاً . كان صريحاً ســاذجاً ، متجرّد النفس ، لا يلتحف بغير رداء دينه وتقواه .

كان بفضل هذا الرداء لا يبالى بجسده ، فإذا قلت مثلا : « إنه يوم غير دافىء » ، وافقك غير مريدٍ ولــكنه لا يحس البرد ، و « البرد » عنده « لفــظ » لا أكثر ، وكان إذا سدّ منافذ الباب فإنما يفعل ذلك من أجلى . كان بنَجْــوة عن يحيى حياة أخرى .

نعم ، لم تكن به حاجة إلى شىء قط ، فقد كان يعيش ويقيم أوَدَه بالصلاة . ولو كان عماد حياته ما فى الإنســانية من قوة لما عاش إلا فى يأس مقيم ، ولــكنه كان يستمد العون من قوى أخرى ترعاه بعنايتها . ومهما يكفر بأمره من لا يؤمنون ، فقــد كان إذا اشتدت العاصفة وأنذرت بالهلاك ، يدعو ربّه ، فإذا هى تضمحل وتهدأ . كان يوماً ما على شفا الموت من جوع ناله ، هو والإسكيمىّ الذى كان يصــحبه فدعا ربه ، فوجدا فى شبا كهما تلك الليــلة قمتين . وكان عبثاً أن أحاول ردّه إلى حقيقة الحياة ، إنه لا يطيق أن يعايش تلك الحقيقة .

كانت حلته الروحانية درعاً تقيه الجوع والبرد وجميع عوادى العالم . ولقد علّمت مرة أخرى أن الروح عزيزة لا تقهر ، وأن المادة هالكة ضعيفة . فإذا كان ثمــة رجــل شهد ما شهدت ، ثم يأبى مع ذلك أن يؤمن بهذا ، فخير له أن يقبع فى داره فليس هو بالرحالة الجوّال !

وأخيراً طلبت إلى الأب هنرى أن يدبر أمر عودتى إلى أرض كنج وليم ، فاتفق مع أحد الإسكيمو ليصحبنى ، فلما جئت أودعه خنقتنى العبرات واحتبست الكلمات ، وبعد لأى ما استطعت أن آخذ بكلتا يديه وأومىء له برأسى . وانطلقت مركبتنا بسرعة :

واســتمر نور النهــار على الطريق من منتصف الساعة الثانية عشرة إلى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر ، ثم سقط الليل علينا وقضينا يومنا ظلاماً دامساً . والآن عادت الشمس فجعلت البحر بساطاً مترامياً رقيقاً وردى اللون ، بدت على سطحه قطع

الثلج خضراء صافية ومركبتنا تسرع السير بينها . وماتت الأرض مع دورة الفصول ثم ولدت من جديد ، وأحس الإسكيمي بنضارة الحياة ورقتها كما أحسست . ومع أن درجة الحرارة لم ترتفع بعد إلى أكثر من ٥٠ تحت الصفر ، ولم يزل البرد قارساً في الليل ، فقد كنا ثلاثتنا — وكان مانيلاك قد اصطحب زوجه في هـذه الرحلة — نتحدث ونتضاحك في مرح وسرور ، وقد أحسسنا كأننا ولدنا من جديد .

وكنت كلما قضيت أياماً بين هؤلاء القوم أجدني أطابق نفسي على طرائقهم في الحياة. فقد أصبحت بعد الثرثرة حليف الإيجاز . وإذا فكر المرء في هذا الأمر فكم من كلمات نقولها لا ضرورة لها ! وقد صرت أعتقد أن اللغة إنما وضعت للكسالى الذين لا عمل لهم . ونحن في الطريق لا نكف أبداً عن العمل ، إن ثلاثة من النـاس في رحـلة على الجمد هم جماعة صامتة ، يؤدي كل منهم ما عليه صامتاً . فإذا ما اعترضتنا أكمة نزلنا ثلاثتنا ، ولم ننطق كلمة ، وتعاونـّا على دفع المركبة . وسواء أكنا نغطي بالثلج عوارض الانزلاق ، أم كنـا نحـل أحزمة الكلاب ، أم كنا نعد الشـاي ، فقد كانت حركاتنا مؤتلفة ، وإذا في النفس أثر لا ينسى من الألفـة والسكينة . فإذا ما فرغنا من عملنا أخذنا في لف السجائر من علبة طباقنا المشتركة ، وتبادلنا الابتسامات كأننا على تفاهم واتفاق .

وفي كل ليلة كنا نقيم كوخ الجمد بأسرع من لمح البصر ، وكانت الزوجة تدق الثلج حتى يصير مسحوقاً ناعماً ، وتسد به الشقوق سداً محكما . وكان الزوج يقيد الكلاب في مكانها ، أما أنا فكنت كربة المنزل دائب الحركة في جوف الكوخ . والراحـة في الكوخ هي الترتيب ، فإنه ينبغي إذا ما جلست على أريكة الثلج أن يكون كل شيء في متناول يدك ، وكل أداة في مكانها المعهود، حتى إذا ما مددت ذراعك ، وقعت يدك على « ثلج الشرب » .أو علبـة الطبـاق أو الملابس على مشجب التجفيف فوق المصباح. ولقـد أصبحت كقعيدة البيت ، لا شيء يغريني بتغيير مواضع هذه الأشياء . وإذا تمّ كل شيء اتخذت مجلسي ورضيت عن نفسي كما ترضى عن نفسها حارسة الباب في باريس، وقد جلست في غرفتها وحبـل المزلاج إلى يمينها والموقد إلى يسـارها ، وهرّتها على ركبتيها .

تلك هي الراحـة ! على أنك إذا ما تمت تغير كل شيء ، فحين يطفأ المصباح تنزل درجة الحرارة . كنت لم أصبح إسكيمياً بعد ، وظل النوم يراوغني ، ويأخذ كيس نومي

يطقطق كلما تحركت ، فقد استحال قطعة من جليد . كان الثلج يشمل شعرى ويغطى وجهي ، وقد كان نفسى يجمد لساعته حين يخرج من بين شفتى .

فإذا صحوت من نومك فى الصباح ألفيت الكوخ مفعما بضباب أشهب ، وبعد لأى ما تعقد عزمك على أن تتحرك . وإنه لعذاب أى عذاب أن تخرج ذراعك من الكيس لتوقد موقد البترول .

ولن تطيق أن تحلق ذقنك ، وعجزك هذا يجلب شراً مستطيراً ، فإن الشعر إذا نما على خديك وذقنك وشفتيك ، تجمع الثلج عليه وأصبح عبئاً لابد من إزالته . ولم أكن أطيق أن أخلع قفازى لأفرك الثلج بيدى ، فأجذبه بشدة ويأخذ وجهى يدمى ، والدم يجمد ، ويبدو منظرى ، بين الدم المجمد وبقع الصقيع السود على أنفى وخدى ، منظراً فظيعاً .

وبلغنا جواهافن عند منتصف الليل حيث لم يزد جبسون فى الترحيب بى على قوله : « هالو ! لقد عدت إليناثانية » . ليته كان يدرك ما أدركه من قوله « عدت إلينا ثانية » .

لقد انقضت ٣٥ يوماً منذ أن غسلت وجهى وخلعت عنى جميع ملابسى . وعلى أنى كنت منهوك القوى فقد كان عسيراً على أن أنام . كان الترمومتر فى داخل الكوخ عند درجة التجمد ، وكنت أكاد أختنق من الحر . وجعلت — وأنا الذى لم أسعل مرة فى الطريق — أسعل كما يسعل العجوز . ولقد غلبنى سُعار الجوع ، ولكن الإعياء قعد بى عن الأكل . كنت مضنى من التعب ، وسأظل كذلك أياماً .

وسافرت بعد إقامة ثلاثة أسابيع فى مقر الشركة فى صحبة يوتاك وأحد أهالى نهر پرى ، اسمه بيروآنا ، إلى مقر شركة خليج هدسن عند نهر پرى .

كانت الشمس متألقة فى ذلك اليوم ، والمياه المتجمدة تلمع على مدّ البصر ، والجو هادئاً صافياً ، حتى خيل إلى أنى أخلف ورائى السعادة كل السعادة . وفى الطريق لقينا مساعداً شابا من شركة خليج هدسن ، وقد جعلنى منظره أدرك فجاءة طول المسافة التى قطعتها .

وقد تتوقع أن يتعانق اثنان من البيض إذا هما التقيا فى منتصف الطريق فى تلك الأصقاع المتجمدة ، بيد أنى ، عندما أسرع ذلك الشاب نحوى يحيينى ويقدم نفسه إلىّ ، وقفت لدهشتى بلا حراك فى حذر الإسكيمى وتهيبه . وشر من ذلك أنى ، بعد أن تبادلنا التحية ، انصرفت عنه إلى يوتاك وبيروآنا . فلقد صارا أعز علىّ من جنسى . ولما تحركنا

للسير - وكان ثمة ثلاث مركبات قد اتجهت وجهة واحدة - تركت الشاب وحده ودلفت إلى جانب رفيقي أمزح وأتحدث إليهما . وقد كان لدىّ ولدى الإسكيمي أشياء كثيرة يقولها بعضنا لبعض ، ولم يكن لدينا ما نقوله للرجل الأبيض . وكل ما قاله الرجل الأبيض لم يسترع انتباهي ، بل إنه لم يكد يطرق سمعي ، وكان ما فهمته من قوله سخيفاً غير معقول .

وقد ظهر الفرق بيني وبينه ظهوراً بيناً عند ما جنّ الليل ، فقد بنى يوتاك كوخاً من الجمد لخمستنا ، بدا صغيراً لصاحبنا الأبيض حتى لقد زفر حين رآه . وأول كوخ يراه الإنسان يبدو دائماً صغيراً .

وقد قال لي صاحبنا : « إن هذا مضحك ! قل له إننا لا نستطيع أن ننام جميعاً في مثل هذا الكوخ » .

لم يكن يعرف من الحياة في الكوخ شيئاً ، وقد خطر لي فجأة أن قضاء ليلة في كوخ من الجمد يقتضي مئات من التفاصيل الدقيقة تعلمتها أنا واحدة واحدة دون أن أشعر . فثمة طريقة نفض الثلج عن الملابس دون أن يقع الثلج على الجلود التي تغطي أريكة الجلوس . وثمة ذلك الفن الجميل ، فن ترتيب كل أشيائك بحيث تكون في متناول يدك وأنت متكيء على الأريكة .

وأخيراً وفوق كل شيء ، هناك نظام الحياة في الكوخ الذي يجب أن يتبع بدقة صارمة.

فإذا عرفت هذا النظام تصبح حياة الكوخ سهلة بسيطة وتسير بغير عائق ، وإذا جهلته سارت الأمور على غير ما تريد ، فتتأخر ، وتزاحم ، ولا تستطيع أن تعثر على ما تبحث عنه . وبينا يكون الآخرون في أكياس نومهم ، لا تكون أنت قد استطعت حتى أن تأكل . وأخيراً يندس الرجل الأبيض وهو مرتد جميع ملابسه في كيس النوم ، ولا يستطيع أن يغمض جفنه ، وينقضي الليل والمبولة تدور تحت أنفه نزيده هماً على هم .

كان هذا الأبيض المسكين عبئاً ثقيلا وحجر عثرة في سبيل كل فرد ، لم يكن يدري ماذا يفعل ، وكان خيراً له أن لا يفعل شيئاً ، ولكنه كان مثلي في الخريف الفائت ، كان به نقيصة أخرى هي أنه كان لا يفكر في غير نفسه . وقد كشف لي وأنا أرقبه أن حياة الإسكيمو تجرد المرء من الأنانية . كان هذا الشاب رجلا أبيض فهو إذن محب لذاته : « شايي ... علبتي ... نومي » ، ولكن لا ياسيدي ! إنه شاينا ، وعلبتنا ، ونومنا ، إن الحياة الإنسانية تنقرض من المنطقة المتجمدة لو هي خلت من هذا التماسك والاجتماع . ولقد علمني الإسكيمو فوق هذا

جميعاً أن أنبذ أشياء كثيرة ـ العجلة، والهم، والتمرد، والأثرة . وقد استغرقت سنة أتعلم هذه الدروس، ورأيت فجأة أن تلك السنة التي قضيتها في الشمال لم تكن ـ كما حسبت ـ سنة قهرت فيها عناصر الطبيعة، ولكنها كانت سنة قهرت فيها نفسي . وبفضل هذا النصر لم تعد المنطقة المتجمدة عندي مصدر ألم وعناء، بل مبعث سعادة وسرور. كانت البوتقة التي ذاب فيها خبث طبيعتي على مهل . فلقد وجدت في هذا الرحب المتجمد ما أبغيه من رضى النفس، وهو مالم أجده في سائر أنحاء العالم .

وعاد الربيع إلى المنطقة المتجمدة، وارتفعت درجة الحرارة إلى ما فوق الصفر وذات يوم ارتفعت فجأة ـ وكان ذلك في ٢٥ ابريل ـ إلى درجة واحد تحت الصفر، وهبت ريح « حارة » تضيق بها الأنفاس وكان « الحر » لا يطاق، واضطررنا إلى إزالة الثلج الذائب عن سطح الشركة مخافة أن يغمرها الماء .

وتطلعت من النافذة إلى خيوط الجليد وهي تقطر ماء، وفكرت في اكتئاب : ما أبغض مرأى الدنيا على هذه الحال . وبرزت من جديد تلك الحجارة الشبيهة بالجماجم كالحة قد انتثرت في البرية الجرداء، وكان المشهد على امتداد البصر كريهاً شاحباً كئيبا، وبدا مقر الشركة غارقا في حمأة من الرفات والفضلات أظهرها ذوبان الثلوج . فيالها من قذارة لا تقع تبعتها إلا علينا نحن ! هذه الصفائح التي كنا نلقي بها في الخارج غير آبهين، وأوعية المربى الخاوية، والبطاطس الفاسدة، كلها تظهر فجأة لتلبسنا الخزى .

فلما مرت الأيام سراعاً جعلنا نرى النور في السماء طول الليل، فكنا نكره أن نأوى إلى الفراش، فإذا فعلنا لم نستطع النوم . وكنا كالحيوان قد استكن الشتاء كله، وقد أشرفنا الآن على زمن الخروج والسعي .

وكان الإسكيمو في ذلك الوقت قد هجروا أكواخهم المتداعية، وقامت الخيام في كل جانب . فلما عادت ريح المنطقة المتجمدة المتقلبة تهب باردة، وجعلت تصفر خلال مساكنهم الجديدة، أقاموا حولها سياجاً من الثلج يقيها شرة الريح. وكنت ترى في خيامهم أكواماً مختلطة من الحراب وجلد الدب وآلات الخياطة التي علاها الصدأ، وفونوغرافات قديمة، إلى غير ذلك مما نبشوه من الأرض في الربيع . أما شاطىء البحر فكان أكواماً من الصفائح الفارغة وجثث الثعالب وقطع الجلود البالية، تشهد كلها أن الإنسان أحقر حيوانات الخليقة جميعا .

وشهر مايو هو شهر الزيارة العظيم ، وكان الإسكيمو ينزلون هذا المكان كل يوم تقريباً ، وكثيراً ما يأتون من مسافات بعيدة ليبيعوا تجارتهم السنوية ، وقد يجلب بعضهم ١٥٠ أو ٢٠٠ من جلد الثعلب : وكان يبدو عليهم جميعاً التلهف والفرح لما يتوقعونه من ولائم وزيارات وتجارة فى النساء ، وكان وصول كل مركبة غنما كبيراً للمخيم جميعه .

ولم يكن هؤلاء هم الإسكيمو الذين أسعد بالإقامة بين ظهرانيهم ، فإنهم كان يصطادون بالبنادق ، وكانوا يعرفون الجمع والطرح ، وقد قطعوا إلى الحضارة نصف الطريق . كانت قفازاتهم معلقة إلى جنوبهم بخيط من الصوف طويل زاهى اللون ، كانوا كقرود معارض الحيوانات يجلسون على كراسى ولا يأكلون إلا أرقى صنف من أصناف البسكوت ، ويدخنون السجاير الملفوفة ، ويقلدون الرجل الأبيض فى حركاته .

وفى مقر شركة « هدسن باى » تلتقى فى التجارة عقليتان وتلتحم إحداها بالأخرى ، هما عقلية الرجل الأبيض وعقلية الإسكيمو . فيرى الإسكيمو فى هذه النقطة النائية الواقعة فى أقصى الفضاء ، ما يمثل خلاصة حضارة الرجل الأبيض — مستودعاً للثروة والترف ، فإذا دخلوا المتجر سمعت منهم ضحكا مكتوماً ، فسوف يغلبون الرجل الأبيض فى البيع مرة أخرى ! ألا تراهم يظفرون بتلك الأشياء العجيبة فى مقابل فراء بعض الثعالب ! فالرجل الأبيض ولا ريب رجل مأفون لاهتمامه بمثل هذه التجارة . ماذا تجدى عليه هذه الثعالب ؟ إن جلد الثعلب ينفع فى كوخ الجمد لمسح الآنية ، على أن جلد الطَّيْهوج (طائر من رتبة الدجاج فى البلاد الباردة) خير للمسح من جلد الثعلب . وليس من الممكن أن يكون لدى الرجل الأبيض آنية كثيرة تحتاج إلى المسح !

ويدخل الإسكيمو واحداً بعد واحد إلى المتجر وفى أعقابهم زوجاتهم وأطفالهم ، يقفون بلا حراك صامتين مشدوهين . فإن هذا المتجر هو جنة الخلد عند قوم يرون مبرداً علاه الصدأ كنزاً ثميناً — وقد روى لنا آمندسن عن إسكيمو يسافرون ٦٠٠ ميل للحصول على بضعة مسامير . هنا صناديق عدة حافلة بالمسامير ، وصنوف من مبارد الحديد ، ويتدلى من السقف على مدّ أيديهم ٥٠ مسخنة (غلاية) من مساخن الشاى . فجعل بعضهم ينظر إلى بعض وقد أثارهم وبهرهم ما رأوه . ما أعجب هذا المخلوق ، هذا الرجل الأبيض ! إنه لا يقتنى جميع هذه المساخن والأباريق فحسب ، بل إنه لتصله منها مقادير جديدة كل سنة . لا بد

أن يكون له فى بلاده النائية مخابئ هائلة فى الأرض ملؤها الآنية والأقمشة والطباق .

ويتقدم أولهم، وهو أعظمهم شأناً ، لقد راعه ما رأى ، ومع أنهم قد تحدثوا عنه فى أكواخهم مراراً فإن حقيقة المتجر تبهر الأبصار أكثر مما كانوا يذكرون . ويلقى الإسكيمو بكيس إلى الأرض ، ويفتحه ويسحب منه شيئاً أبيض لا شكل له يعلوه دم مجمد . ذلك هو الثعلب .

ويقف الرجل الأبيض باسماً ، ويظل الإسكيمى منقباً فى فكره ، وأخيراً يقول فى ثبات :

« أوت — كور — لو » أى زيت الفحم .

فيسأل الرجل الأبيض: « تا — مار — ميك ؟ » أى : بقيمة ثعلب كامل ؟

فيقول الإسكيمى : « إهْ — إهْ » أى : نعم .

ويحضر الرجل الأبيض ذلك الوقود ، ويأخذ أول ثعلب ، ويخرج الإسكيمى ثعلباً آخر ويعود فيقول :

« تى — با — كو » أى طباق .

فيسأله الرجل الأبيض ثانية: « تا — مار — ميك ؟ »

ويضايق الإسكيمى تكرار هذا السؤال، ويستولى عليه خوف غامض ولا يجرؤ أن يأمر وينهى ، وأخيراً يقول فى صوت خافت:

« نابى — دلو — جو » أى مشطور شطرين .

ولكن ماذا يشترى بالنصف الآخر من الثعلب ؟ فيجعل ينظر إلى السقف ويتمتم :

« نا — أونا » . (لا أدرى) .

وفجأة يذكره شىء يراه على الرف بما يريد ، فيشير إليه ويقول :

« تام — نا — لو » . (ذلك الشىء) .

وكلما رمى الرجل الأبيض بجلد الثعلب تحت المنضدة يفهم الإسكيمى أن ذلك الثعلب قد نفدت قيمته ، ولكن ما دام الثعلب على المنضدة فله قدرته على الشراء لا تزال .

وتباع الثعالب الثلاثة أو الأربعة الأولى بسهولة ، فثمة تلك الأشياء التى لا يستغنى عنها الإسكيمى ، كزيت الفحم ، والشاي ، والطباق ، بيد أنه بعد بيع الثعلب الخامس يحار الإسكيمى فيما يبغى، ولا يرجع ذلك إلى قلة تأهبه للأمر ، كلا علم الله ، فقد تحدث هو وزوجه عشرين مرة فى كوخهما فى ذلك الأمر ، ولكن خانته الذاكرة .

على أنه من حسن الحظ أن زوجه كانت حاضرة ، فكانت تلمزه بطرف حذائها فى كعبه وتلقنه ما يقول، فتقول : « القماش » « آنية الطهى » ، وتلتمع عيناها التماعاً لا يكون إلا فى عينى امرأة تعيش على الفطرة .

نعم نعم ، كيف نسى ؟ وتتوالى عليه الأفكار تباعاً ويقول : « هذا ! وهذا ! وذاك ! » ويشير إلى كل ناحية فى وقت واحد مخافة أن تفلت منه هذه الأفكار الطارئة .

وأخيراً يرى أنه قد تمادى ، وحين يترك المتجر يجر وراءه صندوقاً من خشب حشوه الكنوز ، يحس إحساساً غامضاً أن كثيراً من هذه الأشياء البراقة لا تجديه شيئاً . وفى أغلب الأحيان يجد نفسه فى غير حاجة إلى تلك الأشياء التى كان منذ لحظة واحدة لا يستطيع مقاومة إغرائها . ثم تبدأ بعد ذلك مرحلة أخرى فى الاتجار — بين الأهالى أنفسهم . ولما كانت الأشياء فى نظرهم لا قيمة لها فى ذاتها ، بل إنها تقوّم حسب الرغبة فيها أو الرغبة عنها ، فإنه يحدث أن يشترى طوق كلب جميل بغليون من طين ، أو نصف كيس من الدقيق بقلم أحمر . وكذلك قد تعدل الإبرة فراء ثعلب بأكمله ، وتكون لشريحة جلد رئة قيمة مصباح . والغريب أن ليس ثمة إسكيمى يقول بأنه غلب فى صفقة بيع ، فإن ذلك لا يخطر له على بال .

وتبادل الزوجات شائع بين الإسكيمو ، وهو أمر تافه يقتضيه حسن المعاشرة ومجاملة لا تمنع عن الأصدقاء او الزوار . والتصرف فى المرأة من حق الزوج وحده ، والرجل الذى يطلب هذا من الزوجة رأساً يقترف أمراً خطيراً ينقض العرف المتبع ويستجلب المتاعب الشديدة .

وسؤالك الإسكيمى أن يعيرك زوجته أمر تجرى به العادة ، بحيث لا يتردد أحد أن يطلبه فى كوخ يعج بالناس . وهو أمر لا يبلغ من شأنه أن يقطع الحديث ، فترى الزوج يجيب بلا أو نعم ، كما يشتهى فى تلك اللحظة بغير اكتراث .

ويتم كل شىء بغير اكتراث كما تم الطلب نفسه . فإذا حان وقت النوم اندسّ الزوج ساكن النفس فى كيس نومه المصنوع من جلد الغزال ، على حين تنسل زوجته إلى كيس صديقه . ولا يجد الزوج فى نفسه شيئاً من الغيرة ، بل تراه قد أسلم نفسه للنوم قبل أن يستقر الصديق فى الكيس مع زوجته .

ولا يزال الإسكيمو على الفطرة الأولى ، فالربيع ، وهو فصل السِّفاد (التلاقح) فى المملكة الحيوانية ، يبدّل فى أبدانهم وطبائعهم ، فيتغير لونهم من أسمر أربد إلى أرجوانى ، ويتقد على خدودهم وهج أحمر ، وتلمع عيونهم ببريق غريب . وتسود هنا فى نهر يرى ثورة من الهياج الجنسى فى طول المخيم وعرضه تجتاح كل من فيه . ولا يزالون

يتواقعون ليل نهار فى طوفان من الهياج لا ينقطع ولا تكبح شرّته . ولا حديث لهم غير هذا . ويصل الرجال إلى مقر الشركة فرحين مرحين يقصون مفاخرهم فى هذا الميدان بإسهاب وتفصيل ، ثم إذا بهم ، وقد حركتهم كلماتهم ، يعودون سراعاً إلى خيامهم . ويشترك فى هذا الهياج ، الصغير والكبير ، وكل بنت وامرأة . ولما كان موكاهينك بلا زوجة فقد تزوج بأم شريكه فى الصيد ، وكان يبدو عليها أنها بلغت السبعين ، ولكن ربما كانت فى الخمسين . وقد ظهر هو الآخر عند مقر الشركة يقص قصته . وحتى صغار الأطفال ركبتهم هذه الحمى التى كانوا يشاهدون مظاهرها (فلا حياء فى الخيام) . وكانوا يقلدون كبارهم فى فرح ، وهم لا يدرون ما يفعلون .

وفى ناحيــة نهر برى ألفيت حزمة من الرسائل تنتظرنى ، وكان على أن أجيب على بعضها ، ومع أنى كنت على مسافة ٥٠٠ ميل من كوبر ماين ، لم ينقذنى هــذا البعد من براثن الراديو الحديدية ، واضطررت أن أرسل بعض برقيات ، فمنذ الآن لم يكن لدى ما أفعله إلا أن أدبر أمر عودتى إلى العالم الذى كنت الآن فى سبيلى إليــه . ولقد قاومت فكرة عودتى هذه ، وحدثت نفسى أنى كنت ملكا فى كوخى ، وسأرتد فى ذلك العــالم عبداً مسترقاً . ومهما يبد من عقوقى ، فإن جميع الدوافع كانت تحفزنى إلى نبذ عالمى الذى نشأت فيه . ولم تك بى رغبة فى سماع أى شىء عن فرنسا أو عن أصدقائى ، حتى بارحت كندا نفسها وعلمت أن الحرب قد اندلع لهيبها .

وفى ليلة فى أواخر مايو — قبل أن أبحر على سفينة البوليس الملكى الكندى بيومين ، وهى السفينة التى كانت ستحملنى من المنطقة المتجمدة إلى بنى جنسى — مشيت إلى قمة الأكمة وأجلت البصر حولى . وكانت الليلة ساكنة سكوناً عجيباً ، وقد ران على الأرض والبحر ذلك الصمت الذى يجعل الليالى فى المنطقة المتجمدة شيئاً يفوق تصور من لم يعرفوه .

ورجعت بخاطرى إلى تلك الأشهر فى الطريق ، وتلك الشدائد ، وحتى مالقيت من البلاء . وفجأة جعلت أفتقدها افتقاداً شديداً دهشت له ، ولم يفارقنى هــذا الشعور منذ تلك اللحظة . ولم أحنّ فى حيــاتى إلى أى شىء حنينى إلى الشــتاء القطبى ، وتلك الأكواخ الزائلة الجاثمة على الثلج .

ويعلم الله أى فقر كان فقرنا ، فقد كان فقراً تاماً شاملا ، لم نكن نملك فتيلا . على أنه كان ثمة فرح ورضى يسودان حياتنا ، ولا أزال أطيل التأمل فيهما دون أن أجد لهما

تفسيراً . لقد خسرت جميع ما أملك، بيد أنى وقعت على كنوز عظيمة . خسرت العالم ولكني وجدت نفسى ، واستبدلت البريق بالذهب . لقد كان فى قرارة نفسى مكان للهدوء الروحانى لم أكن أعرفه . ولقد وجدت فى العاصفة والخطر المحدق خلاصى وسعادتى ، ولولاهما لنامت روحى غير حافلة تحت أطباق الجسد . وهنالك فى البرية المتجمدة أعدت بناء نفسى من جديد ، فمن خلال طبقات الجلد المتجمدة المغضنة التى تكسو وجهى ، بدأ يبرز وجهى الحقيقى ، ذلك الوجه الذى أراد الله لكل امرئ أن يبديه لأخيه .

ووقفت على تلك الأكمة وقلت لنفسى : إننى لا أريد أن أبرح هذه الأرض . كان ما أنزع إليه أن أعود إلى تلك الأصقاع النائية ، وأعيش كما يعيش الأب هنرى فى خليج بلى ، ولكن هذا كان أمراً لايمكن التفكير فيه لأسباب كثيرة . فلما انقلبت راجعاً أنزل عن الأكمة ، أدركت أنه قد كتب على أن أعيش فى غير ذلك المكان . وإنى لأعلم الآن علم اليقين أنه فرنسا .

✲✲✲✲✲✲✲

هذا زمن خيار الناس

لا يذهبن بك الظن إلى أنك أصغر سناً من أن تنهض بجلائل الأعمال ، فقد كان توماس جفرسون فى الثالثة والثلاثين من عمره حين كتب وثيقة « إعلان الاستقلال الأمريكى » . وكان بنيامين فرنكلين فى السادسة والعشرين حين ألف « تقويم رتشرد المسكين » . وكان تشارلز ديكنز فى الرابعة والعشرين حين شرع يؤلف « أوراق بيكويك » . وفى الخامسة والعشرين حين ألف « أوليفرتويست » . وكان ماكورميك فى الثالثة والعشرين حين اخترع الحصادة ، أما نيوتن فكان فى الرابعة والعشرين حين صاغ قانون الجاذبية .

وقد كان الفليسوف كانت فى الرابعة والسبعين حين ألف أفضل مؤلفاته ، وفردى الموسيقى فى الثمانين حين ألف أوبرا فالستاف ، وفى الخامسة والثمانين حين ألف أوبرا آفى ماريا . وكان جوته فى الثمانين حين أنجز «فاوست» ، وميخائيل أنجلو فى السابعة والثمانين حين أتم أعظم آثاره ، وفى الثامنة والتسعين حين رسم الصورة التاريخية « معركة لبانتو » . ولا يزال برنارد شو ــ وهو فى الثامنة والثمانين ــ هو شو نفسه كأبرع ما كان .

[لويس نيزر فى مجلة «باجنت»]

بعض المنتجات التي نبيعها

معدات كهربائية

أجهزة راديو ، ثلاجات *
أجهزة غسيل ، وكى *
مكانس كهربائية * آلات حياطة *
مكبرات الأصوات
أجزاء أجهزة الراديو وصمامات
أفران كهربائية * ، موتورات

أجهزة سيارات

إطارات ، إطارات داخلية ، شموع احتراق
بطاريات ، أجهزة شحن البطاريات
زيت وشحم ، طلاء وشمع

أدوات زراعية

آلات لاستخراج القشدة
جرارات حدائق عربات ملحقة بالسيارات
جهاز كهربائي لحماية السياجات الحديدية

معدات ميكانيكية

آلات إدارة ، محركات بنزين
آلات لخرط الخشب ، معدات للبناء
طلاء ورشاشات طلاء ، أدوات السباكة
مجارف الفحم ، مواقد

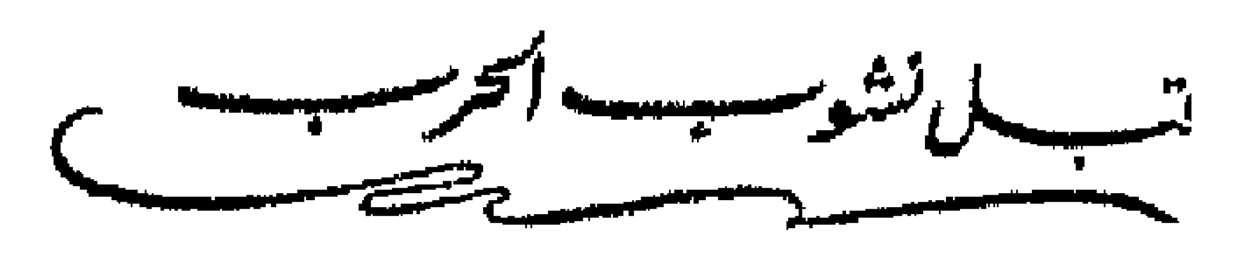
متنوعات

أدوات الرياضة ، ملابس ومنسوجات
معدات الطبخ ، آلات موسيقية
حلى ، أدوات كتابة
مواد البناء ، مصنوعات حديدية

* لا تصنع الآن وإنما تعد نماذج منها للشروع في صنعها في أول فرصة

لم يزل المستهلكون منذ نصف قرن يعلمون أن مونتجومري ورد وشركاه هم دائماً في الطليعة ومركز للتموين والتزود يمكن الاعتماد عليه دائماً . فالصفقات العظيمة التي تعقدها هذه الشركة التي رأس مالها ٢٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ ريال تمكنها من الإنتاج الاقتصادي الواسع النطاق للبضائع الرئيسية فتظفر بذلك بمنتجات أحسن وأسعار أقل. وشركة ورد تملك بعض المصانع ولها اتفاقات وثيقة في الإنتاج مع مصانع أخرى وفي كثير من الأحيان ليس لغيرها حق الإصدار إلى أسواق العالم . إن منتجات ورد الكهربائية وأجهزة السيارات والآلات والأدوات لا تباع في الخارج إلا عن طريق موزعين مساهمين . فاكتب إلينا في طلب حق التوزيع في منطقتك . وهناك بضائع كثيرة متنوعة تباع للمستوردين والتجار . اطلب كتالوجاتنا وأسعارنا .





جَدَّد فيلكو
الراديو - جراموفون

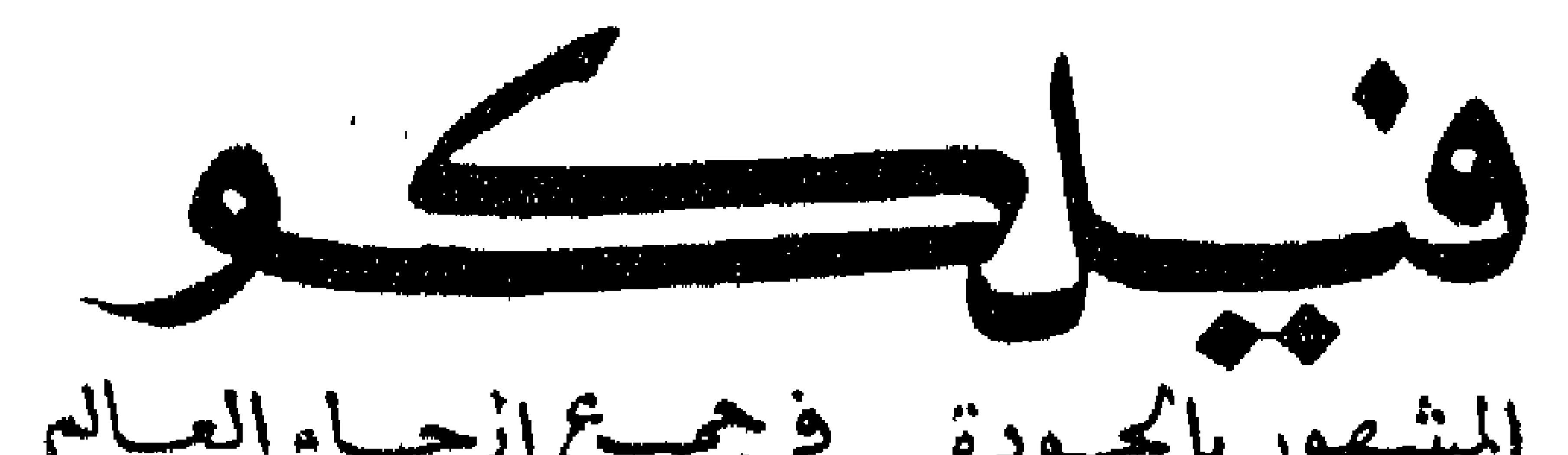
لاحاجة إلى تغيير الإبر
جمال جديد فى النغم
حياة مديدة للاسطوانات
دولاب ذو واجهة متحركة

بعد الظفر ...
يضيف فيلكو نشوة جديدة للموسيقى المسجلة

إن مباحث فيلكو جعلت الجراموفون مسايراً للتقدم العصرى فى أوائل العقد الثالث بعد الحرب الماضية، وقد جعلت من معامل أبحاثها تحسينات أصيلة جديدة عرف الاسطوانات والإبرة بهما وجعلت شوق الاسطوانات المسجلة تسجيلا كهربيا فى متناول الجميع،

إن راديو فونوغراف فيلكو المقبل، سيضيف إضافات جديدة إلى متعة عشاق الاسطوانات — فى جمال النغم وكماله، وسهولة العمل ويسره، ورشاقة تصميم الخزانة

PHILCO INTERNATIONAL CORPORATION
230 Park Avenue, New York, U.S.A.



المشهور بالجودة فى جميع ارجاء العالم

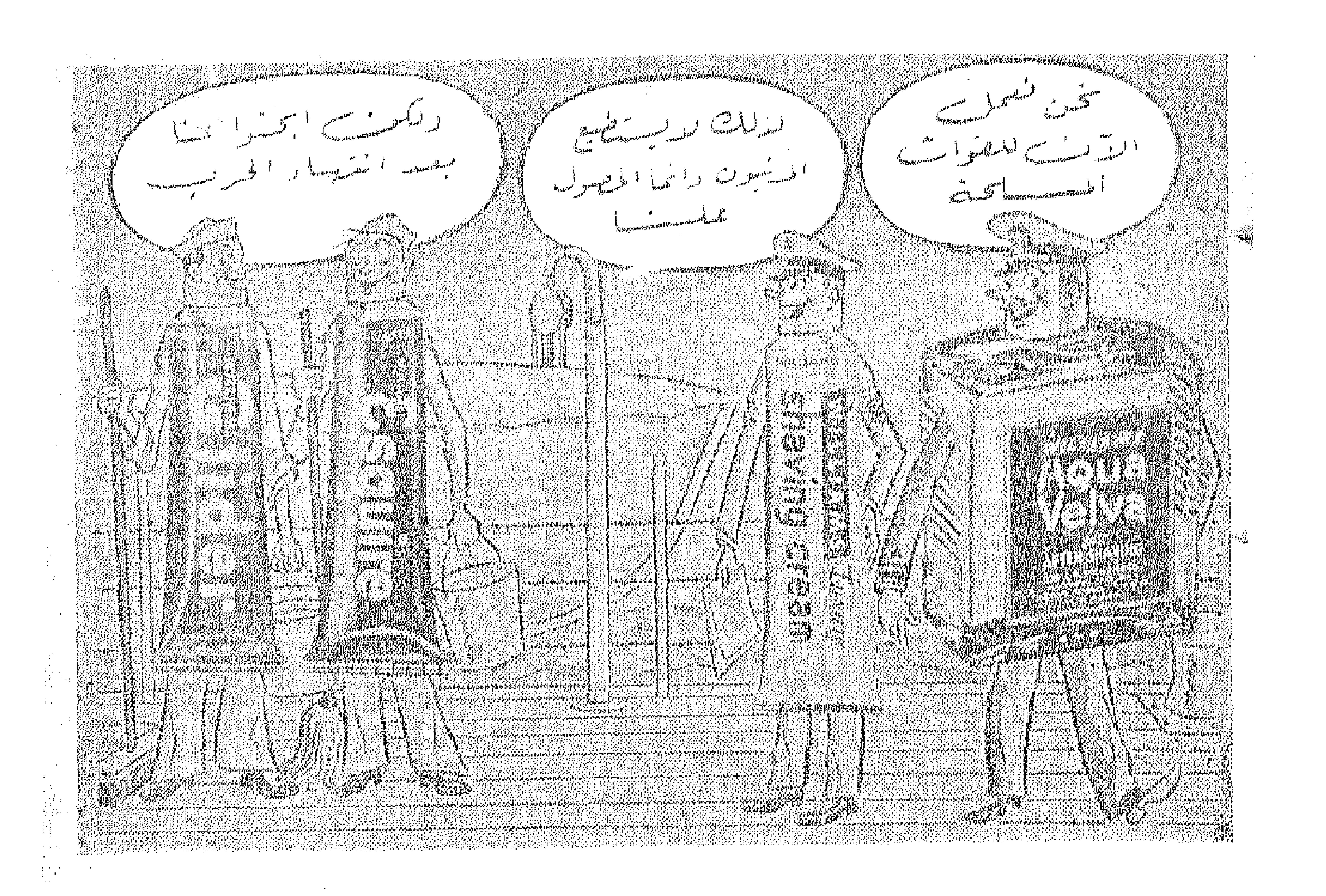


تنشئ مستوىً عالميًا جديدًا في النقل الجوى

إن النقل الجوى قد بلغ درجة عجيبة من الاتقان والكفاية ، منذ طار الأخوان رايت قبل ٤١ سنة — وهذا التقدم قد بلغ درجة جديدة ، فى طائرة كونستيليشن صنع لوكهيد . تربط بين المدن ، تعبر القارات ، فلا ينكمش بانتقالها الزمان والمكان وحسب ، بل تدخل على السفر الجوى ، القصير المدى وبعيده ، درجة عالية جديدة من الأمن والراحة والاقتصاد .

ارتقبوا من Lockheed كل ممتاز وجديد

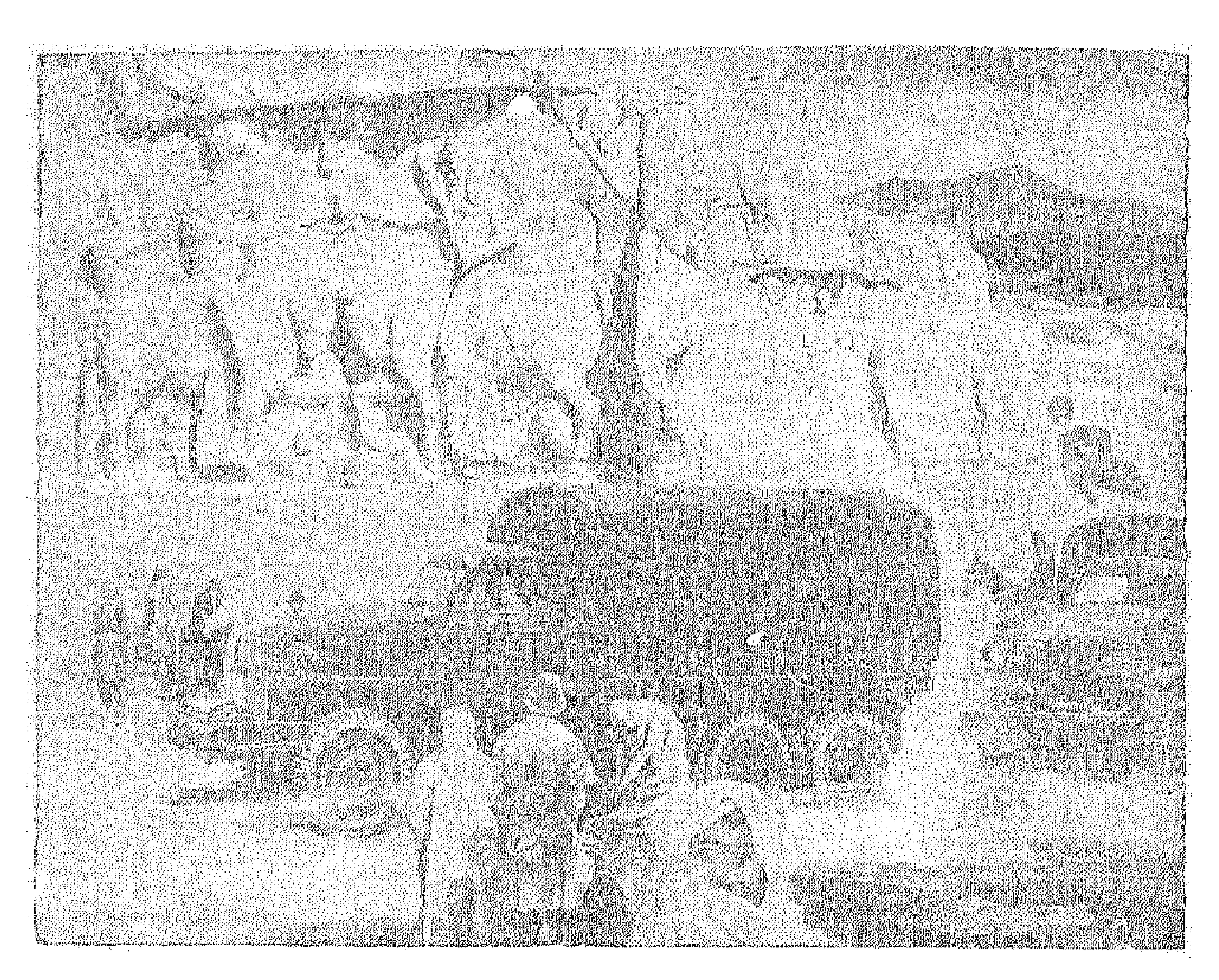
LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U.S.A.



نحن نصل الآن للقوات المسلحة
لذلك لا يستطيع الزبون دائما الحصول علينا
بعد انتصار الحرب
Glider
shaving cream
Aqua Velva

من المسلم به عادة أن دفرنسيال سيارتك يؤدي عمله على الوجه الأكمل دون عائق، غير أن هذا يتطلب استيفاء شرطين، أولاً، أن يوضع صنف زيت التروس الصحيح في الدفرنسيال. ثانياً، أن يتم هذا التزييت في فترات منتظمة. ومهما يكن نوع زيت التروس الذي يحتاج اليه دفرنسيال سيارتك سواء أكان من النوع الخاص المعد للعمل المرهق تحت الضغط الشديد أو من نوع الزيوت المعدنية الفاخرة ذات درجة اللزوجة الملائمة فلاشك بأنه سيزيت تزييتاً صحيحاً سديداً اذا عهدت به الى عمال التشحيم على طريقة "موبيل" المدربين. وتقدم هذه الخدمة الممتازة في جميع محطات بنزين شركة سوكوني - فاكوم المصرية.





سيارات ستوديبيكر الحربية
مثل رجالنا المحاربين تجوب العالم ولاشك

إن رجال أمريكا المحاربين قطعوا مراحل شاسعة على سطح الكرة الارضية إبان أسفارهم خلال هذه الحرب . ومع ذلك فإنهم قلما يذهبون إلى مكان ويضعون أمتعتهم دون أن يطالعهم عدد كبير من سيارات نقل ستوديبكر المألوفة مرحبة بهم ومذكرة إياهم بالوطن .

فهم يرون صفوفاً طويلة من سيارات نقل ستوديبكر الحربية تمر بعجها وعجيجها بالمدن الأثرية فى إيران . وتنقل العتاد الثقيل فى الهند والاسكا والجزر البريطانية وفى جميع ميادين نشاط الحلفاء الحربى .

وهذا ولاشك تقدير عظيم لصناعة ستوديبكر التى بلغت اليوم ذروة التفوق وأصبحت أكبر مؤسسات العالم إنتاجاً لسيارات النقل الحربي الضخمة . ولعله من الاهمية بمكان أن نشير إلى أن عشرات الالوف من سيارات ستوديبكر القوية قد حصلت فعلا على أوسمة الخدمة الممتازة كما أن كثيراً منها تقوم فى جميع ساحات الميدان الروسى بنقل العتاد من قطر التموين إلى الجيوش السوفيتية التى لا تقهر .

وستوديبكر تنتج كذلك معدات حربية بالغة الحيوية بما فى ذلك سيلا مطرد الزيادة من محركات رايت سيكلون التى تحرك قلاع بوينج الطائرة فى إغاراتها .

THE STUDEBAKER EXPORT CORPORATION

SOUTH BEND, IND., U.S.A.

Cables: STUDEBAKER

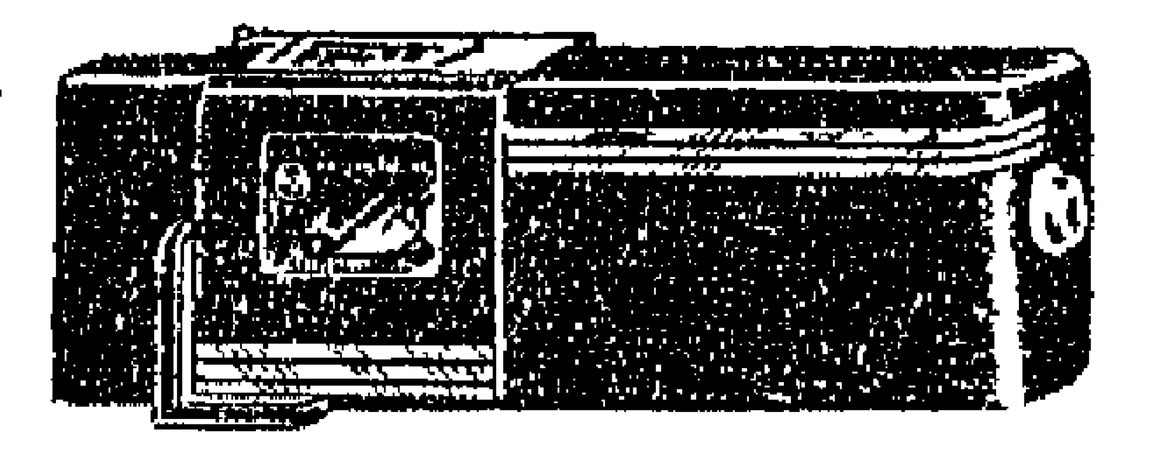
ستوديبكر يُنتج محركات سيكلون لأجل القلاع الطائرة

RCA تقدم

أحدث مبتكراتها

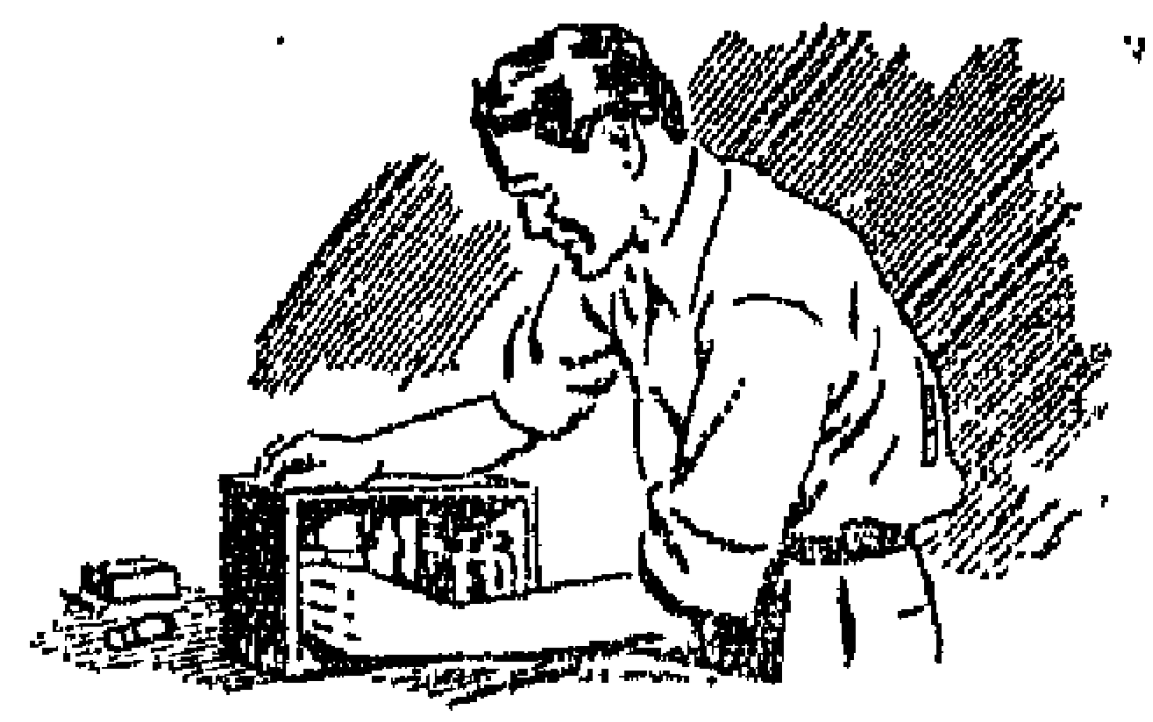


نجوم جديدة ، أفلام جديدة : تسجل فى جميع أنحاء العالم بفضل معدات فوتوفون تسجل الصوت على الأفلام وهى التى تنتجها RCA وتستخدم فى كل استديو حيث يتم إخراج الأفلام المتفوقة



عميد الصوت RCA : الذى يقوم عليه جهاز فوتوفون، وهو يعيد الأصوات المسجلة لحوادث المفضلة فى مسرحك المفضل .





استمعى للموسيقى ، وأنت تعملين : كثير من الشركات التى تنتج معدات للحرب قد لاحظت أنها باستعمال مكبرات الصوت ومعدات RCA الصوتية تساعد على زيادة الإنتاج وحفظ العاملات فى أحسن حالة معنوية .

المخ السحرى للراديو : هو صمام RCA الأليكترونى وهذا الصمام هو ثمرة خبرة RCA ونتيجة لأبحاثها السديدة فى تحسين وسائل التسجيل والإذاعة وغيرها من مستحدثات RCA .



RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA VICTOR DIVISION • CAMDEN, N. J.

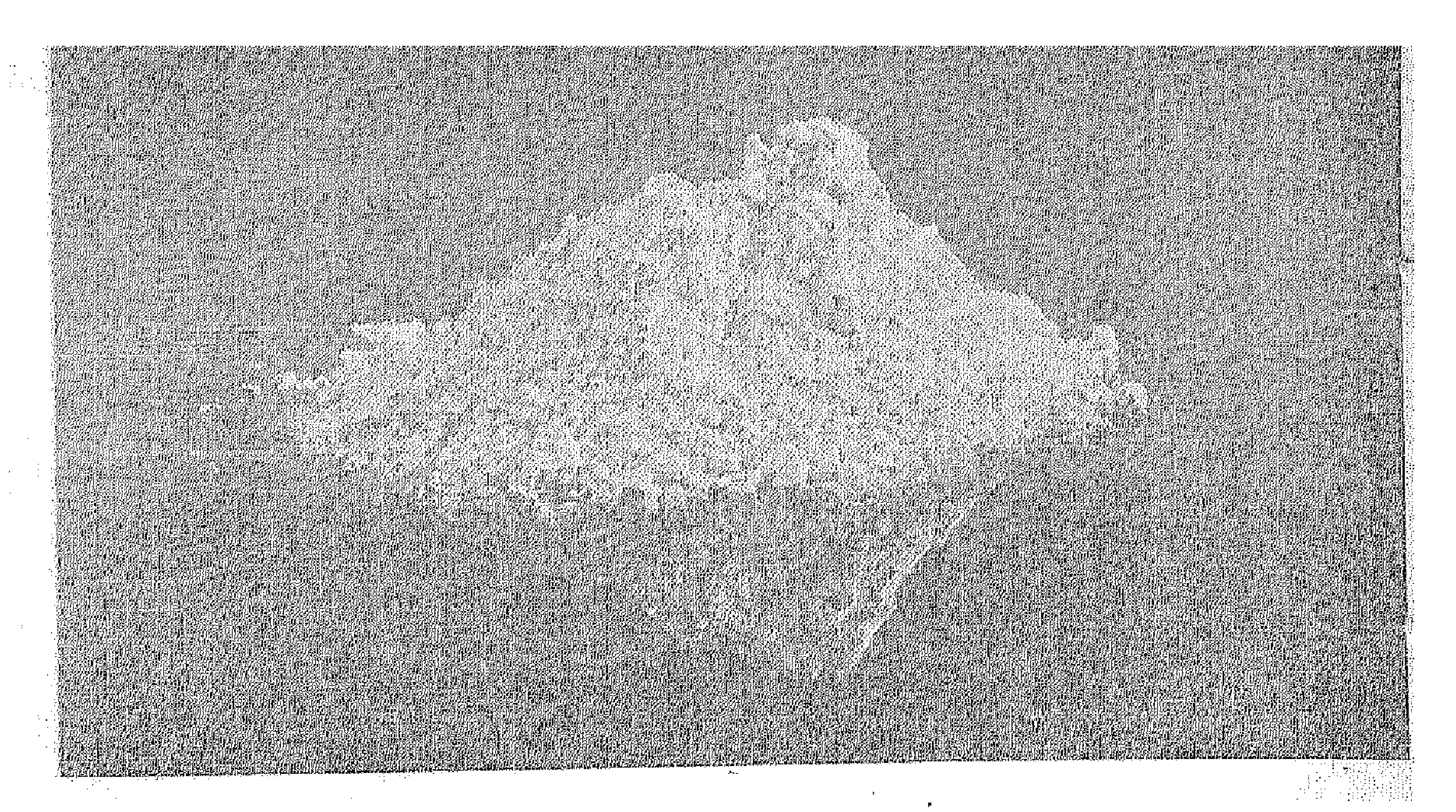
(تتقدم القافلة فى الراديو .. تليفزيون .. صمامات .. فونوغرافات .. اسطوانات .. اليكترونات


جهز سيارتك
بقوة أعظم
باستعمال شموع الاحتراق الجديدة
شامبيون
CHAMPION
CHAMPION
CHAMPION
لا تسمح لشموع الاحتراق المتآكلة أن تسلبك القوة المحركة فى سيارتك ، ضع مجموعة من شموع الاحتراق الجديدة شامبيون ، واعلم حينئذ أن محرك سيارتك سيجعل عملها أفضل ما يكون . إن العالم قاطبةً يعلم أن شموع شامبيون هى شموع الاحتراق التى يعتمد عليها اعتماداً تاماً فى زيادة القوى والسرعة ، والاقتصاد فى استهلاك الوقود للسيارات وسيارات النقل والجرارات .
CHAMPION SPARK PLUG COMPANY Toledo, U.S.A. • Windsor, Can. • Feltham, Eng


شفرات
لاتزال جيليت هي اجود شفرات للحلاقة
فى العالم. باستعمالك شفرات جيليت الزرقاء
او جيليت استندرد تضمن لنفسك الحلاقة
المثلى فى النعومة والسرعة والاقتصاد.
Gillette
GILLETTE BLADE
جيليت



في خدمتك
لانتاج انقى المواد البترولية
ان وسائل التوزيع الواسعه الانتشار التى تملكها شركة كالتكس تيسر لكم التزود بافضل اصناف البنزين والجاز ومواد التزييت ووقود ديزل وزيوت الوقود.
فمنتجات كالتكس البترولية تضمن لكم خدمة اقتصادية فعالة.
شركة زيت ، كاليفورنيا - تكساس وموزعوها
CALTEX
كالتكس لإنتاج البترول



مسحوق الحياة

هذه حفنة من البنيسلين

كانت أمس قطرات عنبرية اللون أفرزها فطر « بنيسيليوم نوتاتوم » أو العفن العادى .

أما اليوم فهى مسحوق جاهز ليشحن إلى أحد ميادين القتال .

أما غداً فقد تنقذ حياة .

إن ظفر البنيسلين ، هو إلى حد بعيد ، ظفر تكييف الهواء والتبريد .

فى مصانع شبلين وهايدن وليدرلى وفيزر وريشل — وهى جميعاً تحضر البنيسلين على نطاق واسع — تجد أجهزة تكييف الهواء التى صنعها يورك ، محتفظة بالخزانات التى تربى فيها الفطر على درجة الحرارة اللازمة للنمو الصحيح .

وبعد أن تستقطر القطرات الذهبية من العفن الأم ، تسلم أمورها لأجهزة تبريد يورك .

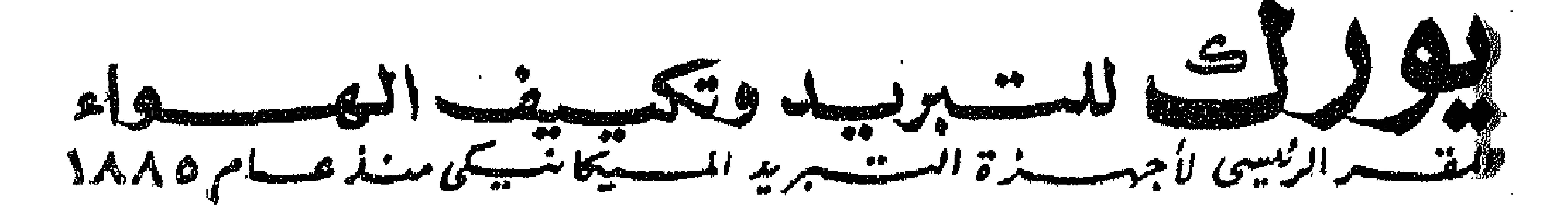
فالبنيسلين السائل يجمد حتى يمكن التبخير فى فراغ وعلى درجات واطئة من حرارة تصلح لذلك دون أن تقضى على ما فى العقار من خواص تفتك بالبكتيريا ، وإذا النتيجة المسحوق المستقر التركيب الذى تراه فى أعلى الصورة .

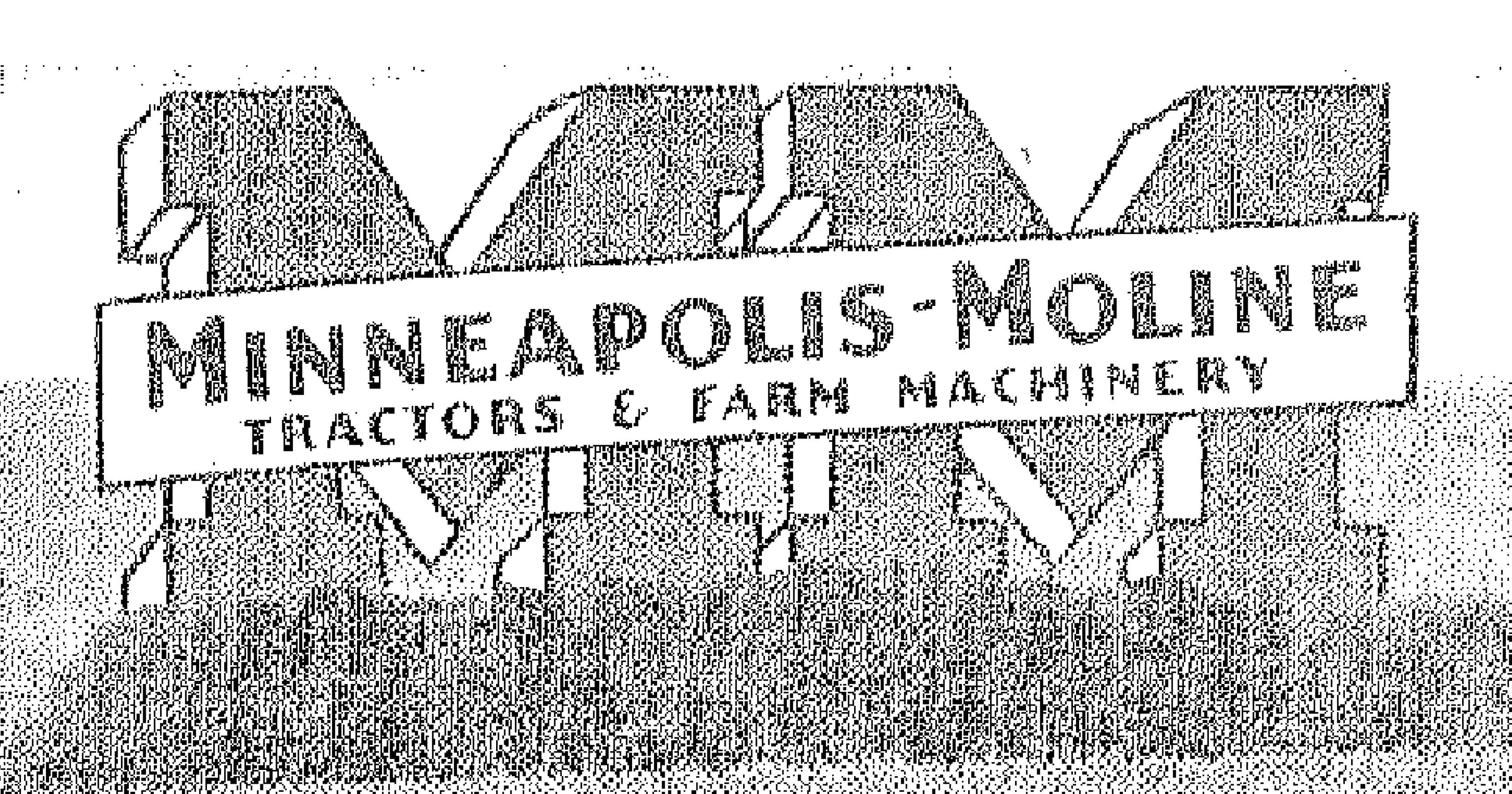
وعلى أن إنتاج البنيسلين أصبح واسع النطاق فإن البحث العلمى فيه لم ينقطع ، ولا ريب فى أن أقطاب البحث الطبى العلمى سيكشفون أصنافاً جديدة من الفطر الفاتك بالميكروبات ، وسيتقنون وسائل أجد وأفضل للانتاج .

ولاريب كذلك ، فى أن علم التبريد ، سيجارى جهود الأطباء العلماء بصنع الأجهزة اللازمة ، للنهوض بالمهام المطلوبة .



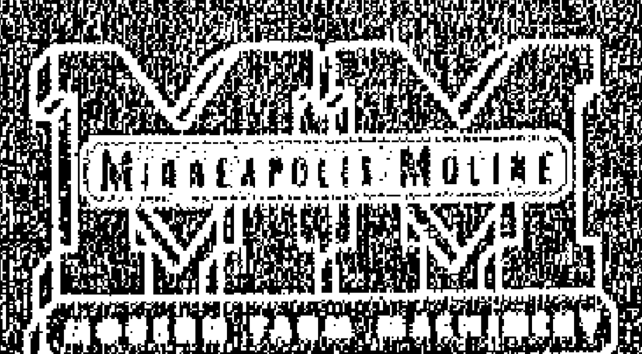
York Corporation,
York, Penna.





MINNEAPOLIS-MOLINE
TRACTORS & FARM MACHINERY





MINNEAPOLIS-MOLINE
MODERN FARM MACHINERY

القلم الأول والوحيد من نوعه

پاركر "٥١"

إنه يمتاز امتيازاً بارعاً — في الداخل والخارج — هذه هي الصفة الأولى التي تميز پاركر أعظم تمييز.

إن ثمة سبباً لجماله الرشيق وسنه الدقيق المحفوظ بمنأى عن الهواء والأوساخ . . . يبدأ الكتابة في أقل جزء من الثانية ، وتنساب به الكتابة في يسر لا يصدّق لأن سنه مصنوع من الأوسميريديوم — وقد صقل صقلاً محكماً دقيقاً.

إن قلم پاركر « ٥١ » وحده يستطيع أن يستعمل المداد العجيب الجديد « ٥١ » ، وهو مداد يجف حال كتابته ، فلا حاجة إلى النشاف ، ومع ذلك في وسعك إن شئت أن تستعمل فيه أي حبر جيد ، تخير الغطاء الذي تريد ، ذهب أو فضة — الألوان : أسود ، أزرق قاتم ، رمادي ، بني ، والماسة الزرقاء على مشبكه ، ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة.

THE PARKER PEN COMPANY
Janesville, Wis., U.S.A.

پاركر "٥١"

PARKER "51"

كتابة جافة بمداد سائل !

أثر فى تكوين شخصيتها ، من إنسان أو مكان . ولقد وقعت أنا على هذه المسرّات نفسها . فكم من طعام أكلته وحدى صار أطيب مذاقاً لما استعدت ذكرى رحلاتى إلى الصيد — ذكرى الترقب فى الأدغال ، وذكرى الهدوء والنسيم العليل فى بعض مواقع الغابة ، ثم الروعة المفاجئة حين ينفر الصيد من مخبئه . ولقد راجعت أيام صباى ، وملاعبي أنا ووالدى ، وخروجنا أنا وأمى وأختى لنتطف البرتقال للمربّى . وظللت أنبش ذاكرتى فوجدت عشرات من الأصدقاء لم يخطر اسم أحد منهم أو وجهه لى ببال منذ عشر سنين أو عشرين . وقد عادتنى مشاهد من زمن الصبا ، فكأنما كنت أشاهد صوراً تتوالى خاطفة على صفحة الصخر .

وقد جعلت قطرات المطر تبلل هذين العددين ، فإذا ذهبت أجففهما فى قيظ الشمس ، تهتكت أوراقهما وتقشرت ، حتى صار فتات الورق يغطى رأسى ووجهى كلما تناولت أحدهما لأقرأه . وقد أدركت وأنا أتصفحهما مرة بعد مرة ، كثرة ما فاتنى أن أقرأه فى المجلات فيما مضى . فحين كنت فى بلادى كنت أقرأ المقال مرة ولا ألبث أن أنساه إذا ما بلغت صفحات الإعلان ، ولقد عرفت الآن أن المرء إذا قرأ المقال مرة واحدة عجز عن استيعاب كثير مما فيه ، فأيقنت أن الكتابة المحكمة جديرة بأن تقرأ على مهل وبإنعام نظر .

فلما أسفر لى هذا الخاطر — وأنا أقضى أياماً معذباً ألتمس فى الأفق أشباح السفن الأمريكية العائدة ، وأقضى ساعات أكافح يأسى من النجاة — فيومئذ تعلمت أن أقرأ . فالآن حين تصلنى نسختى من « ريدرز دايجست » أقرؤها كلها من فورى ، ثم آخذها بعد أسبوع مرة ثانية لكى أرى كم من مقالة أذكرها بحيث أستطيع أن أناقشها . ولشد ما أدهشنى أن يكون أكثرها قد تفلّت منى كل التفلُّت تقريباً ، وعندئذ أعود فأقرأ كل مقال لم أحط به علماً .

وقراءتى الثانية أرضى لنفسى من الأولى . ولما كانت خلاصة الفكرة غير غريبة عنى ، فإنى أحصر ذهنى فى التفاصيل ، وهى التى تكسو الهيكل لحماً وعضلا حتى يعود حياً يجرى فيه الدم ، ثم تصبح الأفكار جزءاً من معرفتى المثمرة ، وتستقر النوادر فى ذهنى فتحيى ساعات السمر .

حقاً لقد كنت تلميذاً صعب العريكة . فلكى أتعلم كيف أقرأ ، لم يكن بدٌّ من أن أخوض غمار حرب عالمية . وأن أبقى فى عزلة ٣١ شهراً يهددنى الخطر يوماً بعد يوم !

في أيام محنتي تعلمت القراءة

جورج تويد ... بحرية الولايات المتحدة الامريكية

ظللت سنتين وسبعة أشهر في جزيرة جوام بعد أن استولى اليابانيون عليها ، فقضيت أكثر أيامي مختبئاً في مثل وكر العقاب ، وهو شق بين صخرتين يطل على المحيط الهادى . وكثيراً ما كنت أسمع ، وأنا جاثم هناك ، تقصف أعواد الشجر . فينذرني أن العسس الياباني المؤلف من ٥٠ رجلا ، والذى وكل إليه أن يتصيدني ، قد عاد يشق طريقه بين الشجيرات تحت مكمني .

وفي مثل الذى كنت فيه تقل أسباب المسرات ، ولكني ظفرت ببعض قليل ، ومن خيرها مطالعة عددين من « ريدرز دايجست » ، وهما ذخيرة غالية احتملتها معي ، لم أطق أن أتخلى عنهما حتى في الأسابيع التى قضيتها مطارداً في جوف الأدغال الشائكة التي يشق اختراقها .

وإخالني قرأت هذين العددين من الغلاف إلى الغلاف في كل أسبوعين مرة ، تحت ضوء سراج يتشظى ، تُمس فتيله في علبة سردين ملأتها من زيت جوز الهند ، فلم أكن أقتصر على أن أعيد قراءة ما أوثر من المقالات ، بل كنت دائماً أمضي في القراءة من الصفحة الأولى إلى الأخيرة .

وثمة مقالة يخيل إليّ أنها كتبت لي أنا خاصة ، عنوانها « تستطيع أن تكون شيئاً — وأنت وحدك » (المختار مايو ١٩٤٤ ص ٤٤) . وقد وصفت كاتبته ، مارى إلن تشيس ، ما يجده المرء من نشوة السرور حين يخرج وحده في رحلة . فلما أخذت تعدّد فضائل الخلوة ، جعلت أقابل ما تذكر بما أنا فيه واحدة واحدة . ولقد قالت مس تشيس إنها في ساعات وحدتها الطويلة ، جعلت تنشر ماضيها وهي طفلة وتعيش به ، باعثة من أطباق الماضي كل شيء كان له

[التتمة على الصفحة السابقة]

